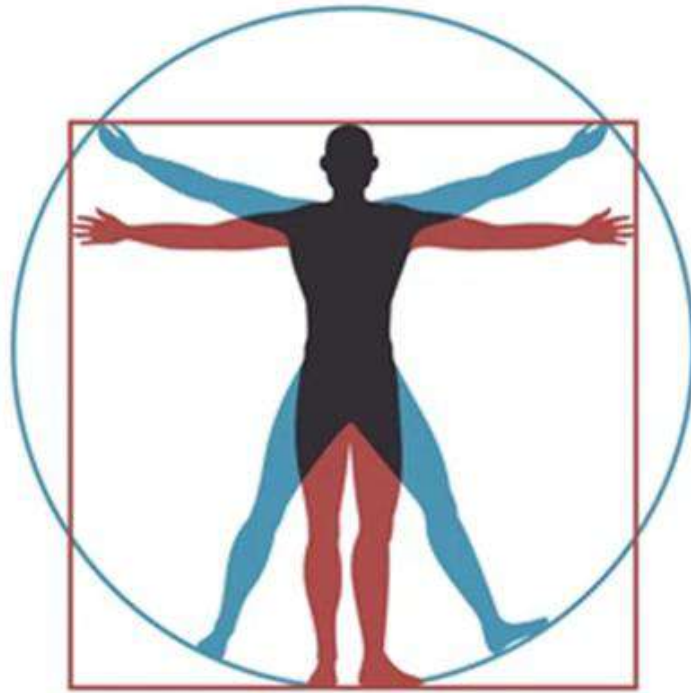


الطب بنكهة

أدبية



كتاب يقارب الأمراض الشائعة

د. فطار محمد

الطب بنكهة أدبية ...

الإهداء :

**إلى كل من لا يرى في المرض وصمة أو
عاراً ، بل جزءاً من تكوين الحياة يعلمنا
الصبر و يترك فينا أبلغ الدروس قبل أن
يرحل**

الطب بنكهة أدبية ...

محتوى الكتاب :

- ارتفاع ضغط الدم (القاتل الصامت)
- الداء السكري (السم بالعسل)
- القصور الكلوي (المصفاة لا تعمل)
- أمراض الجهاز التناسلي الذكري (ميراث السنين)
- أمراض الجهاز الهضمي (ما يدخل إليك .. يظهر عليك)
- أمراض القلب (عطل في المضخة)
- أمراض الجهاز التنفسي (ما بين شهيق و زفير)
- أمراض الغدد الصماء (أصمّ يسمع كل شيء)
- أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي (الوردة و الأشواك)
- أمراض الجهاز العصبي (روق أعصابك)
- أمراض الجهاز الحركي (بحثٌ مفصليّ)
- أمراض العين و الأذن و الجلد (فوضى الحواس)
- أمراض الأطفال (رسوم متحركة)
- التوليد (يصورك في الأرحام كيف يشاء)
- أمراض الجراحة (المبضع مفتاح الأسرار)
- أمراض نفسية (صرخة روح)
- ✻ ملحق (مغالطات طبية)
- = السرطان (تيلوميراز)
- = الوجه الآخر للطب (إغماء ستندال)
- = ترويض النفس (فرويد الخيال)
- = بيكاسو الأمراض (الطب بالألوان)
- = شخّص مرضك بنفسك (من العرض تعرف المرض)
- = بردية فيزيالوس (مشرط حجري)

الطب بنكهة أدبية ...

ارتفاع ضغط الدم

(القاتل الصامت)

هناك قوة خفية تجري في عروقنا، لا تُرى بالعين ولا تُحس إلا حين تشدّ قبضتها على القلب فجأة، لتخبرنا أن **الجسد ليس مجرد آلة، بل مرآة لكل اختياراتنا وأفكارنا.** هذه القوة هي **ضغط الدم**، النهر الخفي الذي يمد كل خلية بالحياة، وفيه سرّ وجودنا واندفاعنا نحو كل لحظة. لكنه، إذا تجاوز حدوده، يتحول إلى قاتل صامت، يسكن بين تفاصيل الحياة اليومية، يراقبنا بصمت حتى يحين وقته ليعلن نفسه بلا رحمة .



ضغط الدم هو رقصة دائمة للقلب بين الانقباض والانبساط ؛ نبضة تحرك الحياة تعقبها لحظة هدوء تسمح للأوعية بالتنفس. عندما يتجاوز ضغط الدم في الأوعية أثناء انقباض القلب **120** ملم زئبق، أو ضغطه أثناء انبساط القلب **80** ملم زئبق، يكون الجسد قد أرسل إشاراتة الأولى، صرخات خافتة تخبرنا بأننا نحتاج للتوقف والتأمل. وإذا تجاوز الانقباضي عتبة

140 أو الانبساطي عتبة 9، أو انحراف الانقباضي منفردًا عند كبار السن، يصبح ذلك بمثابة جرس إنذار، يرنّ في صمت، يحذر من أن الرحلة لم تعد آمنة كما كانت.



أسباب القاتل الصامت متشابكة كخيوط القدر، بعضها ولد معنا منذ أبصرنا النور، وبعضها نصنعه كل يوم. الأسباب الأولية تتخفى في **الوراثة، السمنة، العمر، نمط الحياة المرهق، والتوتر النفسي المستمر**. كل وجبة مالحة، كل ساعة بدون حركة، كل شعور بالغضب أو القلق، يضيف طبقة إلى هذا الجدار الخفي الذي يضغط على القلب والشرابين. أما الأسباب الثانوية فهي أكثر وضوحًا لكنها أقل شيوعًا : **أمراض الكلى**

المزمنة، اضطرابات الغدد، أو أدوية نأخذها دون وعي، فتأتي العواقب كأنها رسائل من المستقبل تحذرنا من إهمال الذات.

ورغم كل هذا، غالبًا لا يظهر المرض بأعراض واضحة. **الصداع** في مؤخرة الرأس هو إنذار خافت، **الدوار** يطرق الباب كتحذير من اختلال التوازن بين الداخل والخارج، **ضيق التنفس** وكأن القلب يطلب لحظة للتوقف، و **خفقان** القلب المتسارع يصرخ للخطر. لكنها غالبًا تبقى مجرد همسات لا يستجيب لها الإنسان و يعزّيها لأسباب أخرى كالتعب و الإرهاق و القلق ، حتى تأتي لحظة تظهر فيها مضاعفات قوية : ألم الصدر، ضعف أحد جانبي الجسم، تشوش الرؤية، كأن الجسد فجأة يصرخ بصوت متهدّج لا يمكن تجاهله.



التشخيص هو رحلة إلى أعماق الجسد، رحلة لاكتشاف ما وراء الأرقام والأجهزة. القياسات المتكررة للضغط تكشف الأنماط الخفية (يشترط قبل كل قياس تجنب التدخين و الكحول و المنبهات ، مع تفريغ المثانة ، و الاسترخاء لمدة **5** دقائق قبل القياس ، وأن يكون الذراع المقاس بمستوى القلب تماماً) ، وأجهزة المراقبة على مدار **24** ساعة تكشف ما تخفيه اللحظات العابرة. تحاليل الدم و البول تكشف تأثير المرض على الكلى و الشحوم والسكر، و تخطيط القلب و الإيكو يظهر كيف يؤثر الضغط على العضو الذي يدفع الحياة في كل نبضة. أحياناً نحتاج لتصوير الكلى والأوعية إذا شككنا بارتفاع ثانوي، لتصبح كل صورة نافذة تطل على أسرار الجسد الداخلية.



العلاج يبدأ من الوعي بالوجود نفسه. تغيير نمط الحياة ليس مجرد نصيحة، بل إعادة للحياة إلى توازنها

الطبيعي : تقليل الملح، تناول الخضروات والفواكه والحبوب، الحركة اليومية، فقدان الوزن الزائد، تجنب التوتر النفسي، والابتعاد عن التدخين والكحول. كل خطوة هنا هي رسالة منك للجسد تقول : (أنا أهتم بك، وسأحميك من القاتل الصامت المتربص بك)



وعندما لا تكفي هذه الخطوات، تأتي الأدوية كرفقاء طريق، كلٌ منهم له دوره في تهدئة النهر الهائج : مدرات البول لتخفيف الصوديوم والماء الزائد، مثبطات الإنزيم المحول للأنجيوتنسين وحاصرات مستقبلات الأنجيوتنسين لتوسيع الأوعية، حاصرات بيتا لترويض خفقان القلب، وحاصرات قنوات الكالسيوم لإعادة المرونة للشرابين. كل دواء هو بمثابة كلمة سحرية تحفظ توازن الجسد بين القوة والهدوء.



لكن المرض، إن تُرك بلا وعي، يتحول إلى ظلّ يطارد الحياة. القلب يتضخم، الكلى تتعب، العين ترى بضبابية، والأوعية معرضة للتمدد أو التمزق. كل مضاعفة هنا ليست مجرد حالة طبية، بل درس في الانتباه، صرخة صامتة من الجسد تقول : (اهتم بي قبل فوات الأوان) ..

الوقاية ليست إجراءات جامدة، بل فلسفة حياة. وزن متوازن، غذاء نقي، حركة مستمرة، قياس دوري للضغط، وعي بكل اختيار يومي، كل ذلك يجعلنا نرقب نبضاتنا بسلام، ونستمع إلى لغة الجسد كما نستمع إلى نبوءة حكيم.

ارتفاع ضغط الدم، بهذا المعنى، ليس مجرد صراع مع الأرقام والأوعية، بل صراع الإنسان مع ذاته ومع الحياة نفسها. كل نبضة مرتفعة هي رسالة من الجسد تقول : (أنت جزء من هذا العالم، وكل اختيار تصنعه يترك أثرًا داخليًا وخارجيًا). كما أن الضغط يثقل القلب ويختبر قدرة الشرايين على التحمل، فإن الحياة تضع على أكتافنا أعباء وصراعات، وتعلمنا كيف نوازن بين القوة والضعف، بين الواجب والراحة، بين السرعة والتأمل.

في النهاية، المرض يصبح مرآة لوعي الإنسان : يختبر

صبره، ويذكره بأهمية الانتباه للحظة، ويكشف له
هشاشة حياته وقوة وجوده في آن واحد. تمامًا كما
يحتاج القلب إلى التوازن بين الانقباض والانبساط،
يحتاج الإنسان أن يجد التوازن بين الاندفاع والتأمل،
بين السعي والسكينة. ارتفاع الضغط ليس مجرد عائق
جسدي، بل رمز للحياة نفسها : للخيارات التي نتخذها،
للتوترات التي نحملها، للوعي الذي نختاره بأن نعتني
بأنفسنا قبل أن تأتي الصدمات لتجبرنا على التوقف.



الذاد السكري

(السهم بالمثل)

في فضاء الحياة الدقيقة، حيث تتراقص الخلايا و
الهرمونات في انسجام مذهل، يطل الداء السكري
كضيف غامض، يذكّرنا بأن التوازن ليس مجرد فكرة،
بل تجربة يومية، وأن الجسد بيت هش يحتاج إلى رعاية
ووعي مستمر. إنه المرض الذي يختصر فلسفة (السم
بالعسل) عبر السهل الممتنع ..



يظهر الداء السكري في أشكال مختلفة، كل واحد منها
يحمل سحرًا خاصًا وتحديات فريدة. **النوع الأول**، الذي
غالبًا ما ينتقي الصغار والشباب، يحدث نتيجة هجوم
الجهاز المناعي على خلايا بيتا في البنكرياس، فيفقد
الجسم القدرة على إنتاج الإنسولين تمامًا ، الهرمون

الذي يعمل على خفض سكر الدم عبر إدخاله إلى الخلايا كي تستخدمه. في هذا النوع، يصبح الإنسان رهين العطش المستمر، التبول المتكرر، الجوع الذي لا يهدأ، والتعب المزمن. هنا، يصبح الإنسولين رقيقاً يومياً، ومراقبة مستوى السكر بالدم عدة مرات في اليوم ضرورة للحفاظ على التوازن.

أما **النوع الثاني**، فهو أكثر مرونة، يختبئ خلف الوزن الزائد وقلة النشاط البدني، وينشأ غالباً نتيجة مقاومة الجسم لتأثير الإنسولين أو نقص تدريجي في إنتاجه. ترتفع احتمالات الإصابة مع تقدم العمر، مع وجود تاريخ عائلي، أو الإفراط في تناول السكريات والدهون. هذا النوع قد يبقى خفياً لسنوات، حتى تظهر العلامات ببطء، من إرهاق مستمر إلى ببطء التئام الجروح، ومن العدوى المتكررة إلى تشوش الرؤية. هنا، يكون التحكم ممكناً غالباً عبر **تغييرات نمط الحياة**: النظام الغذائي الصحي، النشاط البدني المنتظم، والحفاظ على وزن مثالي، بينما الأدوية الفموية مثل خافضات السكر الفموية و على رأسها الميتفورمين أو الإنسولين في الحالات المتقدمة تصبح أدوات لإعادة التوازن.

سكري الحمل يطل كضيف مؤقت، يظهر أثناء الحمل نتيجة تغيرات هرمونية تقلل حساسية الجسم للإنسولين،

وقد يزول بعد الولادة، لكنه يترك أثره العميق على الجنين و على الأم أيضاً في المستقبل ويزيد احتمال الإصابة بالنوع الثاني لاحقاً.



تشخيص الداء السكري يتطلب دقة ووعياً، إذ تكشف **اختبارات الصيام**، التي تقيس مستوى السكر بعد صيام ثماني ساعات، إذا وصل إلى **126** ملغ/ديسيلتر أو أكثر في مناسبتين، عن وجود السكري. ويعطي **اختبار تحمل الجلوكوز** بعد ساعتين من تناول محلول سكري صورة أوضح، فإذا كان مستوى السكر مساوياً أو أكبر من **200** ملغ/ديسيلتر، يكون التشخيص إيجابياً. كما يقدم **اختبار الهيموغلوبين السكري** متوسط مستوى السكر خلال شهرين إلى ثلاثة أشهر، فإذا كان **6.5**

% أو أكثر، يشير ذلك إلى السكري. هذه الاختبارات ليست مجرد أرقام، بل نوافذ على أعماق الجسد، رسائل من خلايانا تحذرننا من اختلال التوازن قبل أن يتحول إلى أزمات جسدية.



أسباب الداء السكري متنوعة، كخيوط نسيج الحياة نفسه. في النوع الأول، يمتزج العامل المناعي الذاتي بالوراثة والتأثيرات الفيروسية المحتملة، في حين يرتبط النوع الثاني بالسمنة، قلة النشاط البدني، الجينات، النظام الغذائي غير الصحي، وتقدم العمر. أما سكري الحمل فينشأ نتيجة التغيرات الهرمونية خلال الحمل، وزيادة الوزن المسبق، وعوامل وراثية تجعل الجسد أقل قدرة على استخدام الإنسولين بكفاءة.

أعراض الداء تترجم صمت الجسد إلى لغة محسوسة،
فيظهر **العطش الدائم، التبول المتكرر، الجوع المفرط،**
التعب المستمر، بطء التئام الجروح، العدوى المتكررة،
وتشوش الرؤية. إنها إشارات من الجسد تدعونا
للاستماع إليها قبل أن تتحول إلى صرخات من الألم و
العجز.

الوقاية من هذا الداء ممكنة، خصوصاً للنوع الثاني
وسكري الحمل، إذا ما عاش الإنسان **حياة متوازنة،**
حيث يصبح النظام الغذائي غنياً بالألياف، الخضار
والفواكه، مع تقليل السكريات والدهون المشبعة،
والنشاط البدني اليومي لمدة ثلاثين دقيقة على الأقل
جزءاً لا يتجزأ من الروتين، والحفاظ على وزن صحي،
مع الفحص الدوري للسكر، والإقلاع عن التدخين
والكحول. إنها رحلة حياة أكثر من كونها إجراءات
طبية، رحلة تأمل في العلاقة بين الجسد والعادات
والاختيارات.

المضاعفات المحتملة تكشف الوجه القاسي للسكري عند
الإهمال، فتظهر أمراض القلب والشرابين، **اعتلال**
الأعصاب، الفشل الكلوي، مشاكل العين بما في ذلك
اعتلال الشبكية، تقرحات القدم، الالتهابات المتكررة،
والمشاكل الجلدية والفموية. كل واحدة منها تروي
قصة تجاهل رسائل الجسد، وكلها تدعونا إلى الانتباه

والحذر.

العلاج رحلة مستمرة، ففي النوع الأول يصبح
الإنسولين علاجاً ثابتاً مع مراقبة يومية لقيم السكر
واتباع حمية متوازنة بعيدة عن السكريات و الشحوم
الضارة و غنية بالألياف ونشاط بدني مستمر، بينما في
النوع الثاني تكفي تغييرات نمط الحياة في البداية من
تغذية مناسبة و رياضة منتظمة، مع اللجوء للأدوية
الفموية الخافضة لسكر الدم و على رأسها الميتفورمين
أو الإنسولين في المراحل المتقدمة. أما سكري الحمل،
فالحمية الصحية، التمارين الخفيفة، وأحياناً العلاج
الدوائي الدقيق تضمن سلامة الأم والجنين.

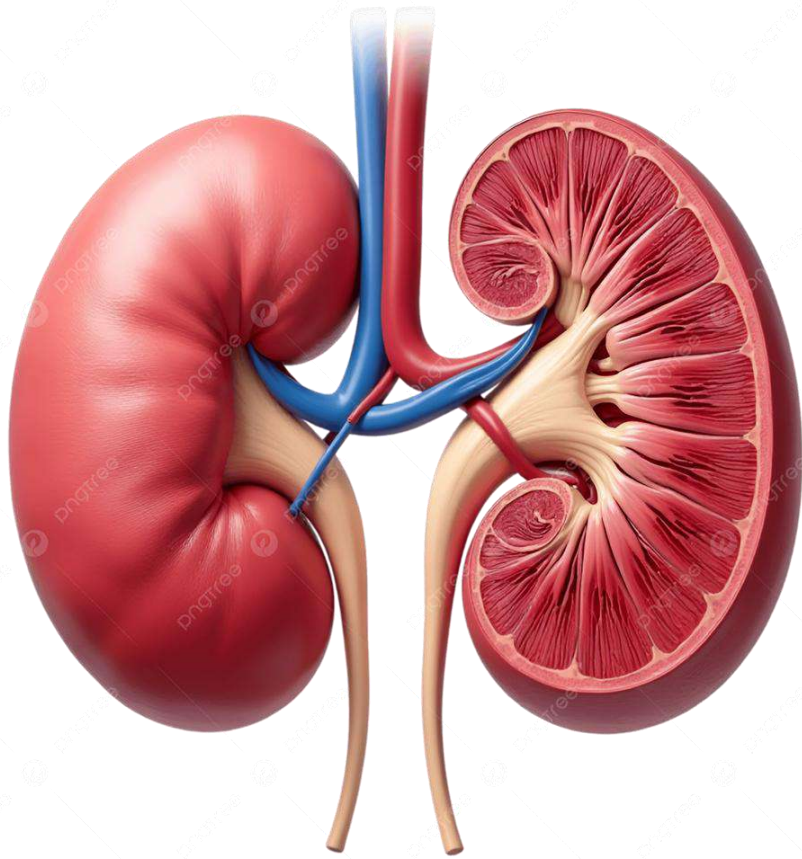


وفي النهاية، يظهر السكري كمعلم صامت، كمرآة
فلسفية، يعلمنا أن التوازن ليس مجرد مفهوم، بل
ممارسة يومية فإن اختل .. اختل الجسد برمته، وأن
الحرية الحقيقية هي الانضباط الواعي، فكل وجبة،
وكل خطوة، وكل لحظة عناية بالجسد، هي حبل نجاة
يخرجنا من فخ السكري المنسوب لنا .. في دروب
السكري، نتعلم أن الحياة ليست مجرد مرور الوقت، بل
فن رعاية الذات وفهم الأرقام والاختبارات كرسائل من
أعماق الخلايا تخبرنا إن كانت بخير أو بحاجة للمسح
حنان و قليل من الرعاية و الاهتمام ..
هذا هو الداء السكري ببساطة .. عندما يصبح العسل
مسموماً و يودي بحياتك ..

القصور الكروي

(المصفاة لا تعمل)

في جسد الإنسان، ثمة عضو يعمل بصمت، متوارٍ في عمق الخاصرتين، كأنّه ناسك في معبد الجسد، يصفّي الدم من شوائب الحياة دون أن يطلب شكرًا. إنّها الكلية، تلك الحارسة الخفية التي تزن الماء والملح والدم، وتحافظ على نقاء الداخل كما يحافظ البحر على توازنه بين المدّ والجزر. وحين تتعب الكلية أو تصاب بالوهن، تختلّ موازين الجسد كلها، ويبدأ ما يُعرف بالقصور الكلوي، ذلك المرض الذي لا يعلن حضوره بعاصفة صاخبة بل يتسلّل ببطء، كما يذبل الينبوع حين تُحجب عنه منابع الماء.



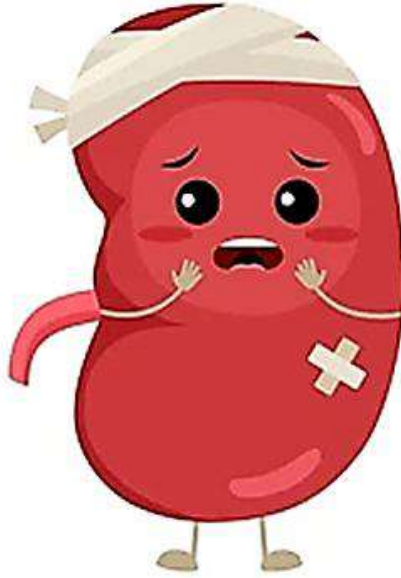
القصور الكلوي، في جوهره، هو تراجع قدرة الكليتين على أداء وظيفتهما الطبيعية في تنقية الدم وتنظيم

سوائل الجسم وأملاحه. و حين تتوقفان عن العمل كما ينبغي، تبدأ الفضلات السامة التي ينتجها الجسد يوميًا بالتراكم في الدم، فتغزو الخلايا في فضلاتها كحاوية قمامة ممتلئة. لا يقتصر دور الكليتين على التصفية فحسب، بل هما تشرفان على توازن ضغط الدم، وتساهمان في إنتاج خلايا الدم الحمراء، وتضبطان معدلات الكالسيوم عبر إنتاج فيتامين **D**. لذلك، حين يصيبهما خلل، تتداعى المنظومة كلها، ويبدأ الجسد رحلة قاسية في محاولة استعادة توازنه المفقود.



هذا القصور لا يأتي دائمًا على هيئة واحدة. فهناك من يأتي فجأة، كما ينهار سدّ بعد عاصفة، وهو **القصور**

الكلوي الحاد، الذي يظهر خلال ساعات أو أيام قليلة نتيجة حدث طارئ يُفقد الكلية قدرتها على الترشيح مؤقتًا. وهناك من يتسلل ببطء، قطرة بعد قطرة، على مدى سنوات، فيتآكل النسيج الكلوي تدريجيًا حتى يصل إلى فشله الكامل، وهو **القصور الكلوي المزمن**. الأول قابل للشفاء إن أُدرِك مبكرًا، أما الثاني فهو كالنهر الذي غير مجراه، لا يعود إلى ما كان عليه، وإن أمكن تهدئة اندفاعه أو إبطاء مساره.



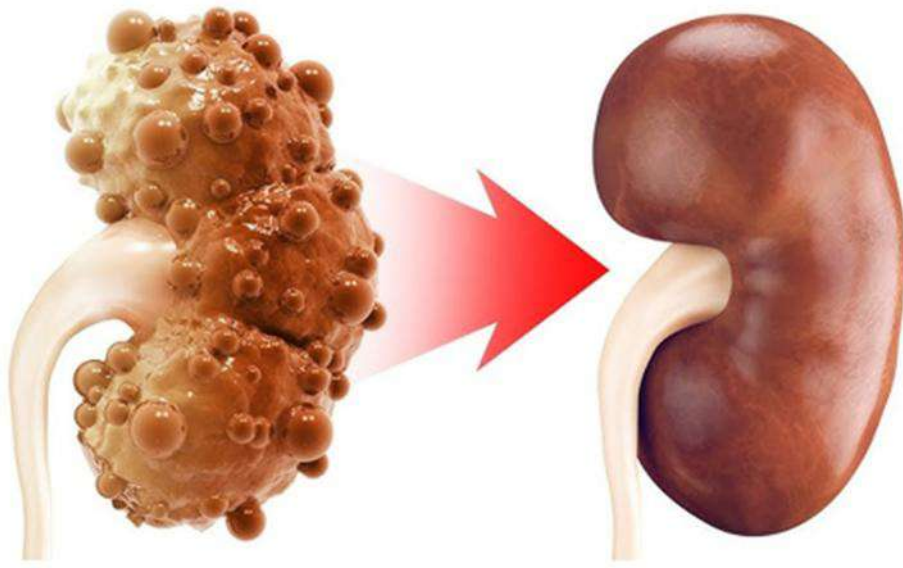
ولكلّ نوع أسبابه التي تشبه خيوطًا متشابكة بين ما قبل الكلية وما بعدها. فقد يكون **الخلل في تدفق الدم إليها** حين يقلّ جريان الدم نحوها بسبب نزيف شديد أو جفاف قاتل أو هبوط في ضغط الدم، أو حين يتراجع القلب في مهمته، أو حين تعبت بعض الأدوية بتوازن تدفق الدم في شرايينها الدقيقة. وقد يكون **السبب في نسيجها ذاته**، حين تشتعل فيها التهابات الكبيبات أو الأنابيب، أو حين

تهاجمها المناعة خطأً كما يحدث في داء الذئبة الحمراء،
أو حين تضيق أو عيتها أو تُسدّ بالجلطات. وربما يكون
الخلل بعد أن تؤدي الكلية عملها، عندما يُسدّ طريق
البول الخارج منها بحصاة أو ورم أو تضخم في
البروستات يمنع انسياب ما صفتّه من سوائل وسموم،
فيرتدّ السيل إلى منبعه مدمراً ما يلقاه في طريقه.



لكن أكثر أسباب القصور المزمن شيوعاً هي تلك التي
تنشأ من أمراض العصر الصامتة: **داء السكري**
وارتفاع ضغط الدم. فالسكر الذي يفيض في الدم لا
يكتفي بتخريب الأوعية الكبرى، بل يتسلّل إلى أوعية

الكلية الدقيقة فيخنقها ببطء، فيما يرهق ضغط الدم المستمر تلك الشعيرات حتى تنتهك وتضعف. وهناك أمراض أخرى تصيب الكلية لا تقل خطرًا، كالتهابات الكلى المزمنة، **الكيسات الوراثية**، استخدام المسكنات والمضادات الحيوية بلا روية، إضافة إلى **الانسدادات البولية المهمة** التي تجعل الكلية تعمل ضد نفسها.



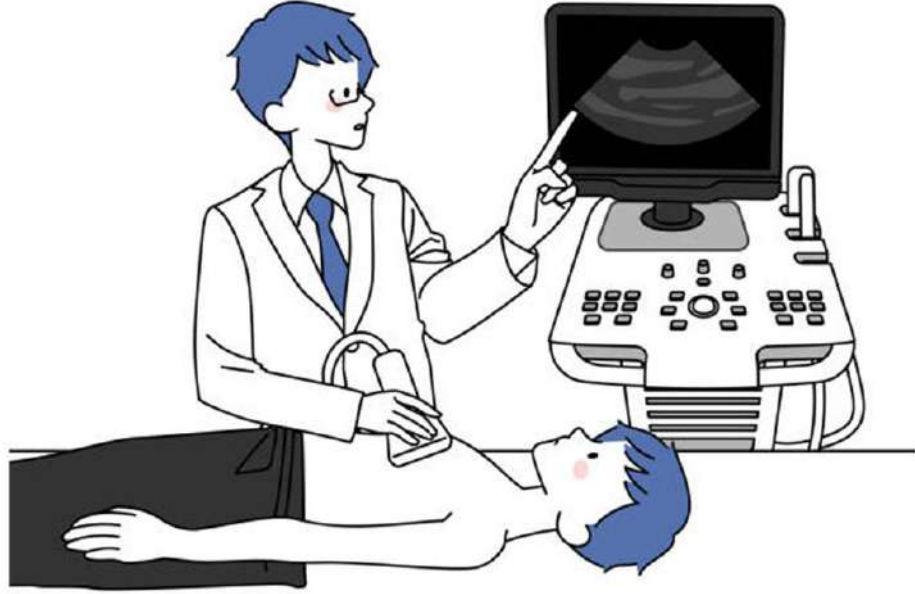
الكيسات الكلوية

وتتجلى أعراض القصور على الجسد كما تتجلى ظلال المرض على وجه الأرض العطشى. في **القصور الحاد**، ينقص البول فجأة أو ينقطع، ويتورّم الوجه والساقان من احتباس الماء، ويغزو الجسد تعب شديد وغثيان وقيء، وتضطرب نبضات القلب حين يختل توازن البوتاسيوم في الدم، وقد يبهت الوعي نفسه إن ارتفعت السموم حدًا لا يُحتمل. أما **القصور المزمن**، فقسته أطول وأشدّ خفاءً: تعب دائم لا تفسير له، شحوب كالرماد نتيجة فقر

دم سببه توقف الكلية عن إفراز الهرمون الذي يأمر
نخاع العظم بإنتاج الكريات، حكة تلسع الجلد في
صمت، انتفاخ في الأطراف، ضيق في النفس حين
تتجمع السوائل في الرئتين، صدادع مزمن لا يرحل،
ارتفاع في ضغط الدم يزيد الطين بلة، وطعم معدني
يملاً الفم، كأن المرارة تسكن في النفس لا في اللسان.

حين يشك الطبيب في القصور الكلوي، يبدأ رحلة بحث
دقيقة في جسد المريض، تبدأ بالعين وتنتهي بالمجهر.
ينصت إلى الجسد، يلحح التورم، يقيس ضغط الدم،
يتحسس الجلد بحثاً عن الجفاف، ثم يطلب من المختبر
أن يتحدث بلسان الأرقام. هناك، تُقاس نسبة الكرياتينين
واليوريا في الدم تلك الفضلات التي تطرحها الكلية
عادةً فتكون هنا مرتفعة ، ويُفحص البول بحثاً عن
البروتين أو الدم أو الخلايا الغريبة. يُحسب معدل
الترشيح الكبيبي، ذلك المؤشر الذي يكشف مدى قدرة
الكلية على تصفية الدم. وتُقاس مستويات الصوديوم
والبوتاسيوم والكالسيوم والفوسفور، إذ يكفي
اضطراب بسيط فيها ليقرب التوازن رأساً على عقب.
وإن احتاج الطبيب أن يرى ما وراء الصمت، أرسل
صوتاً عبر الأمواج فوق الصوتية ليرسم صورة للكلية
في أعماق الجسد **بالإيكو** ، يقيّم حجمها وشكلها، ويبحث
عن انسداد أو تكيس أو ورم، وربما لجأ إلى التصوير
الطبيقي أو الرنين المغناطيسي أو أخذ عينة صغيرة من

نسيجها تُفصح عن حالها تحت المجهر.



وإذا لم يُتدارك الأمر، فإن هذا القصور يتحول إلى سلسلة من المضاعفات التي تمتد إلى كل زوايا الجسد. **فقر الدم** يزداد عمقاً، و **العظام** تضعف حتى تكاد تتكسر من عبء الفوسفور المتراكم ونقص فيتامين (د)، و **ضغط الدم** يعلو فوق السيطرة، و **القلب** يتعب من مقاومة السوائل المحتبسة، و **الرئتان** تفيضان بالماء، و **الأعصاب** تصرخ في صمتها، و **الجهاز المناعي** يذبل، فيصبح الجسد سهل الغزو من أبسط عدوى. وفي النهاية، إن تُرك المرض من دون علاج، يفيض السم في الدم حتى يصبح **الغسيل أو الزراعة** سبيل البقاء الوحيد.

غير أن الطريق إلى الوقاية ليس مستحيلاً، بل يبدأ بخطوات صغيرة من وعي الإنسان بنفسه. فحماية الكلى

تبدأ بحماية ما يتقل كاهلها : ضبط السكر في الدم،
والسيطرة على ضغط الدم، والإكثار من شرب الماء
باعتدال، والابتعاد عن الاستخدام العشوائي للأدوية،
خاصة المسكنات التي يستسهلها الناس، والفحص
الدوري الذي يكشف المرض قبل أن يتجذر، ومعالجة
الالتهابات البولية الصغيرة قبل أن تتسلل إلى عمق
الكلية، واتباع نمط حياة متزن في الغذاء والحركة،
بعيد عن الإفراط في الملح والبروتين والتدخين و
الكحول.

أما حين تقع الواقعة ويحدث القصور، فلكل مرحلة
علاجها. في القصور الحاد، تُشن حملة عاجلة لإنقاذ ما
يمكن إنقاذه : يُعاد للجسد ما فقده من سوائل، ويُضبط
الضغط، ويُوقف النزيف، وتُسحب الأدوية السامة،
وتُزال الانسدادات التي تعيق انسياب البول، وأحيانًا لا
مفر من اللجوء إلى الغسيل الكلوي المؤقت لتنقية الدم
حتى تستعيد الكلية أنفاسها. كثيرًا ما تعود الكلية إلى
عملها إذا حُسن التدخل، وكأنها نهضت من إغماءة
مؤقتة.

أما القصور المزمن، فقصته مع الزمن أطول وأكثر
تعقيدًا. لا شفاء منه بمعناه الكامل، بل ترويض له،
إبطاء لزحفه الصامت، ورعاية دقيقة لما تبقى من قدرة
الكلية. العلاج هنا يعني ضبط ضغط الدم والسكر بدقة،
واتباع حمية غذائية صارمة تُخفف العبء عن الكلية:

تقليل البروتين الحيواني، والحد من الملح والبوتاسيوم، ومراقبة الفوسفور. وتُستخدم الأدوية لتنظيم الأملاح ولتحفيز إنتاج الدم، بينما تُعطى المدرات لتخفيف السوائل. وحين تضعف الكلية تمامًا، يُستعان **بجهاز الغسيل** الذي يقوم مقامها، يُنقى الدم كما كانت تفعل هي، ثلاث مرات في الأسبوع، لعدة ساعات في كل مرة.



إنه علاج شاق لكنه ينقذ الحياة، حتى يأتي الحل الأسمى : **زراعة كلية جديدة** تعيد للإنسان توازنه وحريته. غير أن الزراعة ليست بابًا مفتوحًا للجميع؛ تحتاج إلى توافق دقيق بين الأنسجة، وإلى التزام مدى الحياة بأدوية تمنع الجسد من رفض العضو المزروع.

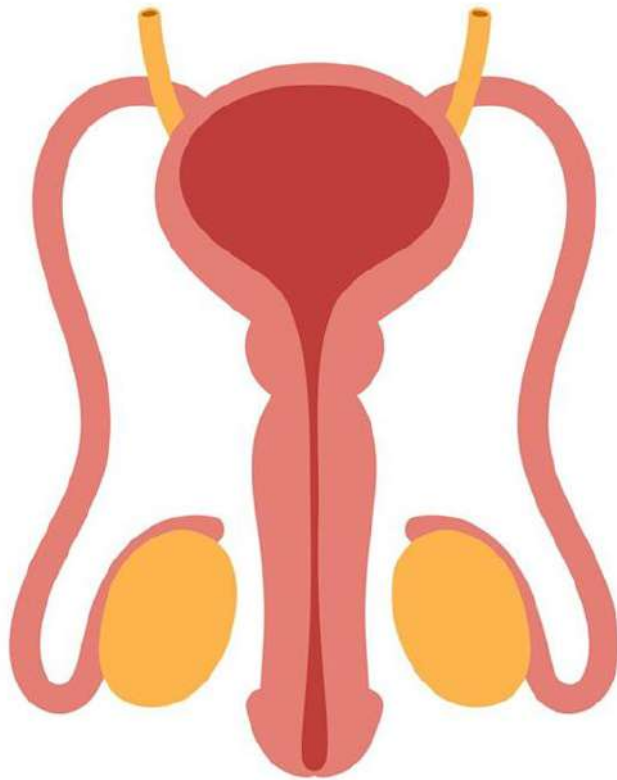
ويتعلم المريض مع الوقت أن يتعايش مع هذا الرفيق

الثقيل. أن يعرف جسده معرفة حميمة، أن يلتزم بالمواعيد، وأن يراقب التغيرات في بوله وجلده ونفسه، وأن يجد في الدعم العائلي والروحي سندًا في رحلة طويلة من الصبر. فالحياة مع القصور الكلوي ليست مجرد معركة مع المرض، بل هي تمرين على الانضباط والوعي والامتنان لما بقي يعمل في الجسد من معجزات.

وفي النهاية، حين نتأمل هذا المرض، نرى أنه ليس مجرد عطب في عضو صغير، بل رسالة رمزية عن التوازن ذاته. الكلية تُعلّمنا أن النقاء يحتاج إلى جهد، وأن التصفية لا تكون إلا بالماء الجاري بلا عوائق، وأن الجسد مثل الروح، إذا تراكمت فيه السموم، اختنق ببطء. والقصور الكلوي يذكر الإنسان بأن كل ما في جسده مترابط، وأن الحياة لا تُدار بالعشوائية بل بالتوازن الدقيق بين الأخذ والعطاء، كما تفعل الكلية حين تُبقي الدم نقيًا والحياة ممكنة. وربما كان في ضعفها ما يذكرنا بضعفنا نحن، وبأننا لسنا سوى كائنات تعيش على توازن هش بين النور والظل، بين الماء والنار، بين ما يُصقّى وما يبقى عكرًا، وبين حكمة الخالق في أن يعلمنا من خلال المرض كيف نصغي إلى أجسادنا، فنفهم أنفسنا، ونحيا بوعي أعمق لجمال الحياة وهشاشتها.

أمراض الجهاز التناسلي الذكري (ميراث السنين)

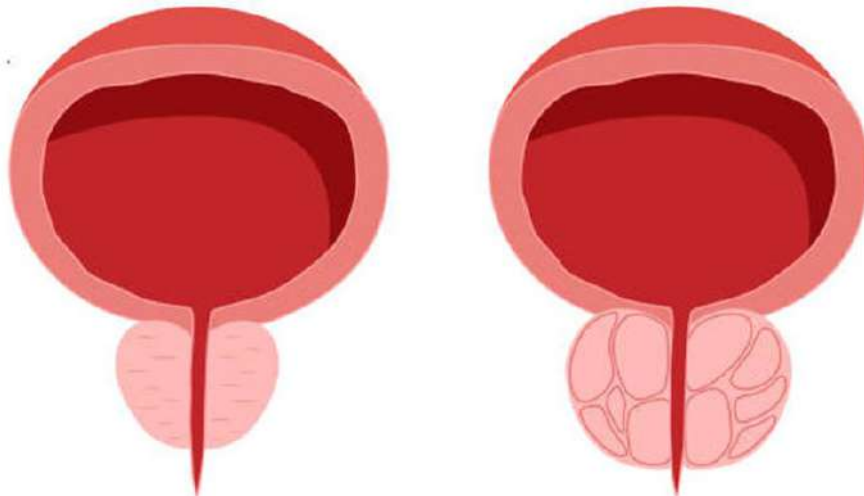
في البدء كان الجسد، معجزةً من لحمٍ وروح، وجهازه التناسلي واحدٌ من أكثر مناطقهِ سرًّا وتعقيدًا. هو مهدُّ البذور واستمرار الحياة، الموضع الذي تختلط فيه الفطرة بالغريزة، واللذة بالقدرة، والموت بالحياة الجديدة. في عمق الجسد الذكري، حيث تلتقي الغدد بالقنوات، وحيث تجتمع الهرمونات لتصوغ ملامح الرجولة، ثمة توازنٌ دقيق لا يراه أحد. إنه عالمٌ صامتٌ من الأنابيب المتشابكة والغدد الخفية التي تعمل في انسجامٍ بديع، وحين يختل هذا الانسجام، تتجلى أمراضٌ لا تمس الجسد وحده، بل تمس صورة الرجل في نفسه، إحساسه بقوته، ورؤيته لوجوده.



يبدأ الحديث عن هذا الجهاز من حيث تبدأ الحياة نفسها :
من الخصيتين اللتين تنتجان النطفة، ومن البروستات

التي تحيط بعنق المثانة كخاتمٍ من عضلاتٍ وغددٍ
تحرس بوابة السيل المنوي، ومن القضيب الذي يختزل
في امتداده الطويل قصة البذل والخصب. ومع مرور
الزمن، كما تشيخ الأشجار وتلين الصخور، تتعب هذه
الأعضاء من الدوران في عجلة الهرمونات، فيبدأ
الاضطراب يزحف على صمتها، وتتكشف أمراضها
كما تنكشف الأسرار على ضوء الشيوخوخة.

أول ما يطرق باب الرجال في منتصف العمر وما بعده،
مرضٌ صامت في بدايته، حلیم في مظهره، لكنه يتسلل
بخطى وئيدة إلى أعماق الحياة اليومية : **ضخامة
البروستات**. تلك الغدة الصغيرة التي لا تتجاوز حجم
الجوزة في شباب الرجل، تبدأ مع السنين بالانتفاخ
البطيء، حتى تكبر وتضغط على عنق المثانة والإحليل،
فتضيق القناة التي يعبر منها البول، وتبدأ المعاناة التي
لا يعلن عنها كثيرون خجلاً أو استهانة.



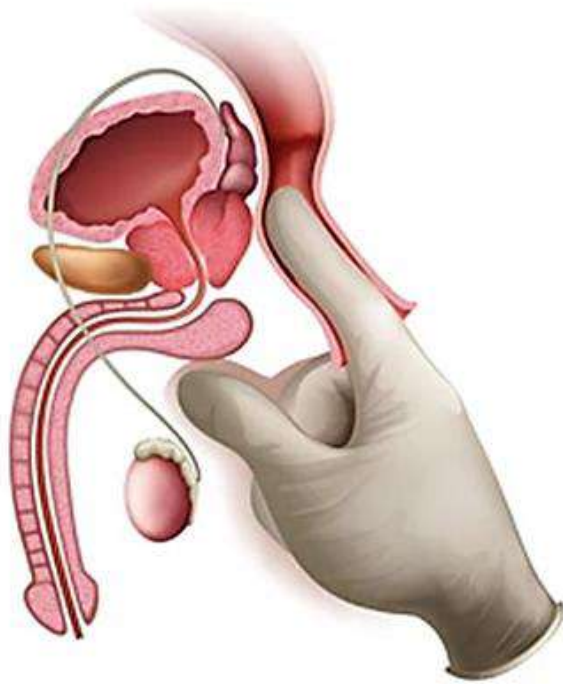
الضخامة في جوهرها ليست ورماً خبيثاً، بل تضخم

حميد ينشأ من تأثير الهرمونات الذكرية التي لا تتوقف عن تحفيز خلايا البروستات مع تقدم العمر. ومع الزمن، ينقسم النسيج ويتكاثر كما لو أنه يحاول مقاومة الفناء، فيتحول هذا النمو إلى عبءٍ على الجسد بدل أن يكون علامةً على الحيوية. لا يعرف الطب بعد سرّ هذا التضخم تمامًا، لكنه يرى في العمر والعوامل الوراثية والاختلالات الهرمونية الأسباب الأكثر احتمالًا، ويضيف إليها أنماط الحياة المترفة، وقلة الحركة، وكثرة الدهون، كعوامل تزيد من فرص ظهوره.

وفي البداية لا يشعر الرجل بشيء سوى **تباطؤ طفيف في اندفاع البول**، لكن الأيام تُظهر ما تخفيه الساعات. تصبح **الحاجة إلى التبول متكررة**، خاصة في الليل حين يوقظ امتلاء المثانة نومه. **يضعف التيار ويشعر بأن شيئًا من البول يبقى عالقًا لا يغادر**. ومع ازدياد التضخم، يتسع الاحتباس، وتتعكر حياة الرجل بين الخجل والألم. **تتورم المثانة من الداخل، وقد تتراجع السوائل نحو الكليتين فترهقهما**، ويتحول الإهمال إلى كارثة صامتة.

ولأن المرض لا يُرى بالعين المجردة، يعتمد الطبيب على لغة الجسد التي تُترجمها الفحوص. يبدأ الفحص **بالتحسس اللطيف من طريق المستقيم ليقدّر حجم الغدة وصلابتها**. ثم تأتي **التحاليل** التي تكشف عن مستوى

مركّب خاص تفرزه البروستات في الدم، وهي إشارة دقيقة إلى وجود تضخم أو التهاب أو ورم. ويُستخدم **التصوير بالأمواج فوق الصوتية** ليرى شكل الغدة وحدودها، ويُقاس ما تبقى من البول بعد التبول. إنها رحلة بحث دقيقة بين الغدة والمثانة وما بينهما من قنوات وأنسجة.



أما العلاج، فمزيجٌ من الصبر والخيارات التي يحددها حجم المعاناة. في المراحل الأولى تُستخدم **الأدوية** التي ترخي عضلات البروستات وتفتح عنق المثانة، أو تلك التي تقلص حجم الغدة تدريجيًا. ومعها يُنصح المريض **بتقليل السوائل قبل النوم، والابتعاد عن المنبهات، وممارسة الحركة اليومية التي تنشط الدورة الدموية.** لكن حين لا يجدي الدواء، وحين يشتد الضغط حتى يُعطّل انسياب الحياة، يلجأ الطب إلى **الجراحة الدقيقة**

التي تستأصل الجزء المتضخم أو تفرّغ مجراه. وبين الدواء والمشرط، يعيش الرجل صراعًا بين كبريائه الجسدي وحاجته إلى الراحة.

إلى جانب هذا المرض الشائع، تمتد أمراض أخرى كظلالٍ تحيط بعالم الجهاز التناسلي الذكري، ولكلٍّ منها لغته الخاصة ومعناه العميق. هناك **التهاب البروستات**، ذلك الألم الغامض الذي يجمع بين الحمى والألم وصعوبة التبول. قد يكون سببه عدوى بكتيرية تدخل من الإحليل أو تنتقل من المثانة، فتشعل في الغدة نارًا خفية تجعل المريض يعيش تناقضًا بين الرغبة في التبول والعجز عنه. أحيانًا يكون الالتهاب مزمنًا لا يرحل بسهولة، فيستقر الألم بين العانة وأسفل الظهر، ويتحول الجلوس إلى عذاب. ويعتمد تشخيصه على **الفحص والتحاليل التي تكشف عن البكتيريا في البول أو في إفرازات البروستات**. أما العلاج، **فبالمضادات الحيوية والمسكنات، وبالراحة التي تتيح للجسد أن يُطفئ التوتر المتراكم فيه**.

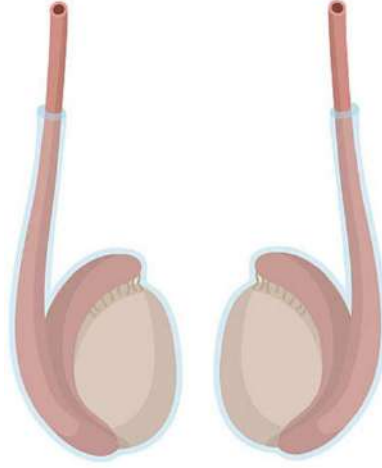
ثم هناك **سرطان البروستات**، الضيف الثقيل الذي يزور الكبار بصمت ويقيم طويلًا قبل أن يُكتشف. يبدأ كورم صغير في أعماق الغدة، لا يسبب ألمًا ولا أعراضًا في البداية، ثم يزداد حجمًا حتى يحدث الأعراض نفسها التي تحدثها الضخامة الحميدة. لكن **تحاليل الدم**

والموجات فوق الصوتية، وأحيانًا الخزعة الدقيقة، هي التي تكشف إن كان الأمر مجرد تضخم بريء أو ورم خبيث. وقد تتفاوت العلاجات بين **الجراحة والعلاج الإشعاعي والهرموني**، بحسب المرحلة والعمر وقوة الجسد. ومع ذلك، فإن كثيرًا من سرطانات البروستات تنمو ببطء شديد، حتى إن بعض المرضى يعيشون معها سنوات طويلة دون أن تهدد حياتهم، كأن المرض اختار التعايش بدل الهجوم.

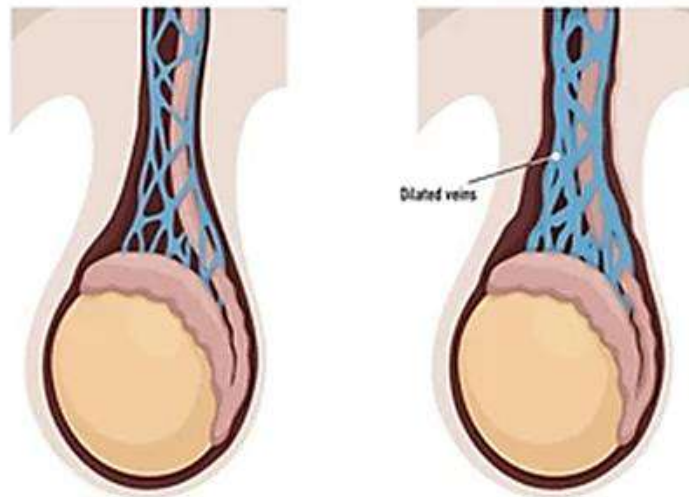
ولا يمكن الحديث عن الجهاز التناسلي دون ذكر **الضعف الجنسي**، وهو ليس مجرد عجز في أداء، بل مرآة لحالة الجسد والعقل معًا. قد يكون سببه اضطرابات الأوعية الدموية أو السكري أو الأدوية، وقد يكون نتيجة توتر نفسي يخلق في صمت. الجسد هنا يتحدث بلغة الرموز : ضعف الانتصاب يعني ضعف الدورة الدموية، يعني القلب نفسه يرسل إشارة من بعيد. لذلك لا يُعالج هذا العرض بالمنشطات وحدها، بل بفهم شامل لصحة الرجل البدنية والنفسية.

أما **التهابات الخصيتين والبربخ**، فتأتي غالبًا بعد عدوى، فتورم الخصية وتشتد حرارتها، ويغدو المشي أو الجلوس مؤلمًا. هنا أيضًا يتحدث الجسد بألمه ليذكر صاحبه بضعفه وبحاجته إلى العناية. يُشخص الطبيب الالتهاب **بالفحص والتحليل**، ويُعالج **بالمضادات**

الحوية وبالراحة والكمادات الدافئة. وإن أهمل، فقد يترك أثرًا على الخصوبة، فيتجلى المرض في صورة فقدان القدرة على الإنجاب.



وهناك **الدوالي الخصوية**، وهي أوردة تتسع حول الخصية كخيوط زرقاء **تفقد مرونتها، فتعيق تبريد الخصية وتضعف إنتاج النطفة**. غالبًا ما تظهر في الشباب، وتُكتشف صدفة أو بسبب شكوى من الألم أو تأخر الإنجاب. علاجها **جراحي بسيط** لكنه يعيد التوازن الحراري للخصية كما يُعاد جريان النهر بعد إزالة السدود.



ومن خفايا هذا الجهاز أيضاً **سرطان الخصية**، الذي يصيب في الغالب الشباب في عزّ عمرهم. ورغم ندرته، إلا أنه يُعدّ من أكثر السرطانات قابلية للشفاء إذا كُشف مبكرًا. يبدأ بورم صغير غير مؤلم، يشعر به المريض صدفةً، لكن التشخيص **بالموجات فوق الصوتية والتحليل الهرموني والخزعة** يحدد مصيره. العلاج هنا يجمع بين **الجراحة والعلاج الكيميائي أو الإشعاعي**، والشفاء فيه ليس مستحيلًا، بل شائعًا حين يُكتشف باكراً.

وربما كان أغرب ما في أمراض هذا الجهاز أنّها تمسّ أكثر ما يربط الرجل بذاته : خصوبته، قدرته، رجولته كما يفترض وهماً عندما يطرق **العقم** بابه . ولذا فإنها ليست مجرد عللٍ عضوية، بل جراحٌ في المعنى، صراعٌ بين الطبيعة والوعي، بين جسدٍ يشيخ وروح تتشبث بالشباب. الطبّ هنا لا يصف أدوية فقط، بل يقدّم عزاءً فلسفيًا للإنسان الذي يرى نفسه يفقد ما كان رمز قوته.

إن الجهاز التناسلي الذكري، رغم ما يختزنه من قدرة، هشٌّ كخيوط من نور، متوازنٌ على حافة بين الفيض والنقصان. حين يعمل بانسجام، يمنح الحياة معناها واستمراريتها، وحين يختل، يكشف هشاشة الإنسان أمام دورة الطبيعة التي لا ترحم. ومع ذلك، فإن كلّ مرضٍ

فيه يحمل في طيّاته درسًا : أن القوة ليست في الصلابة الدائمة، بل في القدرة على الإصلاح، على التجدد، على قبول أن الجسد كالأرض، يحتاج إلى رعاية دائمة كي يثمر من جديد.

وفي النهاية، حين ننظر إلى هذا الجهاز لا كأداة للإنجاب فحسب، بل كبنية رمزية للخلود، نفهم أنّ أمراضه ليست مجرد خلل عضوي، بل إشارات إلى رحلة الإنسان بين الفناء والخلود. فالبروستات التي تتضخم ببطء كأنها ترفض التوقف، والخصية التي تتعب من إنتاج الحياة، والقضيب الذي يخبو ثم يستعيد قدرته، كلها رموزٌ عميقة في مسرح الجسد. إنها تذكّرنا بأن الحياة ليست ديمومة القوة، بل حكمة التناوب بين الامتلاء والفراغ، بين الفيض والانحسار، بين ما يمنح وما يُستنزف.

وفي صمت الليل، حين يوقظ ألم التبول أو قلق الشيخوخة الرجل من نومه، ليتلمّس ثقل الزمن في خاصرته، يدرك شيئًا لم يدركه من قبل : أن الجسد ليس خصمًا، بل مرآة. وأن البروستات التي تؤلمه إنما تذكّره أنه عاش، أنه تذوّق الحياة حتى آخرها، وأن كل تضخم فيها ليس إلا صدى لامتلاء عاشه من قبل. فكما تنمو الأشجار القديمة في جذوعها عقدٌ تحمل ذاكرة الرياح، تنمو في أجسادنا أمراضٌ تحمل ذاكرة أعمارنا.

وهكذا، يكون المرض أحيانًا كتابًا آخر نقرأ فيه معنى الحياة، وندرك أن الإنسان، مهما ضعف جسده، يظل كائنًا يسعى إلى البقاء، لا بجسده وحده، بل بما يتعلمه من كلّ وجعٍ يمنحه بصيرة.



أمراض الجهاز

الهضمي

(ما يدخل إليك يظهر عليك)

في أعماق الجسد، حيث يبدأ الوجود المادي في التفاعل مع العالم الخارجي، يقبع الجهاز الهضمي كأنه نهر الحياة الخفي، يبدأ من الفم الذي يتذوق العالم، ويمتد في رحلة طويلة عبر المريء والمعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس حتى ينتهي في صمت الإخراج. هو الجهاز الذي يترجم ما تأكله إلى ما أنت عليه، يحوّل المادة إلى طاقة، والطعام إلى فكر، وكأنّه مختبر كيميائي داخلي يصهر العالم الخارجي ليعيد تشكيله فيك. ولأنّه بوابة التماس بين الداخل والخارج، فهو أكثر الأجهزة عرضةً لأمراضٍ لا تتبع من العطب وحده، بل من نمط الحياة نفسه، من توتر الإنسان، من طمعه في الملذات، ومن اضطرابه الداخلي.



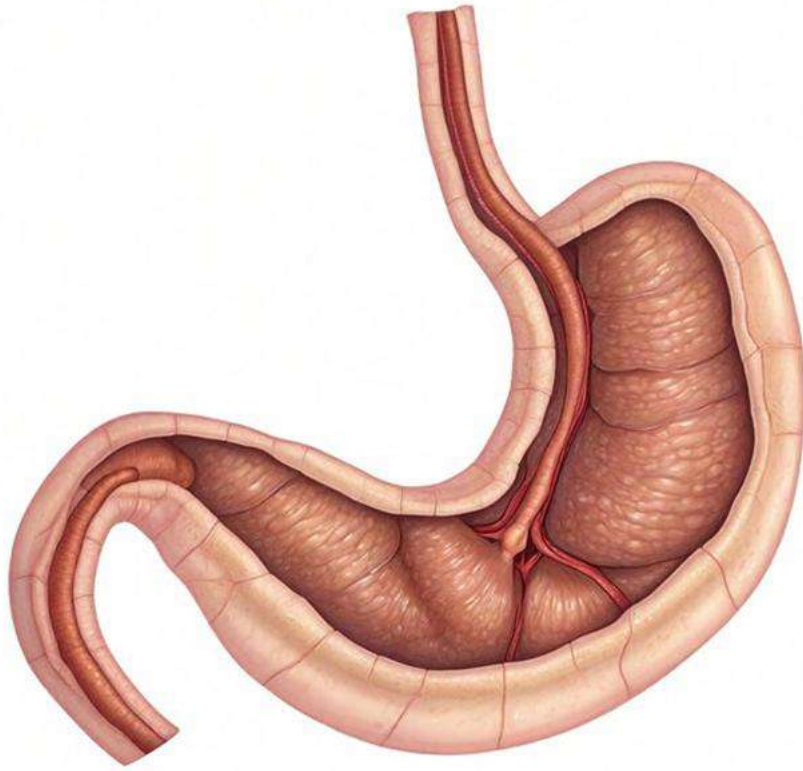
لقد عرف الإنسان منذ القدم آلام بطنه كأول أسرار المرض. كان يُمسك موضع معدته حين يجوع أو

يغضب أو يخاف، كأنها مركز عواطفه لا أحشاؤه فقط. واليوم، رغم كل ما بلغته العلوم، لا يزال هذا الجهاز من أكثر الأجهزة شكوى، كأنه مرآة لحياتنا المعاصرة المليئة بالعجلة والضغط والإفراط. من حرقة المعدة التي تعكس احتراق النفس، إلى قرحات تنزف بصمت، إلى التهابات تشتعل كالنار في المريء أو القولون، إلى أورام تنشأ في العتمة كخيانة داخلية.

ولعلّ **التهاب المعدة والقرحة الهضمية** من أكثر ما يشغل أطباء الجهاز الهضمي. فالمعدة، تلك الغرفة العضلية المفعمة بالحموضة، التي تهضم الحديد كما تهضم الخبز، تصبح أحياناً ضحية نفسها. حين يختل توازنها بين الحمض والمخاط الحامي، يبدأ جدارها في التآكل. وقد تكون الأسباب واضحة أحياناً : جرثومة دقيقة تدعى **الملوية البوابية**، تسكن بطانة المعدة كضيفٍ ماهر، تخرب بهدوء وتحدث التهابات مزمنة قد تمتد إلى القرحة. وأحياناً يكون السبب إنساناً مثقلاً بالهم، يتناول المسكنات كحلوى، أو يدمن القهوة والتدخين، أو يترك التوتر يأكل معدته كما تأكل الحموضة الجدار.

تبدأ القصة بحرقّة بعد الطعام، وغيثان خفيف يزداد مع الفراغ، وألم في أعلى البطن كجمرة تتوهج بعد كل وجبة. ومع الزمن، قد ينزف الجدار، فيغدو القيء دموياً

أو يصبح البراز قاتمًا كالفحم. أما التشخيص، فحكاية تُروى بالأدوات الحديثة : **منظار يدخل إلى أعماق المعدة ليرى الجرح بعينه، واختبار للتنفس أو البراز يكشف أثر الجرثومة.** والعلاج، كإصلاح ميزان الكون، يبدأ **بتهديئة الحمض بالأدوية التي تغلق صمامات الإفراز، مع مضادات للجرثومة تقتلعها من جذورها، ونظام غذائي يعيد للمعدة هدوءها المفقود.** وهنا يتعلم الإنسان درسًا بسيطًا : أن النار لا تُطفأ بالنار، وأن المعدة لا تشفى إلا إذا هُدا ما يحترق في النفس أولاً.



أما **الارتجاع المعدي المريئي**، فهو حكاية أخرى بين الأعلى والأسفل. حين يضعف الصمام الذي يفصل المريء عن المعدة، يعود الحمض إلى طريق لا ينبغي له العودة إليه، فيلسع جدار المريء ويزرع فيه التهابات

مزمنة. يشعر المريض بحرقّة تصعد إلى الصدر بعد الطعام أو عند الاستلقاء، بطعم لاذع في الفم، وسعال ليلي لا تفسير له. ومع الوقت، إن أهمل الأمر، قد يتبدّل نسيج المريء نفسه في محاولة بائسة للتكيف. هنا، يُشخّص المرض **بالمنظار أو بقياس الحموضة**، ويُعالج بتغيير نمط الحياة قبل الدواء: تقليل الوجبات الدسمة، رفع الرأس أثناء النوم، ترك التدخين والكحول، ثم يأتي العلاج الدوائي ليسدّ منابع الحموضة. إنّهُ مرض العصر، ابن العجلة والوجبات السريعة والجلوس الطويل، كأنّ المريء يقول لصاحبه: (اهدأ، فالعالم ليس سباقًا) ..

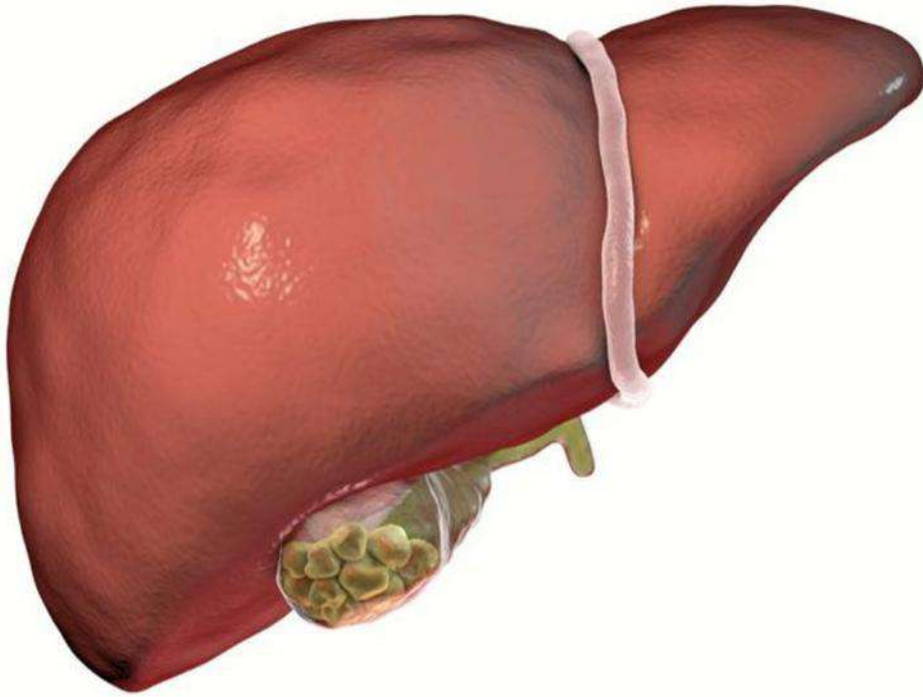
وفي الأعماق التالية، حيث تتلوى الأمعاء كأفعى زرقاء طويلة، تكمن **متلازمة القولون العصبي**، ذلك المرض الذي لا يترك أثرًا في الأنسجة لكنه يعذب صاحبه كما لو كان مرضًا حقيقيًا من لحم ودم. إنه اضطراب في التوازن بين الأعصاب والأمعاء، بين ما تفكر به وما تهضمه. تتقلص الأمعاء حين يغضب صاحبها، وتنتفخ حين يقلق، وتعصي الأوامر حين يخاف. ألمه غامض، يأتي ويذهب، يرافقه إسهال أو إمساك أو كلاهما، وانتفاخ يجعل البطن سجنًا. يبحث الطبيب عن سببٍ فلا يجد، يجري الفحوصات فتأتي سليمة، **لأن العطب في الجوهر، لا في الجدار.** العلاج هنا أشبه بتهذيب الروح: تنظيم الطعام والنوم، تخفيف التوتر، استخدام الأدوية

بذكاء لا بإفراط، وتعلّم الإصغاء إلى الجسد قبل أن
يصرخ. فالقولون العصبي هو في حقيقته مرآة القلق
المعاصر، مرضٌ لا يُشفى بالدواء وحده بل بالسلام
الداخلي.



غير بعيدٍ عنه يقف **داء الكبد** بأطيافه المختلفة، من
التهاب الفيروسي إلى الكبد الدهني والتشمع. الكبد،
تلك الغدة العظيمة التي تعمل كحارسٍ على بوابة الدم،
تُنقّي السموم وتصنع البروتينات وتخزن السكر، حين
تُصاب بفيروسٍ خفي **كالتهاب الكبد B** أو **C** تبدأ
معركة صامتة بين الخلايا والمناعة. قد يمرّ المرض
سنواتٍ دون أعراضٍ، إلى أن يظهر التعب واليرقان
وانتفاخ البطن وتغيّر لون البول. يُكشف المرض **بتحليل**
الدم، ويُرى وجهه في **التصوير**، ويُؤكّد أحيانًا **بأخذ**

عينة صغيرة. العلاج اليوم أصبح ممكنًا بفضل الأدوية الحديثة التي تقتل الفيروس وتعيد للكبد عافيته، لكن الشرط الأكبر هو الوعي للوقاية : الوقاية بالتطعيم، وتجنب العدوى بالدم أو الأدوات الملوثة، والامتناع عن الكحول والمخدرات التي تخرّب الكبد كما تخرّب الأخلاق.



أما **التهاب المرارة وحصواتها**، فهي قصة الحصى التي تتكوّن من صمّتٍ طويل. حين يزداد تركيز العصارة الصفراوية في كيس المرارة، تتشكل الحصى الصغيرة كحباتٍ من الرمل، وقد تظل ساكنة إلى أن تتحرك في الممرات فتسدّها. عندها يصرخ الجسد بألم حادٍ في الجانب الأيمن من البطن ، يمتد إلى الكتف، مصحوب بالغثيان والحمى. يشخّص الأمر **بالموجات فوق الصوتية**، ويُعالج في البداية **بالمضادات الحيوية**

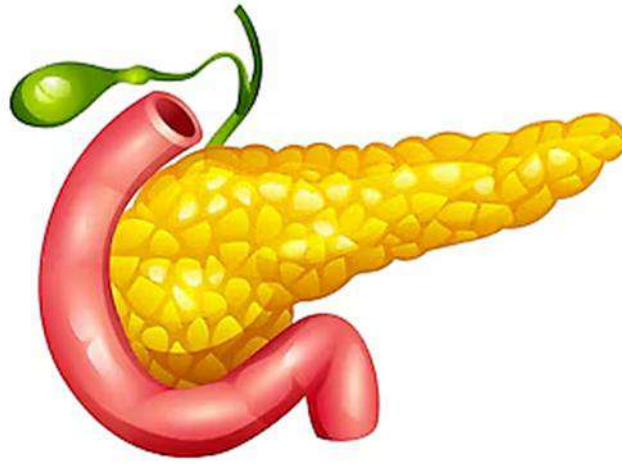
والمسكنات، لكن الحل الجذري غالبًا جراحي، بإزالة المرارة كلها. فالحصى، مثل بعض الأفكار، لا تُزال إلا من جذورها.

ولا يمكن الحديث عن الجهاز الهضمي دون المرور بالتهاب القولون التقرّحي وداء كرون، وهما من أمراض المناعة الذاتية التي تهاجم الأمعاء كما يهاجم الجسد نفسه في لحظة فقدان البوصلة. التهاب القولون يشتعل في المستقيم ويمتد إلى الأمعاء الغليظة، محدثًا تقرحاتٍ ونزيفًا وإسهالًا متكررًا وفقدان وزنٍ وحمى.

أما داء كرون، فيمكن أن يصيب أي جزءٍ من القناة الهضمية، من الفم إلى الشرج، مسببًا تضيقات وتشوهاتٍ وتعبًا مزمنًا. يشخص المرض بالمنظار والفحوصات المخبرية والتصوير، ويُعالج بمثبطات المناعة والكورتيزون والعلاجات البيولوجية. لكنه يظلّ أكثر من مجرد مرضٍ عضوي؛ إنه صراع بين الجسد ونفسه، بين نظامٍ فقد قدرته على التمييز بين الذات والآخر.

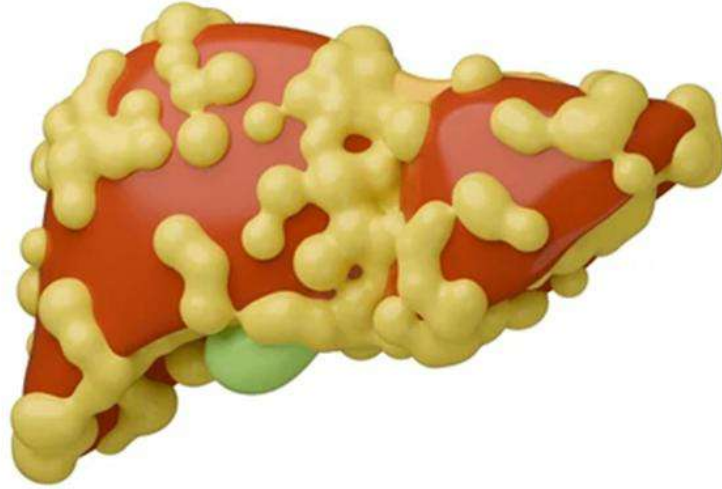
وفي زاويةٍ أخرى من الجسد، هناك التهاب البنكرياس، ذلك العضو الذي يعمل ككيميائيٍّ ماهرٍ يفرز الإنزيمات التي تهضم كل شيء. حين يشتعل البنكرياس، تنقلب هذه الإنزيمات عليه، فتبدأ بهضم نسيجه نفسه، مسببًا ألمًا حارقًا يمتد إلى الظهر، وغثيانًا، وارتفاعًا في

الحرارة. قد يكون السبب **حصاة صغيرة تسدّ القناة الصفراوية**، أو **إفراطاً في شرب الكحول**، أو ارتفاعاً في **الدهون**، أو **دواءً معيناً**. يُشخّص المرض **بتحليل الدم وصور الأشعة**، ويُعالج بالراحة والتغذية الوريدية والسيطرة على الألم حتى تهدأ العاصفة. لكن البنكرياس لا ينسى الإساءة؛ فالتهابٌ متكرّرٌ فيه قد يتحول إلى مرضٍ مزمن أو سرطانٍ صامتٍ لا يُكتشف إلا بعد فوات الأوان.



أما **سرطانات الجهاز الهضمي**، فهي الوجه الأكثر قسوة في هذه الرحلة. من **سرطان المعدة** الذي يزحف بصمتٍ بعد قرحةٍ مهملة، إلى **سرطان القولون** الذي يبدأ بورمٍ صغيرٍ يمكن اكتشافه مبكراً لو أُجري تنظيرٌ دوري. الأعراض هنا خادعة: فقر دم لا تفسير له، نزيفٌ خفي، تغييرٌ في نمط التغوّط، فقدان وزنٍ غامض. لكن الاكتشاف المبكر يغيّر المصير، والعلاج اليوم، ما بين **الجراحة والعلاج الكيميائي والمناعي**، أصبح أكثر فاعلية من ذي قبل.

وربما **كان الكبد الدهني**، الذي تفشى بين الناس كالنار في الهشيم، المرأة الأصدق لحياتنا الحديثة. إذ تتراكم الدهون في خلايا الكبد بسبب قلة الحركة والإفراط في الأكل، تمامًا كما تتراكم الأفكار غير المهضومة في عقولنا. إنه مرض صامت، لكنه يُنذر **بتشمع** بطيءٍ إن لم يُكبح جماحه. العلاج ليس دواءً بقدر ما هو عودة إلى البساطة : **غذاء متزن، حركة يومية، تخفيف الوزن، وامتناع عن الكحول.**



كل هذه الأمراض، على اختلافها، تشترك في شيءٍ واحد : إنها ليست مجرد عطبٍ في عضو، بل انعكاسٌ لطريقة عيشنا وتفكيرنا. الجهاز الهضمي هو الجسر بين العالمين، بين ما نبتلعه من الخارج وما نهضمه في الداخل. وكل اضطرابٍ فيه هو رسالة من الجسد تقول :
(ما يدخل إليك .. يظهر عليك)

وفي نهاية هذه الرحلة الطويلة عبر أحشاء الإنسان، لا

بد من وقفة فلسفية أمام هذا الجهاز الذي يجمع بين
المادة والروح. فالهضم ليس فعلاً بيولوجياً فقط، بل
مجازاً للوجود ذاته. نحن نهضم ما نأكل، لكننا أيضاً
نهضم ما نرى ونسمع ونشعر. وما لم نهضمه يتحوّل
إلى مرض، سواء في الجسد أو في الوجدان. فكما تتخم
المعدة بالطعام الرديء، تتخم الروح بالأفكار الثقيلة
والمشاعر المسمومة.



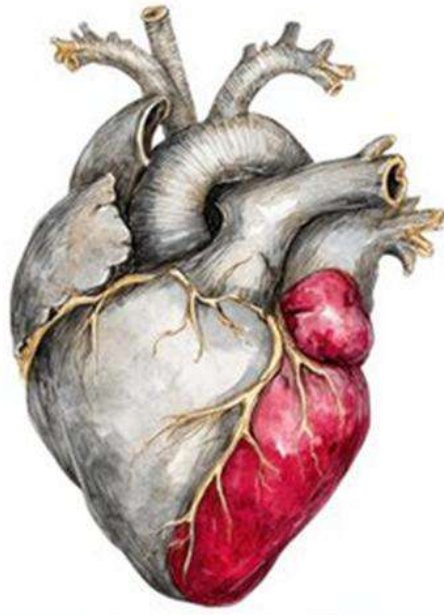
إنّ أمراض الجهاز الهضمي، بكل ما فيها من ألم
واحتراقٍ وامتلاء، هي دروس في التوازن والاعتدال.
إنها تقول لنا إنّ الإنسان لا يُقاس بما يأكل، بل بما
يهضم، لا بما يملأ معدته، بل بما يحتل قلبه من
طمأنينة. والشفاء الحقيقي يبدأ حين يدرك المرء أنّ
الجسد لا يريد سوى البساطة، وأنّ راحة المعدة لا
تتفصل عن راحة الضمير، وأنّ **كل طعام يدخلنا هو**

عقدٌ غير مكتوبٍ بيننا وبين الحياة. ومن لا يحترم هذا
العقد، يجد في أحشائه ثورة صامتة تعيده إلى أصل
الحكمة الأولى : إنّ الإنسان كوكبٌ صغير، وإنّ النظام
في داخله هو شرطُ بقائه في مدار الحياة.

أمراض القلب

(عطل في المضخة)

في أعماق الجسد، خلف الصدر الذي يتقلّد أنفاسنا،
ينبض عضو صغير لا يتجاوز حجم قبضة اليد، لكنه
أقوى من كل إرادة عرفها الإنسان. إنّه القلب، الكاهن
الأعظم في معبد الجسد، لا ينام ولا يتوقف، يضخّ الدم
كما تضخّ الروح المعنى في الوجود. فيه تتلاقى الفيزياء
بالعاطفة، والعلم بالشعر، فهو في الوقت ذاته محرك
الحياة ومركز الإحساس. ومنذ عرف الإنسان ذاته،
أدرك أنّ هذا العضو الغامض ليس مجرد مضخة، بل
رمز للوجود كلّّه؛ فعندما يتعب القلب، يتعب الكون
الصغير الذي نحمله في صدورنا.



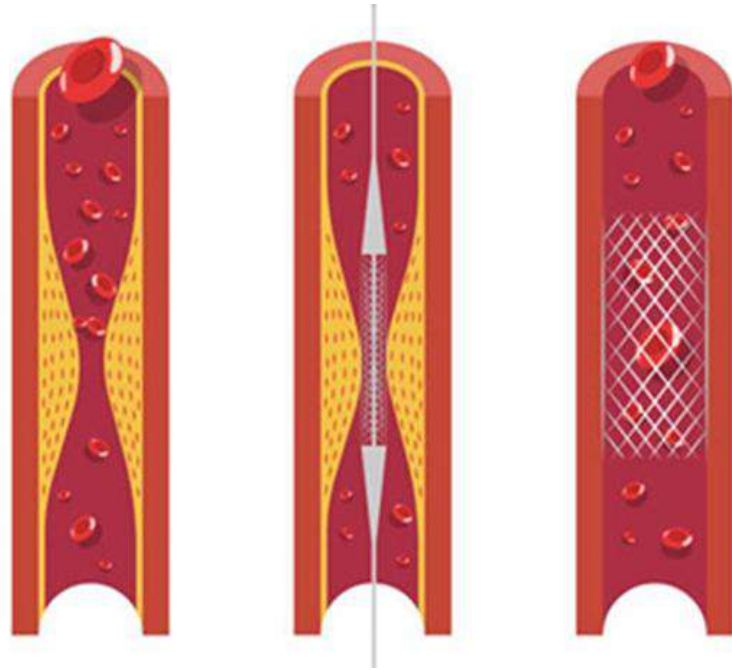
ولأنّه يحمل على عاتقه عبء النبض المستمر، فهو
أكثر الأعضاء عرضةً للخلل. أمراض القلب هي
صدى الزمن داخل الجسد، ومرآة لعاداتنا ومشاعرنا
وحياتنا اليومية. فكما يشيخ الإنسان بالسنوات، يشيخ
قلبه بما أكل وشرب وشعر وخاف. وليس غريباً أن

تكون هذه الأمراض اليوم القاتل الأول للبشرية في العالم، فهي تحصد الأرواح بهدوء، كما يطفئ الغروب ضوء النهار.

أول ما يتسلل إلى قلب الإنسان هو **داء الشرايين التاجية**، المرض الذي ينسج خيوطه ببطء على جدران الشرايين التي تغذي القلب نفسه. تلك الأنابيب الدقيقة التي تحمل الدم المليء بالأكسجين تصبح ممرات ضيقة، بعد أن تلتصق جدرانها بدهون وكوليسترول وترسبات صلبة تُعرف بالتصلب العصيدي. تبدأ الحكاية من لقمة دسمة، أو سيجارة خامدة في يد قلقة، أو ضغط دم مرتفع لم يُبال به، أو داء سكري أهمل صاحبه ترويضه. ومع مرور الزمن، تتصلب الشرايين وتضيق، حتى يأتي اليوم الذي يعجز فيه الدم عن المرور، فيصرخ القلب من الجوع، جوعه إلى الهواء، فتحدث **الذبحة الصدرية** : ألم خانق في منتصف الصدر، يمتد إلى الذراع الأيسر والكتف والفك، كأن اليد اليسرى رفعت لتشهد على عجز القلب عن التنفس.

وحين يُغلق الشريان تمامًا، يحدث **احتشاء عضلة القلب**، ذلك الحدث الذي يفصل بين الحياة والموت في دقائق. ينهار جزء من عضلة القلب بسبب انقطاع الدم، وتبدأ الخلايا في الموت واحدة تلو الأخرى. الألم هنا ليس ألمًا جسديًا فحسب، بل صاعقة في الوجود كله.

يُهرع الأطباء إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، يفتحون الشريان المغلق بالأدوية المذيبة للجلطات أو بالقسطرة التي تُدخل أنبوبًا دقيقًا يحمل بالونًا يوسّع الطريق من جديد، ثم يُركّب دعامة تحافظ على جريانه. بعدها تبدأ رحلة العلاج الدائم : أدوية لتميع الدم، وخفض الكوليسترول، وضبط الضغط والسكر، وأسلوب حياة جديد لا يعرف التهاون.



لكنّ القلب، إن نجا من الجلطة، لا يخرج كما كان. يصبح أكثر حكمة، وأكثر هشاشة. يشعر صاحبه بكل نبضة كأنها تذكير بما نجا منه. وربما يدرك في تلك اللحظة أن أكثر الطرق ازدحامًا في حياته لم تكن الشوارع، بل شرايينه.

وفي الظلال الأخرى من أمراض القلب، يقف **قصور القلب**، وهو ليس مرضًا واحدًا بل حالة من الإنهاك

العام، حين تعجز العضلة عن ضخ الدم بالكفاية. أسبابه كثيرة : **جلطات سابقة تركت الندوب، أو ارتفاع ضغط** **أرهق القلب حتى تضخم ثم ضعف، أو أمراض** **صمامات لم تُعالج، أو اعتلالات خلقية في النسيج** **العضلي.** يبدأ الأمر بتعب بسيط عند الجهد، ضيق في النفس عند الصعود، تورّم في الساقين عند المساء، سعال ليلي يوقظ المريض من نومه، وشعور غامض بأنّ القلب لم يعد يواكب إيقاع الحياة.



يفحص الطبيب المريض فيسمع خريِر الدم بين الصمامات، ويطلب أشعة تظهر ظل القلب متضخماً، ويُجري تخطيطاً يرسم نبضاته، أو تصويرًا بالأموّاج فوق الصوتية يظهر كيف تنقبض العضلة وكيف تضخ. العلاج هنا يشبه ترميم مدينة قديمة : **أدوية** تُقلل احتباس

السوائل، وأخرى تخفف الجهد عن العضلة ، و ثالثة تقوي تقلص القلب وموسعاتٍ للشرابين تعيد التنفس إليها. وفي بعض الحالات، **تُزرع أجهزة صغيرة تنظم النبض أو تحفز العضلة على الانقباض بتناسقٍ أكبر.**

إلا أن قصور القلب ليس هزيمة نهائية. إنه نوع من الدعوة إلى التوازن، إذ يُجبر الإنسان على الإبطاء، على الإصغاء إلى جسده. فالقلب الذي يضعف لا يموت، بل يتأمل، وكأنّه يطلب من صاحبه أن يعيش برفق، أن يوزن خطواته كما يوزن النبض نفسه.

ومن بين أصوات القلب الخفية، **هناك أمراض الصمامات**، تلك الأبواب الصغيرة التي تفتح وتغلق مع كل نبضة لتوجّه الدم في الاتجاه الصحيح. حين تتكلس هذه الصمامات أو تلين أكثر مما ينبغي، يختلّ نظام الجريان، فيرتدّ الدم أو يتباطأ. أشهر هذه الحالات **تضيق الصمام الأبهري**، الذي يمنع الدم من مغادرة القلب بحرية، فيشعر المريض بدوارٍ وألمٍ في الصدر وضيقٍ عند المجهود. وهناك أيضًا **قصور الصمام التاجي**، حين يتسرّب الدم عائداً إلى الأذين بدل أن يمضي في طريقه، فيرهق القلب على المدى الطويل.

تُشخّص هذه الحالات **بسماعة الطبيب** التي تسمع لحن الخلل، و**بالتصوير الدقيق** الذي يكشف درجات التلف. أما العلاج، فقد يكون **دوائياً** لتخفيف الأعراض، أو

جراحياً لاستبدال الصمام أو إصلاحه. إنها جراحة دقيقة كأنّها ترميم نايّ في أوركسترا الجسد.



وفي قلب الإيقاع ذاته، قد يختلّ اللحن نفسه فيما يُعرف **باضطرابات النظم القلبية**. القلب الطبيعي يعزف نبضاته بانضباطٍ مدهش، لكن أحياناً تتدخل صواعق كهربائية أو مناطق شاردة في العضلة فتخلط الإيقاع. **فينبض القلب بسرعةٍ مفرطةٍ أو ببطءٍ ممل، أو يفقد انتظامه** في ما يُعرف **بالرجفان الأذيني**، حيث تتحول النبضات إلى ارتعاشٍ فوضوي يجعل الدم يتخثّر داخل الأذنين، مهدداً بجلطةٍ قد تصعد إلى الدماغ. العلاج هنا يقوم على **إعادة الإيقاع إلى نظامه بالأدوية المنظمة أو الصدمات الكهربائية أو الأجهزة المزروعة التي تضبط التيار** كقائد أوركسترا حازم.

وهناك من يولد بقلب غير مكتمل البناء، وهي **العيوب الخلقية** التي تجعل الطفل يولد بنفس متعب أو لون أزرق. بعضها بسيط يُصلح بجراحة واحدة، وبعضها معقد يحتاج إلى متابعة مدى الحياة. إنها رسائل من الطبيعة تقول نأنه حتى الكمال العضوي ليس مضموناً، وأن الحياة تمنحنا الاختبار قبل الفهم.

وللقلب أيضاً معاناته مع الالتهابات، ك**التهاب عضلته أو غشائه الخارجي (التامور)**. تنشأ عادة من **عدوى فيروسية أو بكتيرية، أو كرد فعل مناعي بعد جراحة أو مرض آخر**. أعراضها تشبه أحياناً نوبة القلب : ألم في الصدر، حرارة، خفقان، ضعف عام. لكن الطبيب يعرف الفارق من العلامات الدقيقة، ويؤكد لها **بالتحاليل والتصوير**. العلاج هنا راحة ومضادات للالتهاب، وأحياناً أدوية ضد الميكروبات إن وجدت. وغالباً ما يعود القلب إلى إيقاعه، كأنه كان يعاني حزناً مؤقتاً فتعافى منه.

ومن أغرب أمراض القلب ما يسمى **اعتلال عضلة القلب**، حين تضعف العضلة أو تتضخم بلا سبب واضح. قد يكون السبب وراثياً أو ناتجاً عن **عدوى قديمة أو تسمم دوائي أو إدمان الكحول**. ويشعر صاحبه بالخفقان والتعب وضيق النفس. يُشخص **بالتخطيط والتصوير الدقيق**، و يُعالج **بالأدوية** التي

تخفف العبء عن القلب أو **بزراعة جهازٍ منظمٍ للنّبض**،
وفي الحالات القصوى **بزراعة قلبٍ جديدٍ** يُعيد للجسد
إيقاعه الأول.

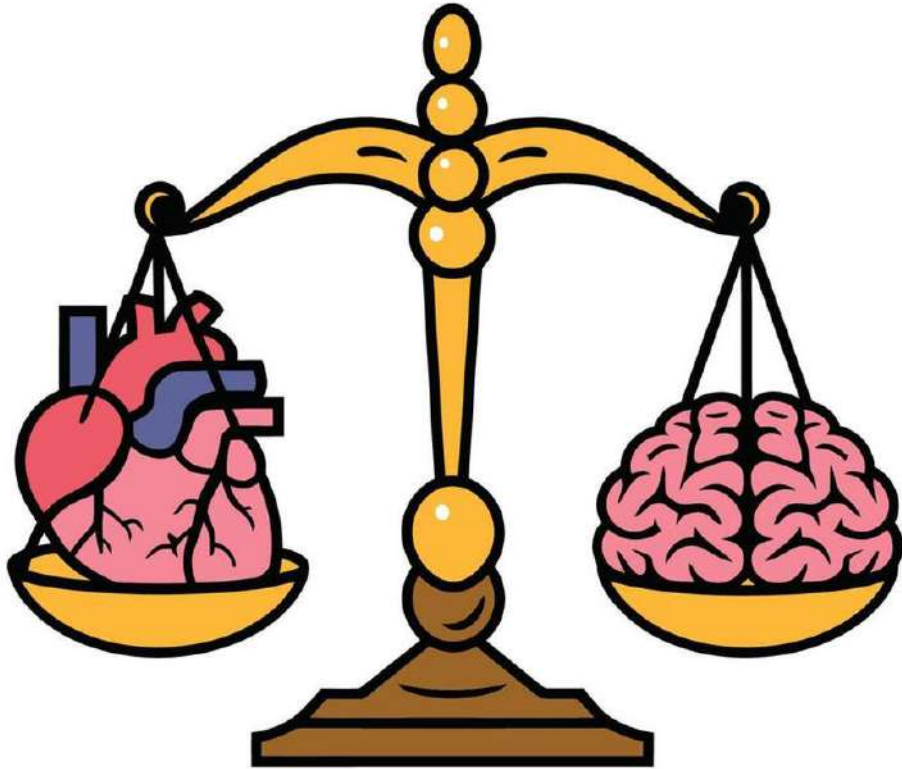
ورغم كلّ التقدّم العلمي، يبقى القلب أكثر الأعضاء
تذكيرًا بحدود العلم. فالأطباء قد يُصلحون الشرايين،
ويستبدلون الصمامات، ويزرعون الأجهزة، لكنهم لا
يستطيعون إعادة الطمأنينة التي تُعالج القلب من داخله.
فالقلوب تمرض أيضًا من الحزن، من الوحدة، من
الخوف الطويل، من الإحباط الذي يتراكم مثل
الكوليسترول في الشرايين النفسية. وقد رأى الأطباء
مرضى تعافى جرحهم الجسدي لكنهم ماتوا بعد ذلك
بأسابيع، كأنّ القلب حين يفقد الرغبة في النبض، لا
تنفعه الأدوية.

التشخيص اليوم أصبح دقيقًا كالعلم الحديث نفسه:
تخطيط القلب يرسم كهربية النبض كخطّ حياةٍ على
الورق، و**تصوير الإيكو** يظهر حركة الصمامات
والبطينات كلوحةٍ متحركة، والقسطرة تكشف أعماق
الشرايين وتفتحها كما يفتح الطبيب نافذةً في ليلٍ مغلق.
ومع ذلك، يظلّ الطبيب أمام القلب في حالة تواضعٍ
دائم، كأنه أمام معجزةٍ تتحدث بلغةٍ لا تُفهم تمامًا.

أما العلاج، فهو مزيجٌ من العلم والإرادة . فالعقاقير
وحدها لا تكفي إن لم يتغيّر نمط العيش: الامتناع عن

التدخين، وضبط الغذاء، وممارسة الرياضة بانتظام،
وتعلّم فنّ الهدوء. فالقلب لا يحبّ الإسراف، لا في الجهد
ولا في الغضب. وكل نبضة زائدة هي احتجاجة على
وتيرة العصر.

وفي النهاية، حين نتأمل القلب، ندرك أنه ليس عضوًا
فينا فحسب، بل استعارة كبرى لوجودنا. فهو يعلمنا أن
الحياة قائمة على الإيقاع، وأنّ الفوضى مميتة. يعلمنا أن
الثبات لا يعني الجمود، وأنّ الراحة لا تأتي من التوقف
بل من التوازن بين الانقباض والانبساط، بين الأخذ
والعطاء، بين ما نمنحه للعالم وما نحفظ به لأنفسنا.



إنّ أمراض القلب ليست عطبًا عضويًا فحسب، بل مجازٌ
عن الخلل في علاقتنا بالحياة. حين نركض بلا توقف،

حين نحمل الهمّ كما نحمل الحجارة، حين نحبّ بعنفٍ أو نكره بعنفٍ أو نخاف بعنفٍ، ننسى أن القلب كائنٌ هشّ يحبّ اللطف. وربما كان الشفاء الحقيقي يبدأ من هناك، من العودة إلى نبضٍ طبيعيٍّ في كل شيء، إلى وتيرة إنسانية في العيش، إلى مصالحةٍ بين القلب وما يجاوره من ضجيجٍ في هذا العالم.

فالقلب لا يمرض من الدم وحده، بل من المعنى.

ومن فهم قلبه، فهم الحياة.

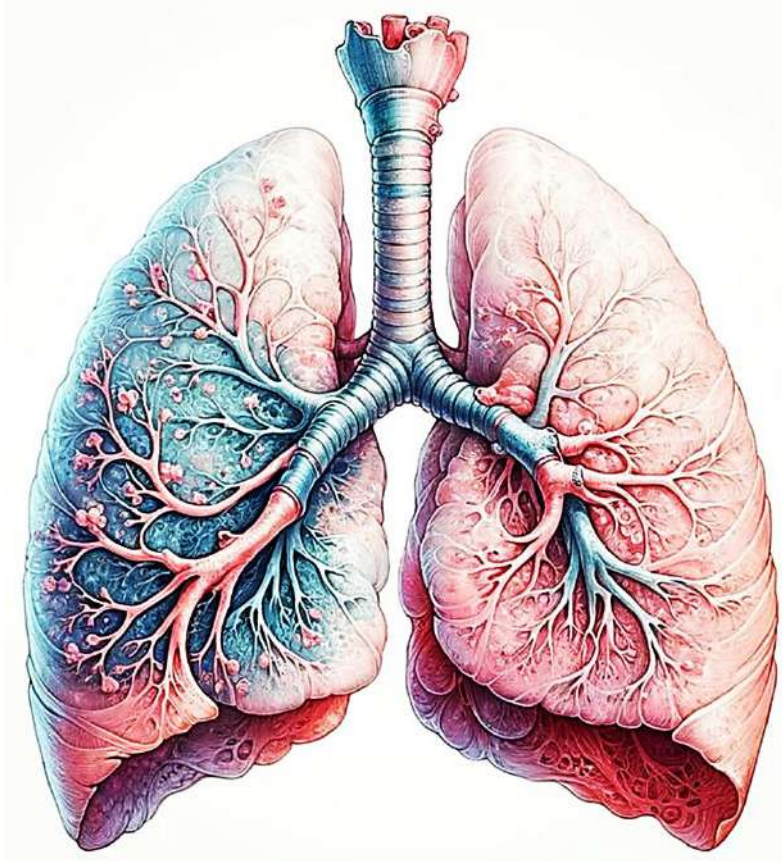
لأنّ كل نبضةٍ ليست مجرد دفقة دم، بل إعلانٌ صغيرٌ أن الحياة، رغم كل شيء، ما زالت تختارنا مع كل ثانية.

أعراض الجهاز

التنفسي

(بين شقيق و زفير)

حسنًا ... اجلس بهدوء، وتخيل صدرك كما لو كان
سماءً، يتنفس النور والهواء مع كل شروق، وتتهدّج
أنفاسه مع كل غروب. إنّ الجهاز التنفسي هو نافذة
الحياة المفتوحة على اتساعها، هو الممر السري بين
الروح والمادة، بين الوعي والغياب، بين أول صرخة
يولد بها الإنسان وآخر زفير يوَدّع به الدنيا. من الرئتين
تتبع الألحان الأولى للحياة، ومن قصب الهوى يخرج
الحن الأخير... لكن هذه النافذة التي أُهديت لنا لتمنحنا
الهواء قد تُصاب بالضباب، وقد يتثاقل فيها التنفّس حتى
يصبح الألم هو اللغة الوحيدة الممكنة.

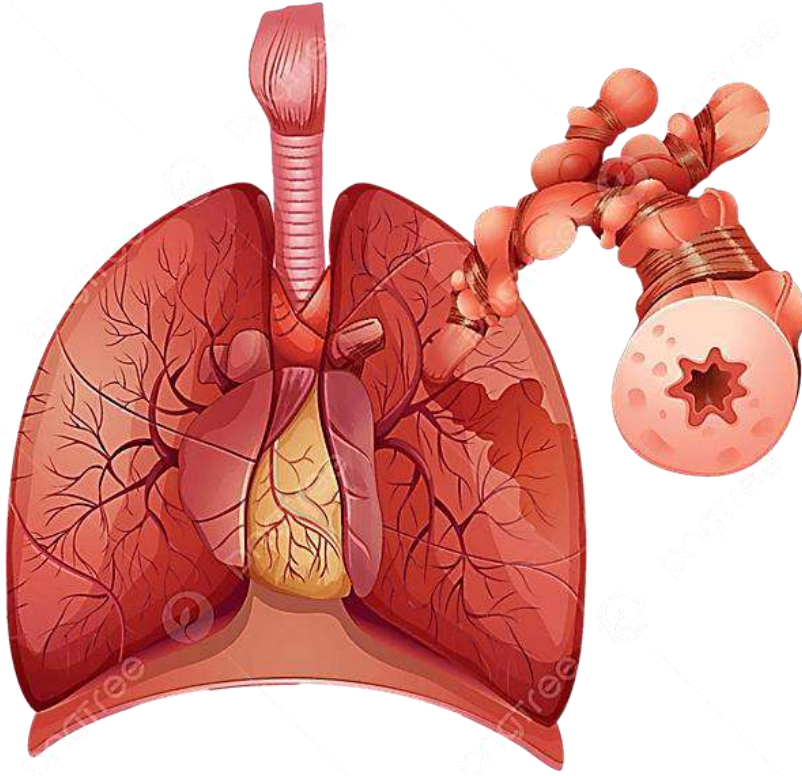


من هنا تبدأ حكاية أمراض الجهاز التنفسي، الحكاية
التي تكتبها الحياة على صدورنا بالضباب والوجع،

وترسمها على وجوه المرضى بأنفاس متقطعة كأغانٍ حزينة لم تكتمل. ليست هذه الأمراض مجرد عوارض فيزيولوجية، بل فصول من ملحمة الصراع بين الإنسان والهواء، بين الرئة التي تتوق إلى النقاء والعالم الذي يملؤها بالدخان والغبار والعدوى.

أشهر تلك الفصول وأكثرها قسوة هو **الربو**، ذلك المرض الذي يختبئ بين خيوط الليل وصمت الصدر، فيتحول التنفس إلى معركة صغيرة يخوضها الجسد ضد نفسه. الربو حالة مزمنة تتسم **بتضييق الشعب الهوائية بسبب فرط تحسسها لعوامل بيئية، كالغبار أو حبوب اللقاح أو دخان السجائر**. لا يأتي الربو بغتة، بل ينساب كريح خفيفة ثم يتحول إلى إعصار في الرئتين. تبدأ الأعراض بسعال جاف وضيق نفس وصفير يسمع في الصدر كوشوشة خوف، وقد يشتد حتى يختنق الإنسان بين هواء لا يصل ورغبة بالبقاء لا تُطفأ. أما التشخيص فيأتي من الاستماع لصدر المريض، وقياس تدفق الهواء الخارج من رئتيه، وأحياناً عبر اختبارات تكشف مدى استجابة الشعب الهوائية للأدوية الموسّعة. أما العلاج، فهو مزيج من الوقاية والدواء، فيستخدم البخاخ لتوسيع الشعب، وتُعطى العقاقير التي تهدئ الالتهاب المزمن فيها. لكن العلاج الحقيقي للربو هو في صفاء الهواء، وفي تطهير المدن من الدخان، لأن الرئة لا تحيا في عالم ملوث بالأنانية كما لا يحيا

القلب في عالم ملوث بالكراهية.



ومن الربو ننتقل إلى **الالتهاب الرئوي**، ذلك المرض الذي يهاجم الرئة كما يهاجم الشتاء دفء البيوت. إنه التهاب في أنسجة الرئتين تسببه الجراثيم أو الفيروسات أو حتى الفطريات، فيتحول الهواء الذي كان يملأ الحويصلات إلى سائل يثقل الصدر ويمنع التنفس. تظهر الأعراض كحمى مرتفعة وسعال متواصل وإفراز بلغم قد يكون مصفرًا أو مدمّي، مع ألم صدري حاد يشتد عند الشهيق. ولأن الرئة مرآة الحياة، فإن التهابها يعكس دائمًا ضعف المناعة أو قسوة الظروف. يُشخّص الالتهاب الرئوي عبر **الأشعة الصدرية والتحاليل المخبرية، وأحيانًا عبر زرع عينات البلغم لتحديد نوع الميكروب المسبب.** أما العلاج فهو صراع

زمني بين المريض والعدوى : المضادات الحيوية حين تكون بكتيرية، أو الأدوية المضادة للفيروسات حين يكون الفيروس سيد المشهد، مع الراحة والترطيب والعناية بالأوكسجين. والوقاية هنا ليست رفاهاً، بل فطرة حياة، تبدأ من غسل اليدين وتنتهي بلقاحات تحمي الصدر من غزوات الكائنات الدقيقة.

ثم تأتي الانسدادات الرئوية المزمنة، وهي ليست مرضاً واحداً بل مأساة طويلة تُكتب على صدور المدخنين وكل من عاش طويلاً في ظلّ المداخن.



إنّها حالة يتناقص فيها تدفق الهواء تدريجياً بسبب تخرّب جدران الحويصلات الهوائية، حتى تصبح الرئة كشبكة ممزّقة لا تمسك شيئاً. يتنفس المريض بصعوبة

حتى في أبسط الأنشطة، وتتحول المشية إلى معركة، والنوم إلى تجربة بين الحياة والموت. السعال المزمن، البلغم الدائم، ضيق النفس المتصاعد... كلها علامات تنذر بأن الزمن في الصدر بدأ يتباطأ. في **صور الأشعة** يظهر اتساع مفرط في الرئتين، وفي **اختبارات التنفس** تنكشف خسارة القدرة على الزفير الكامل. العلاج لا يعيد ما فُقد، لكنه يبطئ السقوط، من خلال **موسعات الشعب الهوائية**، **العلاج بالأوكسجين**، **والإقلاع التام عن التدخين** الذي كان الشرارة الأولى للحريق. ولعلّ أعمق درس تعلمه هذه الحالة هو أن ما نحرقه من تبغ اليوم، نحترق به غداً هواءً وأنفاساً.

أما **السلّ الرئوي** فهو المرض الذي يحمل في ذاكرته رائحة القرون القديمة، المرض الذي ظلّ لقرون مرادفاً للموت البطيء. تسببه جرثومة **عصوية دقيقة** ماهرة تتخفى في الجسد، وقد تظل نائمة سنوات قبل أن تستيقظ حين تضعف المناعة. يتجلى في سعال مزمن مع بلغم دمّي، وتعب عام، ونقص في الوزن والحرارة. لكن الغرابة فيه أنه لا يقتل فقط الجسد، بل يستهلك الصبر والعزلة، إذ يحتاج المريض إلى **علاج طويل يمتد لأشهر بأدوية متعددة**. ومع ذلك، فإن التقدم الطبي جعله مرضاً قابلاً للشفاء متى التزم الإنسان بخط العلاج. ورغم ذلك، يبقى السلّ رمزاً فلسفياً لمرض الحضارات: حين يضيق الصدر بالحياة، يختنق هواؤه، كما تختنق

المدن المزدحمة بذنوبها.



ولا يمكن أن تُذكر أمراض التنفس دون التوقّف عند **سرطان الرئة**، المرض الذي يشبه خيانة داخلية، إذ تنقلب خلايا الحياة على صاحبها. إنه مرض خفيّ يبدأ من خلية صغيرة متمرّدة، فتتكاثر بلا نظام حتى تغزو الرئة وتشلّها. أسبابه كثيرة، لكن التدخين هو بوابته الكبرى، يليه التعرّض للمواد المسرطنة وتلوّث البيئة. لا يكشف المرض عن نفسه إلا متأخرًا، عبر سعال مستمر، ألم صدري، ضيق تنفّس، أو نفث دمويّ يثير الرعب. التشخيص هنا عمل دقيق يجمع **الأشعة المقطعية، والتنظير، والخزعات النسيجية**، ليتبيّن حجم الشر في نسيج الحياة. العلاج يعتمد على المرحلة : **الجراحة حين يمكن الاستئصال، والعلاج الكيميائي أو الإشعاعي حين يتجاوز الورم حدوده**. لكن مهما بلغت الأدوية من قوة، يبقى أن أنقى علاج لسرطان الرئة هو الهواء النظيف والإقلاع عن كل عادة تقتل ببطء.

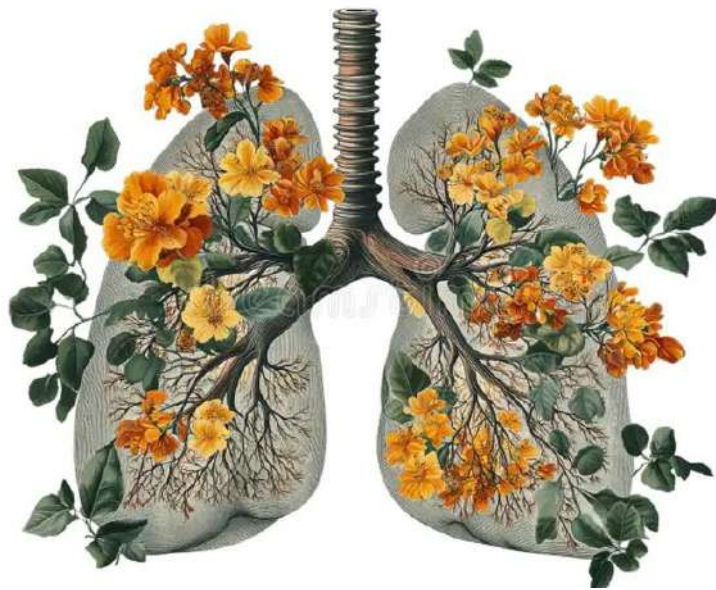
وهناك أيضاً **الالتهابات التحسسية والموسمية** التي تتسلل مع ربيع العطور وغبار الخريف، فتمتلئ الأنوف بالعطاس، والصدور بالصفير، والعيون بالدموع. إنها ليست أمراضاً قاتلة، لكنها تعكر صفو الهواء وتربك اتزان الجسد بين الداخل والخارج. علاجها يكمن في **تجنب المحفزات، وتلطيف المناخ الداخلي، واستخدام الأدوية المضادة للهستامين أو البخاخات الموضعية.** إنها تذكير بسيط من الطبيعة بأن الجمال قد يلسع أحياناً، وأن الزهرة التي نستنشقها قد تحمل في رحيقها شيئاً من العذاب.



ثم يأتي **التليف الرئوي**، المرض الذي يجعل من الرئة حجراً بعد أن كانت غيمة. تتصلّب أنسجتها تدريجياً، ويصبح دخول الهواء إليها عملاً شاقاً، كمن يحاول النفخ في صخرة. أسبابه متنوعة : **بعضها وراثي،**

وبعضها مرتبط بالتعرض الطويل لمواد سامة، أو كأثر
جانبي لأمراض مناعية. أعراضه تبدأ بضيق النفس
المتزايد وسعال جاف مزمن، ويُكتشف عادة عبر
التصوير الطبقي وفحوص التنفس. العلاج صعب، لكنه
ممكن من خلال أدوية تُبطئ التليّف، وأحياناً زراعة
رئة جديدة تعيد للمريض حياته كما تُعاد السماء لزرقتها
بعد الغيم.

وفي عمق كل هذه الأمراض، يبقى المشهد واحداً : إن
التنفس، أبسط أفعالنا اليومية، هو في الحقيقة أعقدها
وأكثرها قداسة. الهواء الذي ندخله إلى أجسادنا ليس
مجرد غاز، بل هو مشاركة مع الكون في دورة الحياة.
حين يختلّ هذا التوازن، ويصبح الهواء عبئاً بدل أن
يكون خلاصاً، يدرك الإنسان هشاشته في مواجهة
اللامرئي.



وفي الختام، فإن أمراض الجهاز التنفسي ليست مجرد

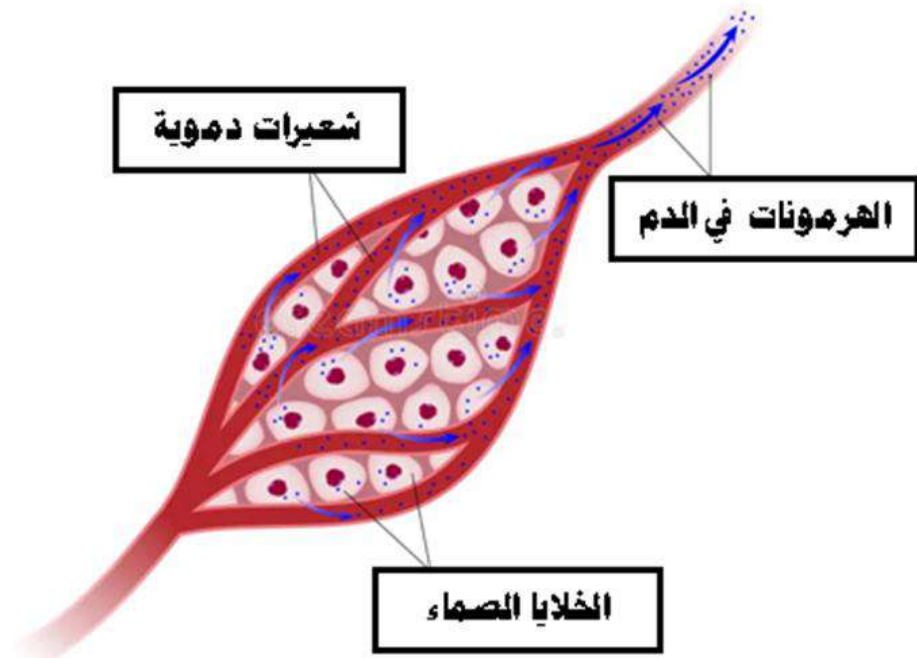
قائمة من العلل، بل هي مرآة حضارتنا الحديثة، التي
لوّثت الهواء ودفعت الثمن أنفاسًا مختنقة. إنها تذكّرنا
بأن الهواء ليس ملكًا لنا وحدنا، بل هو عهد بيننا وبين
الأرض. من يفسده يخون الحياة نفسها. والرئة، حين
تتوقف عن الغناء، لا تموت فقط... بل تصمت فينا تلك
الموسيقى السرية التي كانت تجعلنا بشرًا.
هكذا، كل شهيق وزفير هو وعد بالوجود، وكل اختناق
هو نداء من العالم أن نعيد لأنفاسنا نقاءها الأول.

أمراض الفم

والحنك

(أصمٌ يسمع كل شيء)

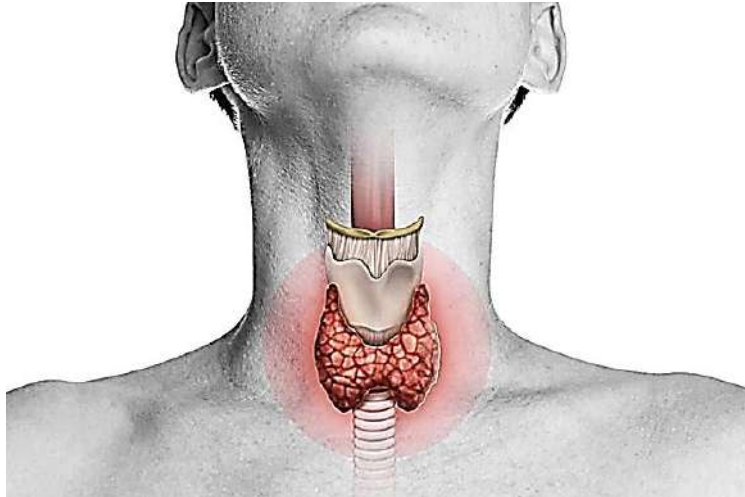
في أعماق الجسد، حيث لا تطرق الحواس بابًا، تجري حوارات صامتة بين الغدد والدم، بين نداءات خفية لا تُسمع ولكنها تُوجّه مصائرنا في أدق تفاصيلها. هناك، في تلك المملكة المظلمة المضيئة بالمعنى، تسكن الغدد الصماء ككهنة خفية في معبد الجسد، تصبّ في العروق قطرات من المعاني الكيميائية، تشعل بها رغبة أو تُطفئ حزنًا، توقظ القلب أو تُثقل الخطى، تزرع الجوع أو تنثر الطمأنينة، دعاها البعض غددًا صماء لأنها تلقي بمفرزاتها من الهرمونات في الدم مباشرةً بدون قنوات إفراغ. هي ليست مجرد غدد، بل هي الإرادة البيولوجية التي تصنع المزاج، وتوزن الزمن الداخلي، وتنسج خيوط الحياة الدقيقة بين الفكر والعاطفة والجسد.



وحين تختلّ تلك الخيوط، يبدأ الإنسان في سماع صوت جسده وهو يتكلم بلغة المرض، فيكتشف أن الصمت

الهرموني الذي كان يسيّر العالم الصغير في داخله قد تبدّد، وأن التناغم القديم بين الغدد والدماغ لم يعد كما كان. عندها تنكشف مملكة الغدد الصماء، بكل أسرارها المدهشة، لنرى كيف يمكن لقطرة زائدة من هرمون أو لنقص ضئيل أن يغيّر مصيرًا، أو يشوّه إحساسًا، أو يعيد تشكيل إنسان.

من بين تلك الغدد، تبرز **الغدة الدرقية** ككاهنة الضوء الداخلي. تقبع صغيرة عند قاعدة العنق، لكنّها **تتحكم في حرارة الجسد واستقلابه**، كأنها المدفأة السرية للحياة. حين تفرط في نشاطها، كما في حالة **فرط إفراز الغدة الدرقية** لهرموناتها **T4 و T3**، يتحول الجسد إلى نار لا تهدأ. يزداد خفقان القلب، وتتسارع دقات الحياة نفسها، يفقد الإنسان وزنه رغم شهيته المفتوحة، ويتصبّب عرقه حتى في البرد. عيونه تلمع بقلق غامض، وصدره يضجّ بنبض مضطرب، وجسده يرتجف كمن يسكنه تيار كهربائي دائم.



السبب في هذا الاضطراب قد يكون زيادة إنتاج الهرمون الدرقي بسبب خلل مناعي يجعل الجسد يهاجم غدّته، كما في **داء غريفز** ، أو بسبب عقدٍ صغيرة في الغدة تفرز الهرمون دون رقابة. ويكشف التشخيص عن هذا الهيجان الداخلي بتحليل دم بسيط يظهر ارتفاع الهرمونات الدرقية، وتأكيد بصورةٍ فوق صوتية أو مسحٍ نوويٍّ للغدة. أما العلاج، فهو محاولة لإخماد النار: **أدوية** تقلل إفراز الهرمونات، أو **اليود المشع** الذي يطفئ فرط النشاط، أو **جراحة** تزيل الجزء المتمرد. ومع كل علاج، تبقى الحقيقة قائمة : من السهل تهدئة النار، لكن الأصعب هو استعادة اتزان اللهب.

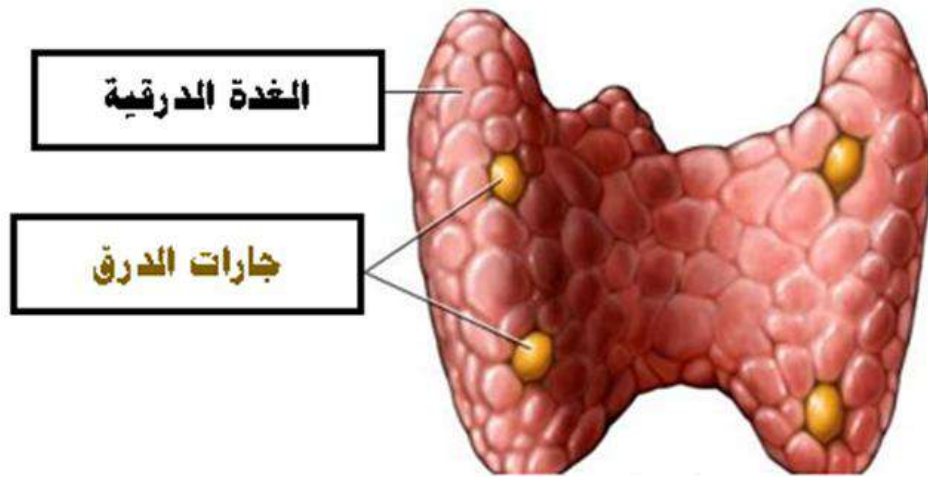
وعلى الطرف المقابل، تقف حالة **قصور الغدة الدرقية**، النقيض البارد لذاك اللهب. هنا يخفت الضوء الداخلي ويغدو الجسد بطيئاً كشتاءٍ طويل. يشعر المريض بالوهن، وببرودةٍ لا تفارقه، وبنومٍ ثقيلٍ يشبه الغياب. وجهه ينتفخ بلطفٍ حزين، وصوته يخفت، وفكره يثقل، كما لو أن الزمن تباطأ داخله. يحدث ذلك غالباً بسبب **داء مناعي** آخر يجعل الغدة تُدمّر نفسها، أو بعد **علاجٍ مفرط لفرط النشاط السابق**.

التشخيص بسيط في مظهره، عميق في معناه : انخفاض الهرمون الدرقي في الدم، وارتفاع هرمون الغدة النخامية **TSH** الذي يحاول عبثاً أن يوقظ الدرق. أما العلاج فهو استعادة النور المفقود عبر **تعويض هرمونيٍّ**

يوميّ يعيد للحياة حرارتها. إن قصور الغدة الدرقية ليس مرضاً في الجسد فحسب، بل درس في الفلسفة الحيوية : (من يبرد داخله، يخمد خارجه) .

ولا يمكن نسيان **الغدة جارات الدرق**، تلك الغدد الصغيرة

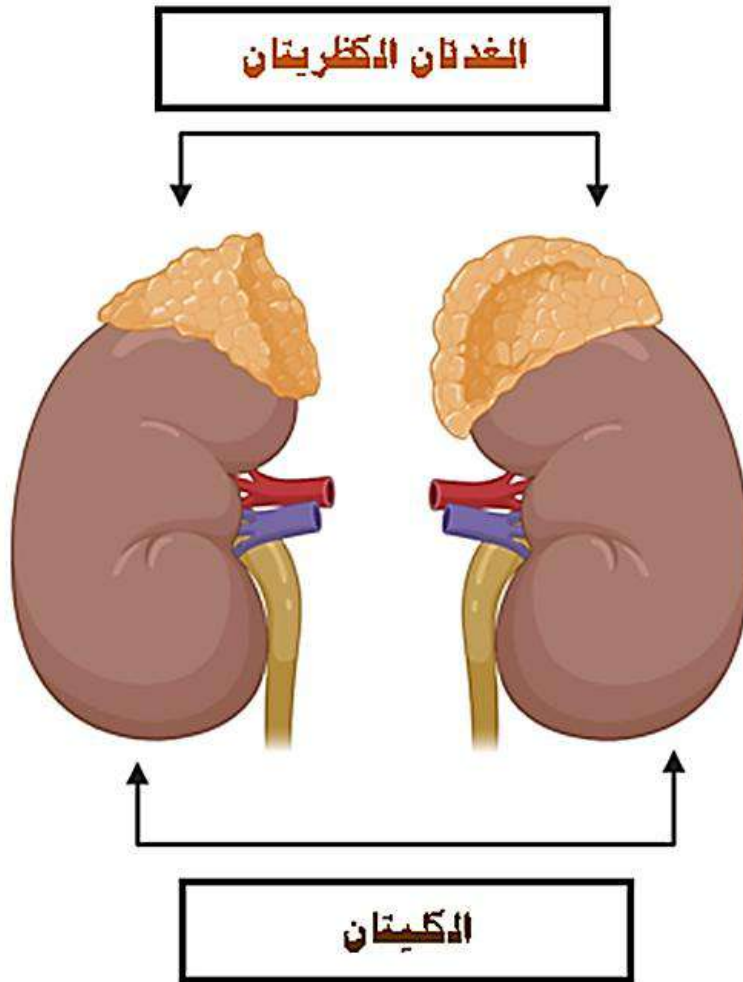
الأربعة القابعة على الوجه الخلفي للغدة الدرقية، التي تتحكم في توازن الكالسيوم والفوسفور في الدم. حين **تفرط في نشاطها**، ترتفع نسبة الكالسيوم، فيشعر الإنسان بالعطش الشديد، وبضعف في العظام التي تبدأ بالتآكل، وبحصوات في الكلى، وبخمول ذهنيّ غريب. ويحدث ذلك عادةً بسبب **ورم صغير حميد** يجعل الغدة تعمل دون توقف.



أما حين **تفشل**، فينخفض الكالسيوم، تبدأ العضلات بالاختلاج، والشفاه بالارتعاش، كأن الجسد كله يعزف لحنًا مرتعشًا من الألم. التشخيص والعلاج يعتمدان على **قياس مستوى الكالسيوم والهرمونات**، وعلى إعادة

الاتزان عبر **أدوية ومكملات دقيقة**، لأن زيادة الكالسيوم أو نقصانه يشبه خلل الضوء في العين : كلاهما يبدد وضوح الرؤية للحياة.

ثم تأتي **الغدة الكظرية**، تلك الجوهرة الصغيرة التي تجثم فوق الكليتين كحارسين أبديين، وتفرز هرمونات تنظم الضغط والمناعة والطاقة ومواجهة الخطر.

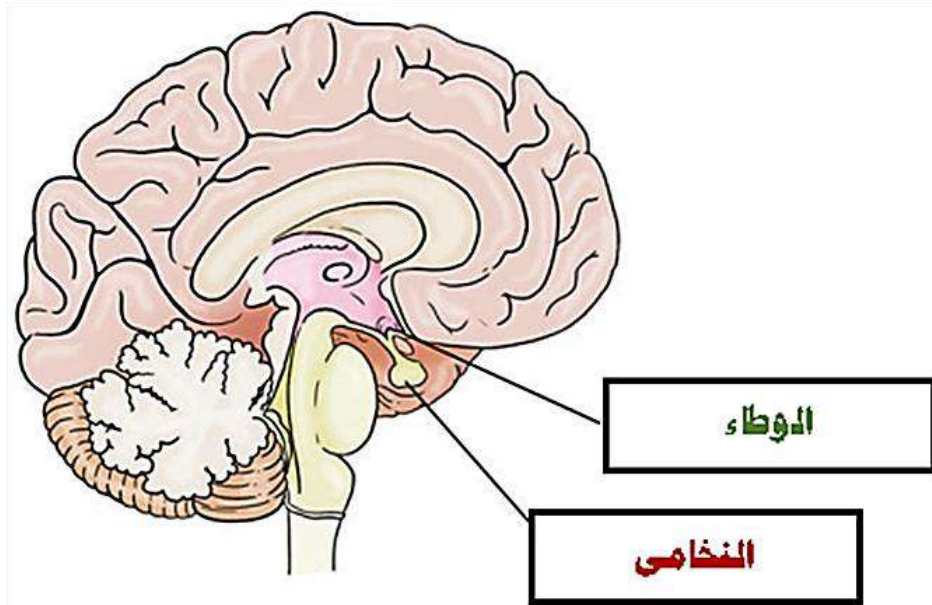


حين تصاب هذه الغدة **بفرط النشاط**، كما في **متلازمة كوشينغ**، يغدو الجسد ضحيةً لقسوته الخاصة. هنا يتكاثر الكورتيزول في الدم، ذلك الهرمون الذي خُلق

ليحمي في الأزمات، فإذا ازداد، حوّل الحماية إلى هدم.
يظهر المريض بوجهٍ مستديرٍ كالبدْر لكنّه منفوخٌ
بالتعب، وبطنٍ يترهلّ، وأطرافٍ نحيلة كأغصان جفّت.
يرتفع الضغط والسكر، وتضعف العظام والجلد، ويغدو
الجسد هشاً أمام كل جرح أو كدمة. السبب قد يكون
**ورماً في الغدة الكظرية، أو تحفيزاً مفرطاً من الغدة
النخامية.** والتشخيص أشبه بتحقيقٍ داخليٍّ دقيقٍ في
مسرح الجسد، يعتمد على قياس الكورتيزول في الدم
والبول، وصورٍ مقطعية تكشف الجاني الحقيقي. أما
العلاج، فيكون **جراحياً** حين يُستأصل الورم، أو **دوائياً**
حين تُكبح العاصفة الهرمونية. وهكذا يتعلم الجسد درسه
القاسي : حتى الحماية المفرطة تتحول إلى خطر إن لم
تعرف حدودها.

أما الوجه الآخر لهذا الخل، **قصور الغدة الكظرية**،
فيحمل بروداً وارتعاشاً خفياً. هنا ينقص الكورتيزول،
فيتلاشى النشاط، ويخفت ضغط الدم، ويفقد الإنسان
شهيته حتى للحياة. يتصبب عرقاً بارداً، ويشعر بدوارٍ
عند الوقوف، وقد يغمى عليه حين يشتد النقص. يكتشف
الأطباء الأمر عبر **تحليل الدم ومراقبة مستوى
الهرمونات**، ويعالجونه **بإعطاء الكورتيزول الصناعي**
الذي يعيد للجسد قدرته على الصمود أمام الصدمات.
لكنه يبقى مرضاً مقلقاً، لأن غيابَه المفاجئ قد يعني
انهيار الجسد بالكامل.

لننتقل إلى أعماق الدماغ، حيث تمتزج الفكرة بالإشارة والنبض، يسكن **الوطاء**، ذلك الكيان العجيب الذي لا يمكن تسميته غدة تمامًا، ولا عقلاً بالكامل، لأنه **يقف على الحافة بين الجسد والفكر، بين المادة والإرادة**. إنه الأب الرؤوف الذي يهمس في أذن الغدة النخامية، فيطلب منها أن تفتح أبوابها أو تغلقها، يرسل عبر الأعصاب والدم موجات من الأوامر لا تُرى ولكنها تُطاع، **يحكم حرارة الجسد كما يحكم انفعالاته، يوزع النوم واليقظة، الجوع والشبع، الرغبة والسكينة، الشهوة والعفة**.. في نظام يكاد يكون موسيقيًا من الدقة والتناسق.. حجمه كحبة اللوز و لا وزن ثابت له.



الوطاء هو المرأة التي تعكس حوار الداخل والخارج؛ فعندما يقترب الإنسان من الخطر، أو يشتدّ عليه القلق، أو يفيض قلبه بالعاطفة، ينهض هذا السيد الصامت

ليحوّل المشاعر إلى أوامر هرمونية : يسرّع القلب،
يرفع الضغط، يحرّض الغدد الكظرية لتفرز الأدرينالين،
ويمنح الكبد أمرًا بإطلاق السكر إلى الدم، كأن الجسد
بأكمله جيش يستعدّ لمعركةٍ تستعر في النفس.

وحين يهدأ القلب، ينحسر صوته كما تنحسر أمواج
البحر، ويعود الجسد إلى سكونه العاقل، كأن شيئًا لم
يكن.

ولأن الوطاء يتّصل بكل ما فينا من **مشاعر وفكر**
وغرائز، فإن أي اضطراب في توازنه ليس مرضًا في
الجسد وحده، بل هو خلل في الترجمة بين الروح
والجسم. فعندما يختلّ إفراز الهرمونات التي يتحكم بها
– كهرمونات إطلاق الهرمونات النخامية أو الهرمون
المضاد لإدرار البول **ADH** – يضطرب الجسد
بأشكال عجيبة : قد يختفي الإحساس بالعطش رغم
الجفاف، وقد يفقد الإنسان قدرته على النوم أو السيطرة
على حرارة جسده. التشخيص هنا يحتاج إلى بصيرة
أكثر من فحص، لأن ما يُصاب في الوطاء ليس عضوًا
منفصلاً، بل محور الوجود الحيوي كله.

أما العلاج، فهو سعي لاستعادة تلك اللغة المفقودة بين
الدماغ والغدد. **قد تُستخدم الأدوية المنظمة للإفراز، أو**
الهرمونات البديلة، أو حتى الجراحات الدقيقة في قاع
الدماغ، ولكن ما يُشفى أولاً هو الحوار ذاته : أن يعود

الجسد ليستمع إلى عقله، وأن تعود النعمة القديمة بين الفكر والدم إلى انسجامها الأول..

و في ختام أمراض الوطاء نذكر مقولة عميقة للدكتور مصطفى حجازي من كتابه الرائع (الإنسان المهدور):

(الحَجْر على العقول و منع التفكير الذي تمارسه العصبيات المختلفة تدفع الإنسان إلى الرضوخ ، و بالتالي تعطيل العقل ، و لا يبقى فاعلاً في الدماغ إلا الوطاء – هايبوثالاموس)

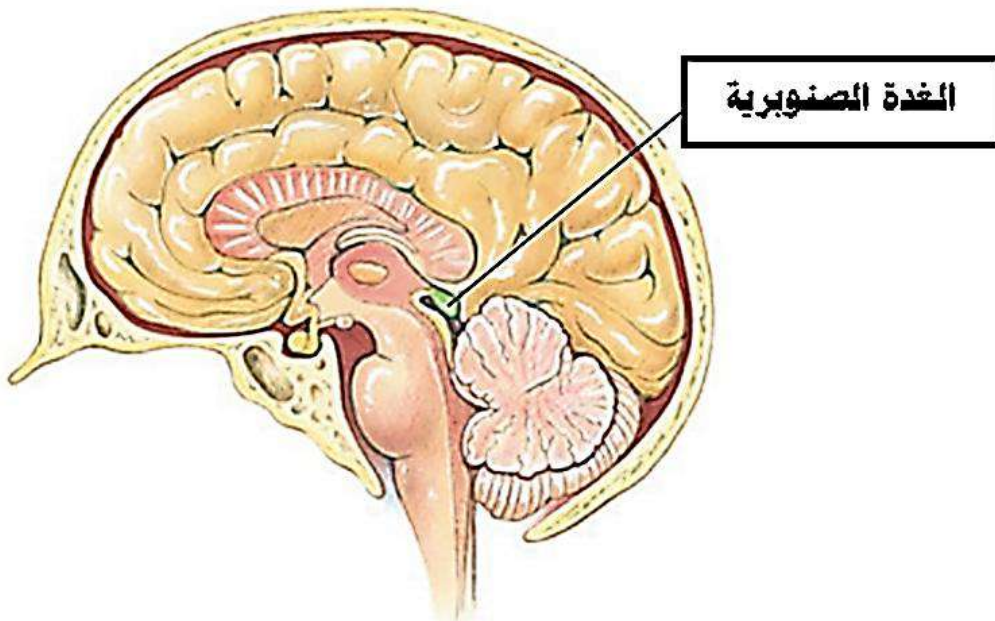
و هذا يعني تحويل الإنسان إلى مجرد حيوان يأكل و يشرب و يمارس الجنس و الضحك و البكاء .

لننزل قليلاً أسفل الوطاء حيث تختبئ **الغدة النخامية**، أشبه بملكة خفية في قصرٍ مظلم، تدير ممالك الغدد الأخرى بأوامرها الهرمونية. إن مرضها يعني فوضى في المملكة كلها. حين تفرط في إفراز **هرمون النمو**، يظهر **داء العنق** أو **ضخامة النهايات**، فيطول الجسد أو تتضخم ملامحه، تكبر اليدين والقدمان والأنف والفكّ، ويصبح الوجه مرآة لاضطراب الزمن. السبب عادةً ورم حميد في الغدة، لكنه ورم يبدّل الملامح كما يبدّل القدر مجراه.

التشخيص يتم عبر قياس **هرمون النمو واستخدام الصور الطبقيّة للدماغ**، والعلاج **جراحي** في أغلب

الأحيان لإزالة الورم، مع **أدوية** تثبّط الإفراز الزائد. أما حين تفشل الغدة في إنتاج هرموناتها، كما في **قصور الغدة النخامية**، يغدو الجسد كمدينة بلا حاكم : **ضغط** منخفض، فتور عام، ضعف في الهرمونات الجنسية والدرقية والكظرية معاً. العلاج هنا هو إعادة التوازن قطعةً قطعة، عبر **إعطاء ما فقده الجسد من هرمونات** منسّقة بدقة تشبه إعادة هندسة السمفونية بعد صمت.

ثم هناك **الغدة الصنوبرية**، الأصغر والأكثر غموضاً، التي تُنتج **هرمون الميلاتونين** المسؤول عن **إيقاع النوم واليقظة**. حين يختل توازنها، يفقد الإنسان إحساسه بالليل والنهار، ويعيش في غربة زمنية داخل جسده. ليست أمراضها شائعة، لكنها فلسفية في معناها : إنها الغدة التي تُنظّم علاقة الإنسان بالكون، بالنوم والأحلام، بالنور والظلمة، وكأنها البوصلة الروحية للجسد.



وهكذا نصل إلى تخوم الفهم الفلسفي : إن الغدد الصماء ليست أجهزة معزولة، بل شبكة من الضوء الكيميائي تنسج وعينا نفسه. حين تختلّ، يختلّ فينا الإيقاع، نغضب بلا سبب، نبكي بلا مبرر، نحبّ أو ننفر كما لو كانت مشاعرنا ليست لنا. هذه الأمراض ليست مجرد خللٍ في الهرمونات، بل في المعنى ذاته الذي يجعلنا بشرًا.

وفي النهاية، حين ننظر إلى الجسد بكل ما فيه من غددٍ صمّ ، ندرك أن الحياة ليست إلا توازنًا هشًا بين فيضٍ ونقص، بين حرارةٍ وبرودة، بين ضوءٍ وظلّ. إن الإنسان ليس قويًا بقدر ما هو متوازن، وليس خالداً بقدر ما هو منسجم مع قوانين خفية تُدير داخله مواسمه الحيوية.



حين تخلّ هذه الغدد بصمتها القديم، نشعر كأننا فقدنا

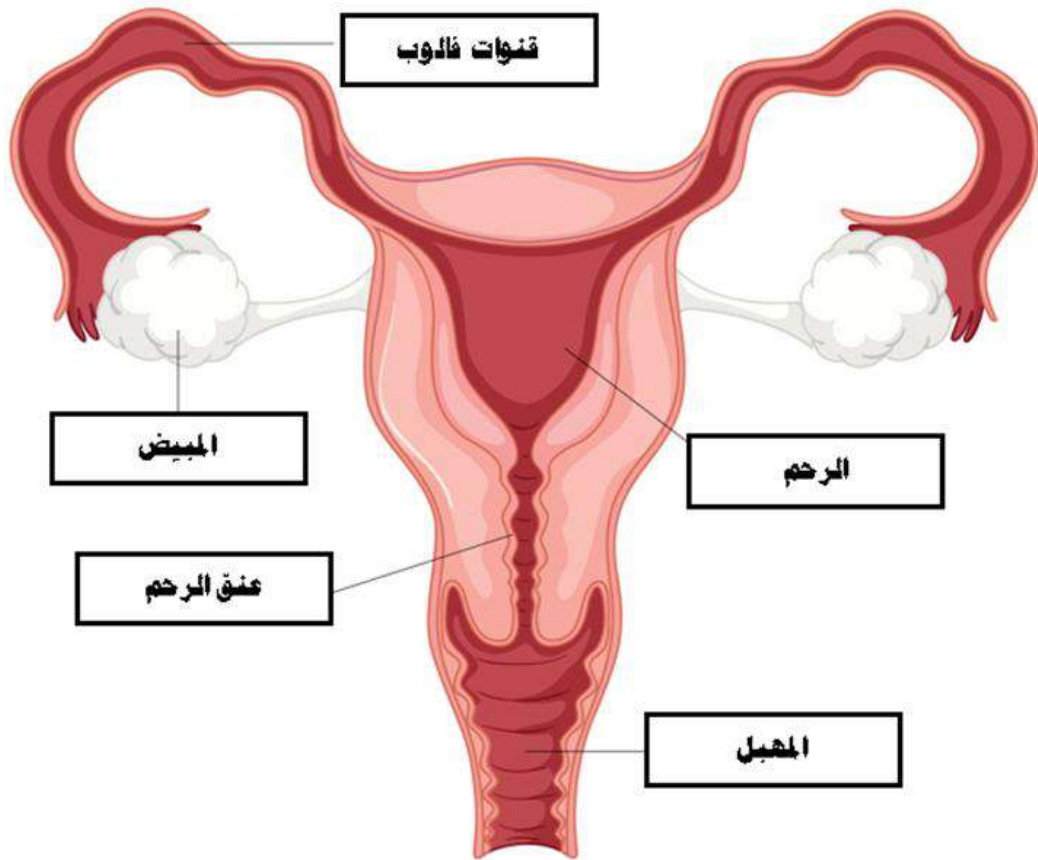
موسيقى داخلية لا تُسمع، بل تُعاش.
وفي تلك اللحظة فقط، نفهم أن الحكمة ليست في أن نحيا
طويلاً، بل في أن نحيا بانتظامٍ يليق بعزف الكون فينا.
فمن يحافظ على تناغم غدده، يحافظ على اتصاله
بالوجود، ومن يختلّ داخله تفسد نعمة العالم في أذنه...
لأن الجسد، في نهاية المطاف، ليس آلة بيولوجية
فحسب، بل قصيدةٌ مكتوبةٌ بلغة الهرمونات، تُتلى
بصمتٍ في أعماقنا منذ اللحظة الأولى للتكوين.

أعراض الجهاز

التناسلي الأنثوي

(الوردة و الأشواك)

في الجسد الأنثوي سرّ يشبه نشيد الخلق الأول، فهناك في أعماقه تنبض القدرة على استمرار الحياة، تتكوّن البذرة الأولى للإنسان في رحمٍ يجمع الحنان والظلمة، في مكانٍ يشبه الذاكرة الأولى للكون. ليس الجهاز التناسلي الأنثوي مجرد منظومة من الأعضاء، بل هو كيان روحي متجسّد، يكتب قصة المرأة مع الزمن، يرويها بأوجاعها، ودوراتها، وصمتها، وانبعاثها من جديد كل شهر كما تنبعث الأرض بعد المطر. هو نظام كوني صغير، فيه من الفصول الأربعة ما في الطبيعة من تبدّل، ومن القمر ما في الليل من حنوّ ونقصان.



لكن هذا العالم الدقيق، المتناسق بعبقريّة لا تُقاس، يمكن أن يختلّ بتغيّر بسيط في توازن الهرمونات أو

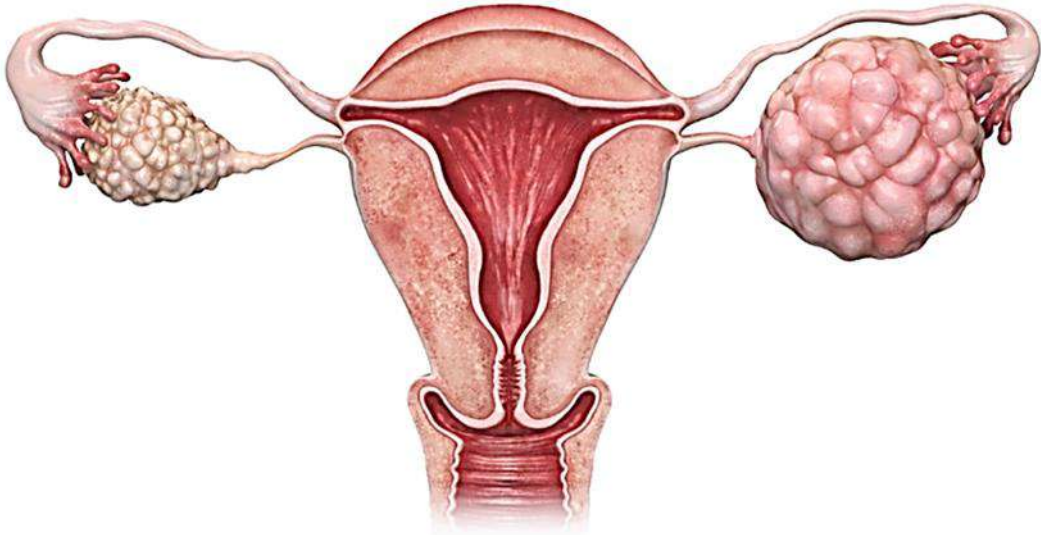
بميكروب صغير يتسلل خلسة، أو بورم لا يسمع أحد نبضه في بدايته. وعندها، تبدأ لغة الجسد بالتحول إلى حوارٍ غامض بين الألم والأمل، بين ما كان سرًّا للحياة وما صار نداءً للعلاج.

يبدأ كل شيء غالبًا بالتهابٍ بسيط، كرسالة من الجسد إلى صاحبه. **التهابات المهبل وعنق الرحم** من أكثر ما تواجهه النساء في حياتهن، وقد تبدو عابرة لكنها في جوهرها تعبير عن اختلال البيئة الدقيقة التي تحرس النقاء الداخلي. فحين تضعف البكتيريا النافعة التي تعيش في المهبل، أو يزداد الحامض اختلالًا بسبب تغيير الهرمونات، أو بسبب استخدام مطهرات قاسية أو مضادات حيوية عشوائية، تنتهز الجراثيم الفرصة لتستوطن المكان. تظهر الحكة والإفرازات والرائحة، وأحيانًا الألم عند العلاقة أو التبول، كأن الجسد ينطق بما لا تستطيع الكلمات قوله.

ويكشف **الفحص السريري والمخبري** عن طبيعة العدوى : فطرية، بكتيرية أو فيروسية. يُعالج السبب بدقة: مضاد للفطريات إن كان المذنب هو الكانديدا ، أو مضاد للبكتيريا إذا كانت العدوى ناتجة عن جراثيم لاهوائية أو منقولة جنسيًا. لكن العلاج الحقيقي لا يكمن في **الدواء** وحده، بل في إعادة التوازن الطبيعي، في فهم الجسد كمنظومة تحتاج إلى انسجام، لا إلى حرب

مستمرة مع نفسها.

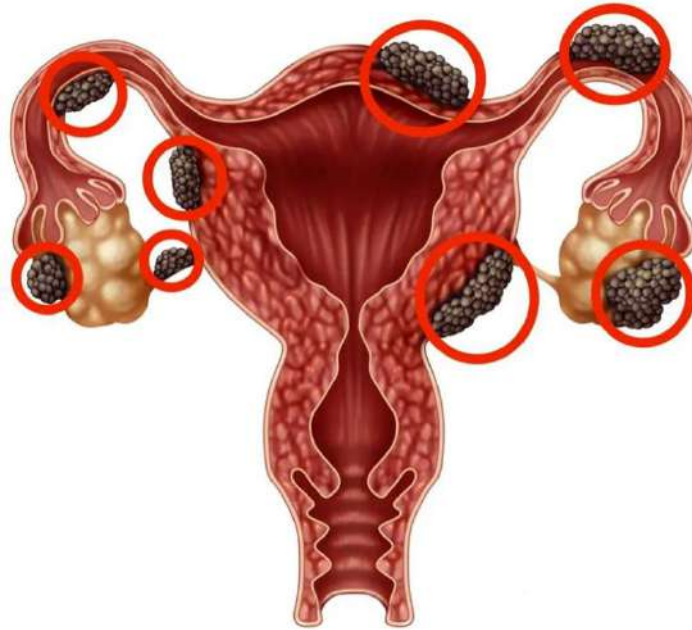
وفي عمق هذا العالم الغامض، تتربّع المبايض كحارستين على سرّ الخصوبة، تتناوبان الإباضة في دورة دقيقة تتحكم فيها إشارات من الدماغ والهرمونات القادمة من الغدة النخامية. لكن حين تُصاب المبايض باضطرابٍ يُسمى **تكيس المبايض**، يتغير كل شيء. **لا** تعود البويضة تخرج كما يجب، ويتجمع على سطح المبيض عدد كبير من الجريبات الصغيرة التي لم تنضج. ترتفع هرمونات الذكورة قليلاً، فتتبدّل الملامح: يظهر الشعر في غير موضعه، يزداد الوزن، وتغيّب الدورة الشهرية أو تضطرب، كأن الزمن الأنثوي نفسه اختلّ في إيقاعه.



الأسباب متشابكة بين الوراثة ونمط الحياة واضطراب حساسية الأنسولين، لكن العبرة في التشخيص بالفحص الهرموني والتصوير بالأمواج فوق الصوتية. أما

العلاج، فيسعى لإعادة التوازن : **تنظيم الهرمونات بالأدوية، تحفيز الإباضة لمن ترغب بالحمل، وتعديل النظام الغذائي لتخفيف مقاومة الأنسولين.** غير أن العلاج الأعمق هو في إعادة الإيقاع إلى طبيعته، أن يستعيد الجسد لحنه الأصلي الذي فقده بين الإجهاد والقلق.

ثم هناك المرض الذي يختلط فيه الألم بالدهشة : **الانتباز البطاني الرحمي**، حين يقرر نسيج بطانة الرحم أن يهاجر إلى أماكن لم تُخلق له - إلى المبيضين أو جدار الحوض أو الأمعاء - فينمو هناك ويستجيب كل شهر لتقلبات الهرمونات كما لو كان في مكانه الأصلي، فينزف في غير موضعه ويسبب التهابات والتصاقات وألمًا عميقًا.



لا يُرى هذا المرض بسهولة، وقد يُخطئه الأطباء

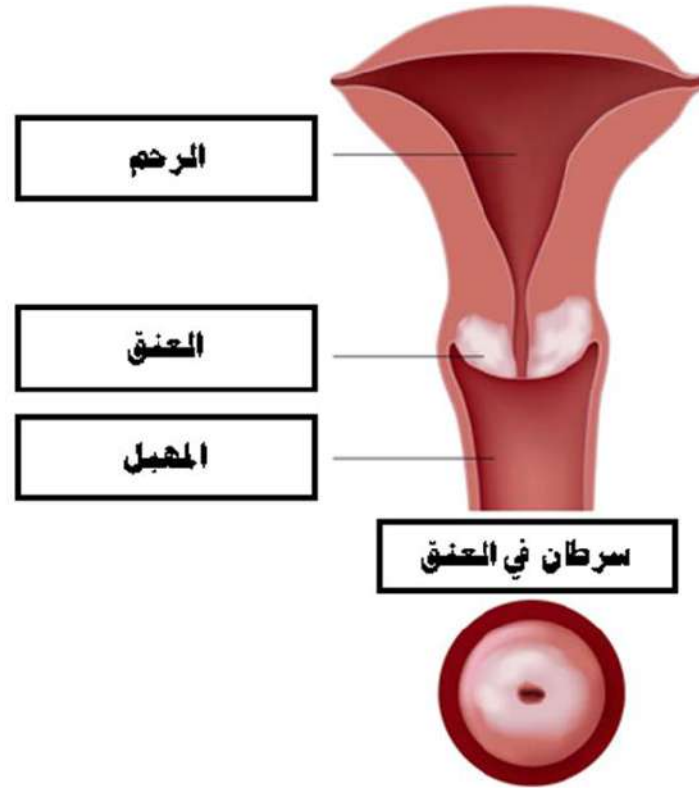
لسنوات، إذ يبدو الألم الطمّثي طبيعياً، إلى أن يصبح
أشدّ من أن يُحتَمَل. يُكشَف **بالمنظار** غالباً، ويُعالج
بتثبيت الهرمونات أو باستئصال البؤر المنتشرة
جراحياً.

لكنه في بعده الإنساني، يشبه رحلة امرأة تقاوم شيئاً في
داخلها لا يريد أن يهدأ. مرض الانتباز البطاني ليس
مجرد خلل في مكان النسيج، بل رمز لصراع بين الحياة
والمكان، بين انتماء الخلية وقدرها، بين الرحم الأصلي
ومواطن المنفى التي تتيه فيها.

أما **سرطان عنق الرحم**، فهو قصة أكثر تعقيداً، لأنها
تبدأ بصمتٍ طويل. فيروس صغير ينتقل عبر العلاقة
الجنسية (**فيروس الورم الحليمي البشري**) يتسلل إلى
خلايا العنق، يغيّر في شفرتها الوراثية بصبرٍ عجيب، ثم
يبدأ التحوّل من خلايا سليمة إلى خلايا شاذة، فسرطانية.
ولا تشعر المرأة بشيء إلا بعد سنوات، حين يظهر
نزف غير معتاد بعد العلاقة، أو إفرازات غريبة، أو ألم
متأخر.

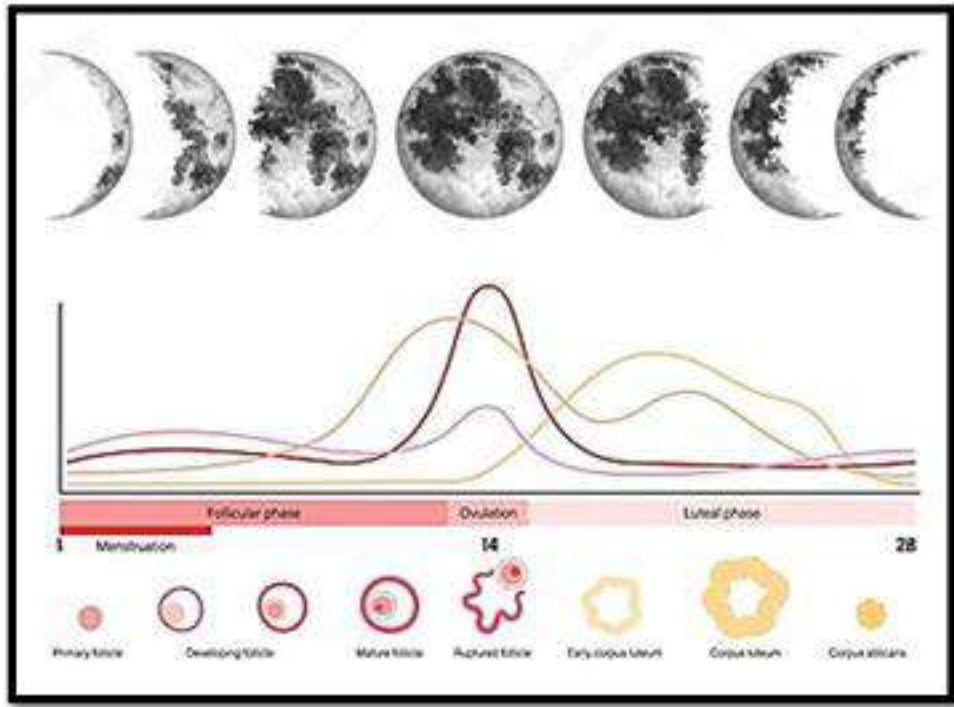
تكمُن أهمية هذا السرطان في أنه من أكثر السرطانات
التي يمكن الوقاية منها، لأن الطب اكتشف طريقاً
للكشف المبكر عبر المسحة الخلوية المنتظمة (مسحة
عنق الرحم) والتطعيم ضد الفيروس المسبب. العلاج
يتراوح بين **الجراحة والاستئصال الموضعي والعلاج**

الإشعاعي أو الكيميائي بحسب المرحلة، لكن الأمل هنا حقيقي : فالكشف المبكر ينقذ حياة، لأن الجسد يمنح إشارات في الوقت المناسب لمن يُحسن الإصغاء.



وفي ركنٍ آخر من هذه المملكة، تنبض الرحم بقصص أخرى، **كالأورام الليفية الحميدة** التي تنمو كجزر في جدارها، تغتذي بالهرمونات الأنثوية وتكبر ببطء، مسببة ثقلًا ونزفًا واضطرابًا في الدورة. هي أورام لا تريد فناء الجسد بل تذكّره بخصوبته الزائدة عن الحاجة، وتُعالج بحسب حجمها وتأثيرها **بالأدوية المثبطة أو الجراحة أو تقنيات إغلاق الشرايين المغذية**. ومع كل استئصالٍ منها، تشعر المرأة كأنها تودّع قطعة من تاريخها الداخلي، لأن الرحم ليس عضوًا وحسب، بل ذاكرة متجسدة.

وهناك أيضًا **اضطرابات الطمث**، تلك اللغة التي يتحدث بها الجسد كل شهر عن توازنه أو اختلاله. فحين تغيب الدورة أو تتأخر أو تأتي بغزارة، فإنها لا تشكو من رحمٍ فحسب، بل من منظومة كاملة تتنفس الهرمونات. يُبحث عن السبب في المبيض والغدة الدرقية وهرمون البرولاكتين المفرز من الغدة النخامية وحتى النفس التي قد تغلق الأبواب الهرمونية بصمتها. العلاج هنا أشبه بإعادة الحوار بين الزمن الأنثوي والعقل، بين القمر الداخلي ودورته التي انكسرت.



ولا يمكن الحديث عن الجهاز التناسلي الأنثوي دون التوقف عند **العقم**، ذلك الامتحان الوجودي الذي لا يقاس فقط بالتحاليل، بل بما يزرعه في النفس من صبر وأمل. أسبابه كثيرة : **اضطرابات الإباضة، انسداد الأنابيب، ضعف المبيضين، أو أسباب غير مفسّرة** رغم

كل الدقة. لكن الطب الحديث فتح نوافذ للأمل في أطفال
الأنابيب وتقنيات الإخصاب المساعد. غير أن أعمق
علاج يظل في التصالح مع المعنى، لأن القدرة على
الإنجاب لا تُلخّص المرأة، كما أن الأمومة ليست دائماً
بيولوجية، بل قد تكون في الحنان الذي يُمنح للحياة
أينما كانت.



في المقابل، لا يُهمل الطب اضطرابات سنّ الحكمة :
(الضهي)، حين تخفت الهرمونات تجفّ الدورة
الشهرية، ويبدأ الجسد صفحة جديدة من نضج مختلف.
تظهر الهبات الحرارية وتقلبات المزاج وجفاف الأنسجة
وتغيّرات العظام، لكن هذه ليست علامات انحدار، بل
تحول من خصوبة إلى حكمة، من دورة الدم إلى دورة
البصيرة. يُساعد العلاج الهرموني التعويضي أحياناً في

التخفيف من الأعراض، لكن الأهم هو فهم هذه المرحلة
كتحول لا كفقد.

إن أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي ليست أمراضًا
بالمعنى الجاف للكلمة، بل حكايات عن علاقة المرأة
بجسدها، عن حوارٍ أبدي بين الخلق والخلل، بين
الخصوبة والألم، بين الغياب والعودة. كل ألم فيها
يحمل معنى، وكل خللٍ يفتح باب تأملٍ في سرّ التوازن
الذي يحكم الكائن الحي.

فالأنوثة، في أعرق معانيها، ليست جسدًا يولد أو يمرض
أو يُشفى، بل هي موسيقى الحياة في أدقّ صورها :
تضعف ثم تعود، تذبل لتتجدد، تنزف لتثبت، كما تفعل
الأرض مع كل ربيع.

وحين تفهم المرأة جسدها، لا كعدوٍ يجب السيطرة عليه
بل كرفيقٍ يجب الإصغاء إليه، يتحول المرض إلى لغة
من لغات الوعي، ويصبح الألم رسالة من الداخل لا
لعقاب، بل لإيقاظ ذلك التوازن الخفي الذي به يكتمل
معنى الوجود.



أمراض الجهاز

العصبي

(دقق أعصابك)

في أعماق الرأس، بين تلافيف من لحم كهربائي لا يرى فيه النور، تسكن أعظم معجزة عرفتها الخليقة : الدماغ، تلك الغابة المتوهجة حيث تسري شرارات الفكر والإحساس، وحيث يُكتب الوعي على صفحة من النبض والكهرباء. إن الجهاز العصبي ليس مجرد أسلاك من الخلايا، بل هو ذاكرة الكون وقد انكشفت في إنسان. فيه تختبئ الذكريات كما تختبئ الكواكب في ظلمة بعيدة، ومنه تنبثق الأوامر التي تجعل اليد ترتجف فرحاً أو ترفع سلاحاً. هو العالم الذي لا يرى، ومع ذلك يدير كل ما نراه.



غير أنّ هذا العالم، الذي يزن أقل من بضعة كيلوغرامات، يمكن أن يسقط فجأة في صمت أو اضطراب، أن يفقد توازنه كعازف نسي لحنه، فيصير

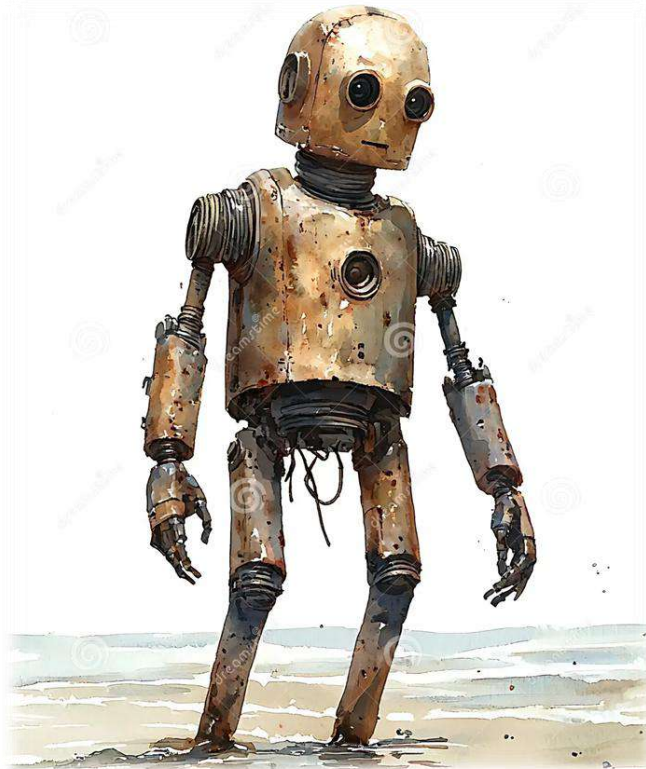
الكلام متلعثمًا، والذاكرة ضبابًا، والجسد مسرحًا
لارتجافٍ لا إرادة له فيه. حين يمرض الجهاز العصبي،
لا يمرض عضوٌ واحد، بل تترنّح الإنسانية نفسها، لأن
الوعي - تلك الشعلة المقدّسة - تهتز في مهبط العطب.

أكثر ما يرهق هذا الجهاز هو **السكتة الدماغية**، تلك
اللحظة الفاصلة التي يتوقف فيها الزمن في رأس
الإنسان. حين تنسدّ شرايين الدماغ بجلطة صغيرة أو
ينفجر شريانٌ هشّ، تنقطع التغذية عن منطقةٍ منه،
فتغيب القدرة على النطق أو الحركة أو الوعي في
ومضةٍ خاطفة. الأسباب كثيرة : **ارتفاع الضغط، داء
السكري، التدخين، اضطرابات الدهون، والشيخوخة**
التي تضعف الشرايين كما تضعف جذور الأشجار.
وتظهر الأعراض كعلاماتٍ للخلل المفاجئ : شللٌ في
نصف الجسد، اعوجاج الفم، اضطراب النطق، غشاوة
الوعي.

لكن التشخيص الدقيق يكتبه الطبّ بلغة الصورة، في
أشعةٍ مقطعية أو رنينٍ مغناطيسي يكشف مكان النزف
أو الانسداد، لتبدأ بعدها معركة الزمن : فكل دقيقةٍ
تساوي ملايين الخلايا العصبية. العلاج أشبه بسباقٍ مع
الفناء؛ إذ تتم **إذابة الجلطات بالأدوية أو جراحة النزف**
أو إعادة تأهيلٍ تعيد للجسد ذاكرته الحركية شيئًا فشيئًا.
إلا أن ما لا يُشفى بسهولة هو أثر الرعب الذي يتركه

المرض في الوعي ، فكرة أن لحظة واحدة تكفي ليمحى نصف الإنسان من نفسه.

وفي طريق آخر من طرق الدماغ، يسير **داء باركنسون** كظلٍ ثقيلٍ على الزمن. يبدأ برعشة خفيفة، ببطءٍ في الخطى، بتجمّدٍ في الملامح كأن الوجه نسي أن يعبر عن ذاته. إن سببه فقدان خلايا في منطقة عميقة تُدعى **المادة السوداء** ، تلك التي تُفرز مادةً تحكم الحركة والمرونة. حين تتناقص، يتصلّب الجسد كآلةٍ صدئة، ويصبح المشي فعلاً من الذاكرة لا من الغريزة كروبوت قديم يتحرك بصعوبة .



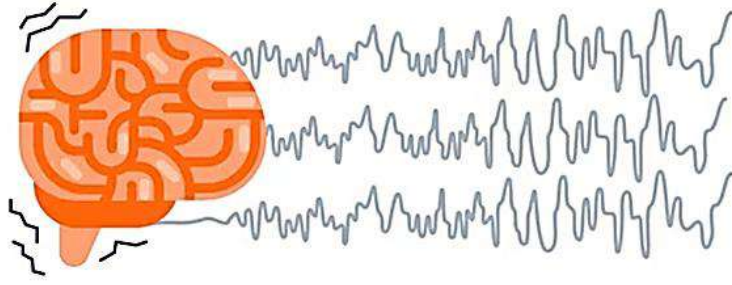
العلاج يقوم على تعويض المادة الناقصة بالأدوية المنبّهة لتلك الخلايا أو بجراحاتٍ دقيقة تُزرع فيها

أقطاب كهربائية تعيد الإيقاع العصبي إلى مساره. لكنه مرضٌ لا يُقاس بدرجة العجز فحسب، بل بدرجة الحنين : الحنين إلى بساطة الحركة، إلى تلقائية الابتسامة، إلى الحرية في أن تمتدّ اليد دون تفكير. باركنسون ليس في الجسد وحده، بل في الوعي الذي يرى ببطء ذاته وهو يتقدّم كزمنٍ ثقيل.

أما الصرع، فهو العاصفة التي تنفجر داخل الدماغ دون إذن. نوباتٌ من التفجّر الكهربائي الفجائي تجعل الجسد يرتجف والوعي يغيب، كما لو أن العاصفة نزلت إلى لحم الإنسان. أسبابها متعددة : قد تكون **وراثيةً أو تشوّهاتٍ في خلايا الدماغ أو إصاباتٍ أو أورامًا صغيرة.** لكن في كل الحالات، تبقى النوبة حدثًا غامضًا، يجتمع فيه الرعب والدهشة، حيث يصبح الإنسان غريبًا عن جسده.

التشخيص يعتمد على **تخطيط الدماغ** الذي يرسم كهربية العاصفة، وعلى **الصور** التي تبحث عن موضع الخلل. والعلاج طويلٌ، **بأدويةٍ** تُهدئ الدماغ وتعيد إليه توازنه، وأحيانًا **بجراحاتٍ دقيقة** تزيل البؤرة المسببة للنوبات. ومع الزمن، يتعلّم المريض أن يعيش مع عاصفته، أن يعرف متى تقترب، وأن يتعامل مع دماغه ككائنٍ آخر يشاركه السكنى. في الصرع، يتجلّى الصراع الأزلي بين النظام والفوضى، بين انضباط الخلايا وإمكان

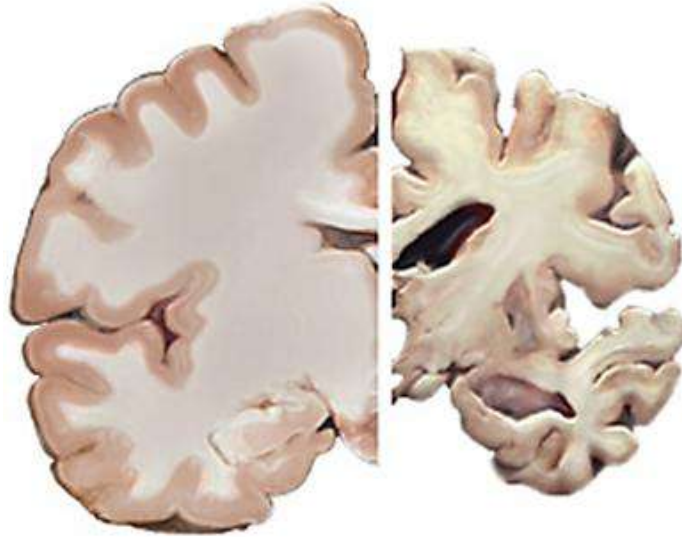
تمرّدها في لحظةٍ من الشرارة.



وفي زاويةٍ أخرى من هذا العالم المعقّد، ينسج **داء**
ألزهايمر حكايته البطيئة المؤلمة. يبدأ بنسيانٍ بسيط :
اسمٌ يضيع، موعدٌ يُنسى، ثم يتسع الصمت في الذاكرة
حتى يغمر الوعي. تتراكم في الدماغ **لويحات** من
بروتين سامٍ يخنق الخلايا العصبية ويعزلها عن بعضها
حتى تموت، فيتحوّل الإنسان إلى ظلٍ لنفسه ، كما
يضمّر الدماغ و ينكمش **حجمه**. لا يُعرف للمرض سببٌ
واحدٌ واضح، بل **خليطٌ من الوراثة والعمر والتهاباتٍ**
مجهريةٍ لا تُرى.

لا دواء يشفي الزهايمر تمامًا، لكن هناك ما يُبطئ

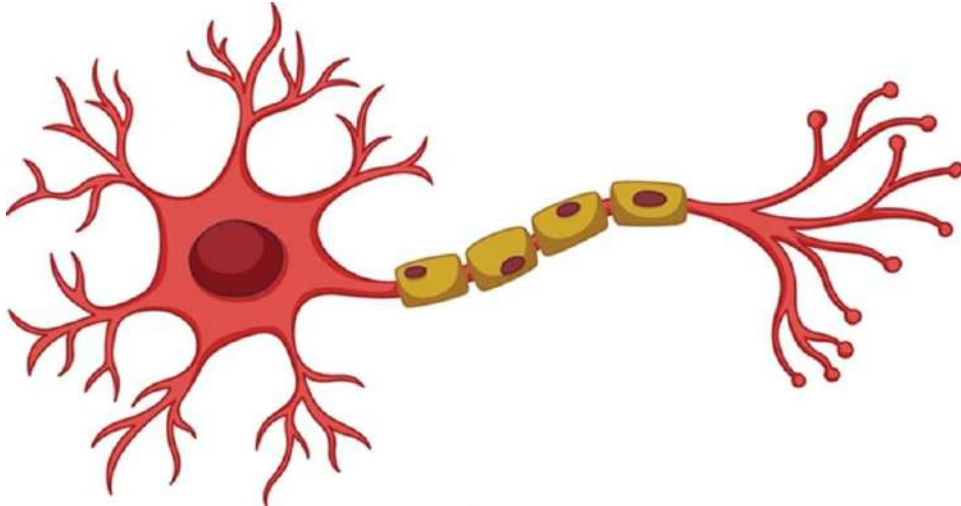
تقدمه : **أدوية** تحفّز النواقل العصبية، و **رعاية نفسية**
تحاول أن تُمسك بخيوط الذاكرة قبل أن تتلاشى. غير
أن ما يبقى أكبر من الطبّ نفسه : سؤال عن معنى
الهوية، عن حقيقة الإنسان حين يفقد ذاكرته. أليس
الوعي هو ما جعلنا نحن ؟ فكيف نُعرّف من ينسى
اسمه ولا يزال قلبه يخفق ؟ في الزهايمر، لا يموت
الدماغ فقط، بل تنحلّ علاقة الإنسان بماضيه، ككتابٍ
تُمحى صفحاته ببطءٍ موحج.



ثم يأتي **التصلّب المتعدّد**، ذاك المرض الذي لا يعلن
حرباً شاملة بل يهاجم على جبهاتٍ متفرّقة. يهاجم
غشاء الأعصاب - المايلين - في الدماغ والنخاع
الشوكي، فيتعرّى السلك الكهربائي الداخلي ويفقد نقله
السليم للإشارات. تظهر الأعراض على نحوٍ مبهم :
ضعفٌ في الأطراف، اضطراب في الرؤية، خدرٌ،
دوار، تعبٌ يفيض من غير سبب. ثم تختفي فجأة لتعود
بعد شهور، كأمواجٍ تتراجع لتضرب من جديد.

الأسباب معقدة بين **استعدادٍ مناعيٍّ وبيئيٍّ وجينيٍّ**.
والتشخيص يحتاج إلى **صور الرنين المغناطيسي**
و**تحليل السائل الدماغي الشوكي**. العلاج يعتمد على
الأدوية المثبطة للمناعة والمعدلة لسير المرض، وعلى
إعادة التأهيل المستمر. لكنه أيضاً رحلة في فهم
هشاشتنا : كيف يمكن لخطأ في جهاز المناعة أن يحوّل
الجسد ضدّ نفسه؟ وكيف يمكن للإرادة أن تعيش وسط
انهيار بطنيء ؟

وفي أطراف الجسد، على الحدود بين الدماغ والعالم،
تبرز **الاعتلالات العصبية المحيطية**، حين تتأذى
الأعصاب التي تحمل الرسائل إلى العضلات والجلد.
هنا، تبدأ الحكاية بوخز خفيف أو بحرارة تلسع القدمين،
ثم بخدرٍ يمتدّ كليلٍ باردٍ. الأسباب كثيرة : **السكري**
المزمن، الكحول، نقص الفيتامينات، بعض الأدوية
والسموم. والتشخيص **بالفحص السريري واختبارات**
التوصيل العصبي.



العلاج يبدأ بإزالة السبب إن أمكن، وبأدوية لتخفيف
الألم العصبي وتنشيط الأعصاب المتضررة. لكن ما لا
يُعالج بالدواء هو الإحساس بالفقد، لأن مريض الاعتلال
العصبي يعيش في مفارقة غريبة : جسده موجود، لكنه
لا يشعر به. إن الألم في الأعصاب ليس مجرد وجع،
بل تذكير دائم بحدودنا الحسية وبأن التواصل مع العالم
يمرّ دائماً بخيوطٍ هشة يمكن أن تنقطع في أي لحظة.

ولا يمكن أن يُذكر الجهاز العصبي دون الحديث عن
الصداع النصفي، تلك اللعنة النبيلة التي تجمع الألم
بالخيال. إنه ليس مجرد صداع عابر، بل عاصفة في
الأوعية الدموية والأعصاب تتفاعل مع الضوء
والصوت والرائحة.



يبدأ بوميض في العين، يليه ألم نابض يملأ نصف
الرأس كطبل يعلن الحرب، ثم غثيان وانغلاق على

**العالم. السبب مزيجٌ من الوراثة واختلالٍ في نواقل
الدماغ واستجابةٍ مبالغٍ فيها للمنبهات.**

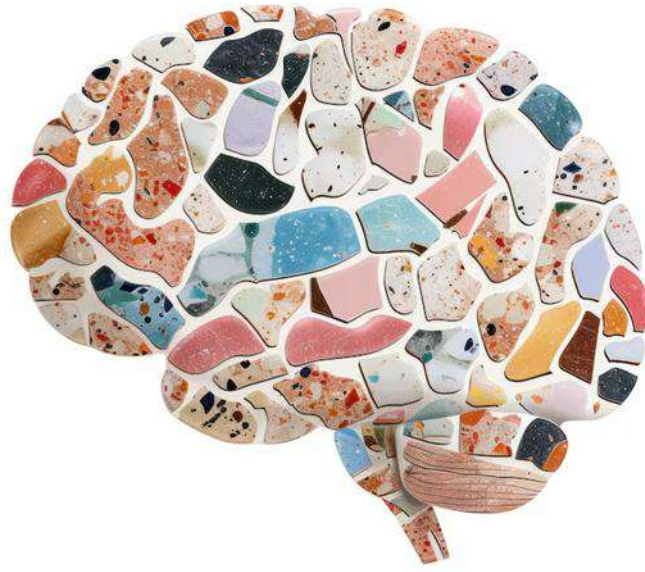
**العلاج مزيجٌ من الوقاية والدواء، من التنظيم والنوم
والسكينة، وأحياناً أدويةٌ تمنع التشنُّج الوعائي أو
تُخفِّف النوبات. لكنه أيضاً دعوة إلى فهم الجسد حين
يحتجّ بطريقته الخاصة : فالصداع النصفي ليس ضعفاً،
بل صرخة من الدماغ يطالب بها بالهدوء، بالانسجام،
بالعودة إلى الإيقاع الذي فقد وسط ضجيج العالم.**

في نهاية الرحلة داخل الجهاز العصبي، ندرك أننا
كائناتٌ من كهرباءٍ وذاكرة، وأن وعينا ليس سوى
ومضةٍ متقدّدة بين ظلامين. إن كل مرضٍ عصبيٍّ، من
السكتة إلى الزهايمر، يذكّرنا بأن التفكير ذاته يمكن أن
يتداعى، وأن الإرادة يمكن أن تتلاشى في لحظةٍ من
خللٍ مجهريٍّ. ومع ذلك، فإن في هشاشتنا سرّاً من
الجمال؛ لأن الدماغ، رغم ضعفه، يظلّ أكثر أعضاء
الكون إصراراً على الإدهاش.

ربما المرض العصبي ليس عطباً فقط، بل نافذةٌ يرى
منها الإنسان حقيقته : أنه ليس سيد جسده تماماً، بل
ضيفٌ في شبكةٍ من الإشارات التي تصنع ذاته. فحين
نرتجف أو ننسى أو نفقد السيطرة، لا نفقد إنسانيتنا بل
نراها عارية، بلا أقنعة.

وحين يعود المريض من ظلمة الصرع أو من غيبوبةٍ

أو من فقدان ذاكرة، يعود ومعه يقينٌ لم يعد يحتمل
الغرور : أن الحياة في جوهرها ومضة عصبية، وأن
الوعي نفسه - تلك الشعلة التي نُسميها (أنا) - هو
المعجزة الكبرى التي لا يكتمل فهمها إلا حين نكاد
نفقدها.

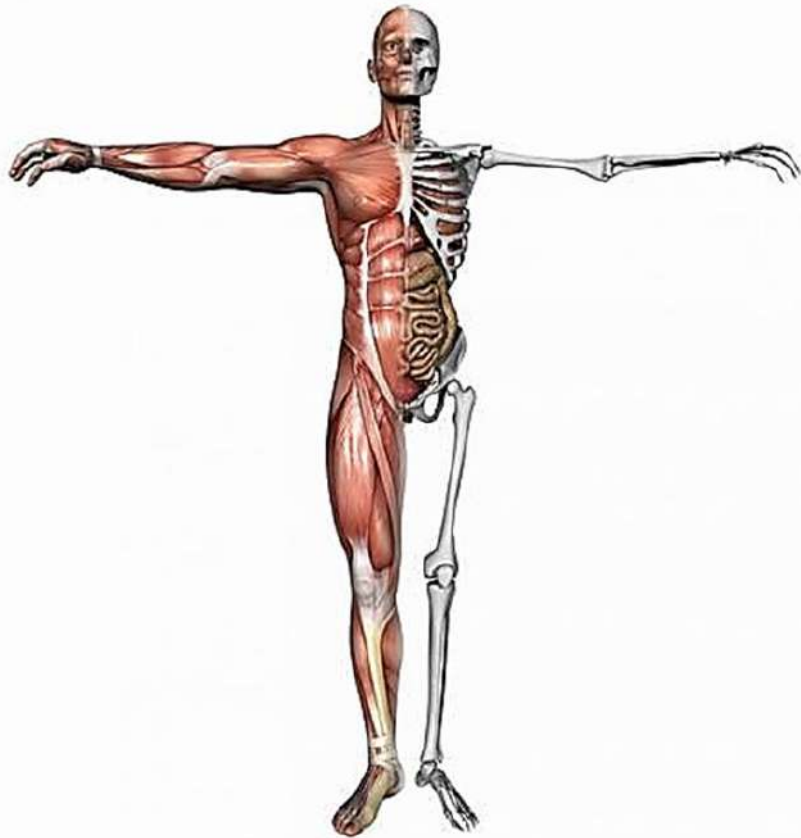


أعراض الجهاز

العروكي

(بحث مقصلي)

في البدء كانت الحركة، نبضة الوجود الأولى، حين انبعثت الخلية من سكونها لتتحرك، كان ذلك إعلانًا عن الحياة ذاتها. فكل ما يحيا يتحرك، وكل ما يتوقف عن الحركة يذبل ويزول. ومن هنا، كان الجهاز الحركي في الإنسان ليس مجرد إطارٍ مادي من العظام والعضلات والمفاصل، بل هو المعبد الذي تُقام فيه طقوس الإرادة، والسلم الموسيقي الذي تعزف عليه الروح لحن وجودها. لكن هذا العود العظيم - العظام والعضلات التي تسانده - يتعب أحيانًا، يتصدّع، أو يختلّ في تناغمه، فيتحوّل الجسد من نهرٍ من الانسياب إلى صخرة من الألم.



في أعماق هذا الجهاز العجيب، تمتزج الصلابة بالمرونة، فالعظام التي تبدو كالحجر ليست إلا نسيجًا

حيًا، يتنفس ويتجدد، بينما العضلات تنقبض وتنفرج في إيقاع صامت، كأنها تتذكر نبض الخلق الأول. أما المفاصل فهي مفاتيح الحرية التي تجعل الجسد يرقص، وبدونها يصبح الإنسان سجينًا في جلده. ولكن، كما لكل نجم لحظة أفول، لكل مفصل لحظة تعب، ولكل عضلة زمن انطفاء.

من أشهر ما يصيب هذا العالم الصامت من الأنسجة هو **التهاب المفاصل الروماتيزمي**، ذلك العدو الذي يزحف بهدوء نحو مفاصل الإنسان في الشيخوخة، وأحيانًا في الشباب، فيحول المرونة إلى تيبس، والنعومة إلى احتكاك مؤلم. ينشأ هذا الالتهاب حين **يثور الجهاز المناعي على نفسه، فيلتهم الغضاريف التي تحمي أطراف العظام كما لو كانت عدوًا غريبًا فتتشوه العظام و المفاصل بشدة**. أسبابه تمتد بين **الوراثة والتقدم في العمر والعدوى وضعف المناعة**، وتظهر أعراضه في صباح بارد حين يعجز المرء عن قبض يده أو ثني ركبته، فيدرك أن مفاصله قد أعلنت العصيان.

يُشخص الطبيب هذا الداء **بعين الخبير**، من تورم المفصل وصلابته **وصور الأشعة** التي تكشف عن المسافات الضائعة بين العظام، ويعالج **بالمسكنات ومضادات الالتهاب و العلاجات الحديثة و العلاج الطبيعي**، وأحيانًا باستبدال المفصل نفسه. ومع ذلك،

يبقى الالتهاب درسًا في فلسفة الجسد : أن كل حركة هي
ثمرة توازن هشّ بين النار والماء، بين المناعة
والاعتدال، وأن الإفراط في الدفاع قد يكون شكلًا من
أشكال التدمير..



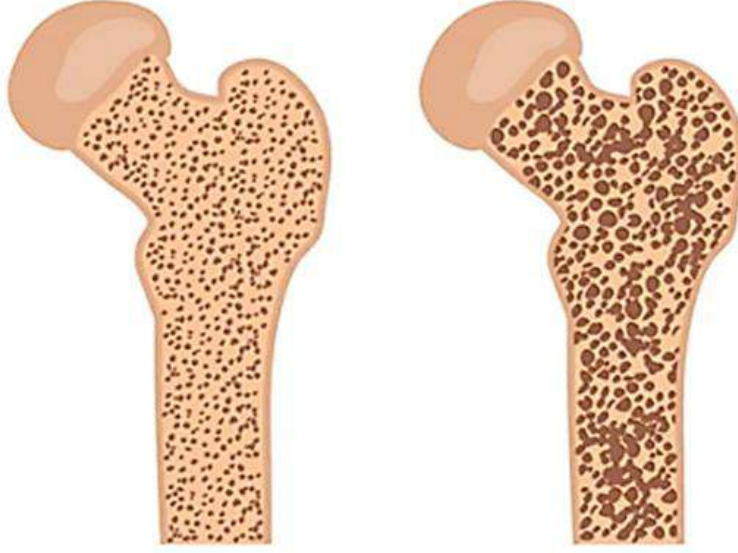
أما **التهاب المفاصل التنكسي** فهو الحكاية البطيئة
لاهتراء الزمن في الجسد، حين تبدأ الغضاريف التي
تفصل العظام عن بعضها بالانحلال رويدًا، فتفقد
المفاصل نعومتها ويعلو صوت الاحتكاك كأن الجسد
يئنّ تحت عبء عمره. أسبابه تتشابك بين **التقدم في السن، والإجهاد المزمن، والوراثة، والسمنة التي تثقل المفاصل.** يبدأ الألم خفيفًا، يظهر عند المشي أو
الصعود، ثم يتحوّل إلى رفيق دائم يمنع حتى أبسط
الحركات. **التشخيص يعتمد على الفحص السريري**

وصور الأشعة التي تكشف عن تضيق المسافة بين العظام وتبدّل ملامح المفصل. أما العلاج فليس استعادة لما مضى، بل إبطاء لرحلة الفقد، عبر التمارين المنتظمة، وتخفيف الوزن، والعقاقير المضادة للالتهاب، وأحياناً باستبدال المفصل إذا أصرّ الألم على البقاء. إنه المرض الذي يعلمّ الجسد كيف يشيخ بكرامة.

وإذا كان التهاب المفاصل هو ثورة داخلية، فإن هشاشة العظام هي انكسار صامت، أشبه بتعب طويل الأمد لا يرى إلا حين يسقط الجسد في لحظة هشة. فالعظام، رغم صلابتها، تحتاج إلى الكالسيوم وفيتامين D وأشعة الشمس، تحتاج إلى حركة مستمرة لتبقى قوية. وعندما تُحرم من ذلك، تبدأ خلاياها بالانحلال ببطء، حتى يصبح الهيكل الذي يحملنا مثل جدارٍ فقد إسمنته. وغالباً ما تصيب هذه الهشاشة النساء بعد انقطاع الطمث، حين تخبو الحماية الهرمونية التي كانت تمنح العظام صلابتها، كما أن بعض الأدوية و الأمراض تسببه .

تظهر الأعراض متخفية : ألم خفيف في الظهر، انحناء غير مبرّرة، ثم فجأة... كسرٌ في عظمة الفخذ أو العمود الفقري بعد سقوط بسيط. يُشخّص المرض بقياس كثافة العظام، ويُعالج بتعويض الكالسيوم والفيتامينات والأدوية التي تبطئ فقدان، مع الدعوة إلى المشي تحت الشمس كعبادة للسماء. إن هشاشة العظام ليست

مجرد داء، بل رمز للزمن حين يبدأ في محو آثاره
داخلنا ببطء.



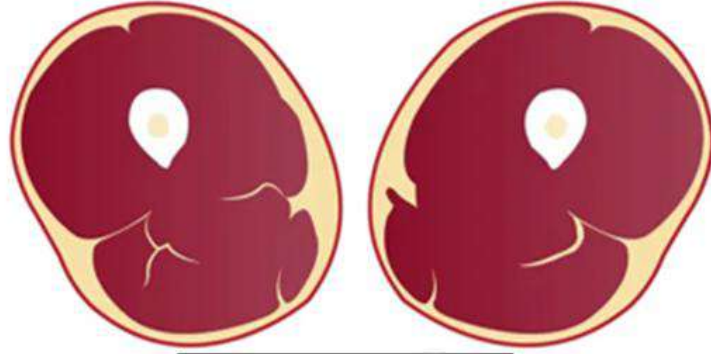
عظام طبيعية

هشاشة عظام

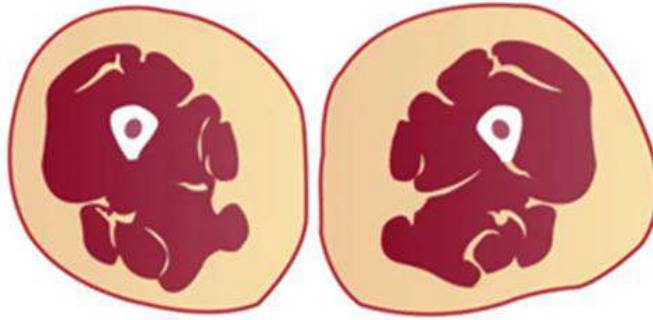
أما العضلات، فتخضع لقوانين الإرادة ذاتها. فهناك **الضمور العضلي**، وهو موت بطيء للقوة، حين تفقد الألياف قدرتها على التجدد. قد يكون الضمور **وراثيًا**، **يحمل في الجينات وعدًا مؤلمًا بالعجز**، أو مكتسبًا نتيجة إهمال الحركة أو الأمراض العصبية أو سوء التغذية. في بدايته، يكون مجرد تعب سريع، ثم تتحوّل العضلات إلى ظلّها القديم، يفقد الجسد توازنه، ويتحوّل الصعود من سلم بسيط إلى معركة.

العلاج هنا ليس دواءً فحسب، بل مقاومة، تدريب يومي على تحدّي الفناء. فالعلاج الطبيعي، والفيتامينات، والعقاقير التي تحفّز بناء البروتينات،

كلّها أسلحة في معركةٍ ضد الانطفاء، ولكن الروح تبقى
السلاح الأهم، إذ من دون الإرادة لا تنقبض عضلة ولا
يُرفع طرف.



عضلات طبيعية



ضمور عضلي

وهناك مرض آخر يهمس في العضلات بلغة غامضة:
الوهن العضلي الوبيل، حين تتعب العضلة لا لأنها
ضعيفة، بل لأن الإشارة التي تصلها من العصب
تتلاشى قبل أن تكتمل. في هذا الداء، يخطئ الجهاز
المناعي مرة أخرى، فيصنع أجسامًا تعيق استقبال
العضلة للأوامر العصبية. النتيجة أن العين لا تفتح
جيدًا، والوجه يترهلّ، والكلام يتقطّع، كأن التعب قد
استقرّ في كل حركة.

يعتمد التشخيص على **الملاحظة الدقيقة**، واختبارات **التحفيز الكهربائي والدم**، أما العلاج **فبالأدوية التي تزيد التواصل بين العصب والعضلة**، وبمثبطات **المناعة التي تعيد النظام إلى صمته الأول**. لكن هذا المرض، كغيره من أمراض العضلات، يذكّرنا أن الجسد ليس آلة بل شبكة من الإشارات الدقيقة التي يمكن أن تتعطل بأدنى اضطراب في لغة الكيمياء.

أما **تمزقات العضلات**، فهي حكاية أخرى، حكاية العجلة البشرية والرغبة في تجاوز حدود الطبيعة. حين يُرهق الإنسان عضلاته فوق طاقتها، تتمزق أليافها كما يتمزق وتر مشدود في آلة موسيقية. الألم حادّ، فجائي، يعلن سقوط الحركة من عليائها. والعلاج هنا بسيط في جوهره : **راحة، تبريد، ضغط خفيف، ثم تأهيل بطيء**. لكنها أيضاً دروس في التواصل، تذكّرنا أن القوة لا تكتمل إلا حين تعرف حدودها.

وإذا عدنا إلى العظام من جديد، فسنجدها تشكو من داء آخر لا يقلّ خطورة : **التهاب العظم والنقي**، ذلك الالتهاب العميق الذي يتسلل عبر الدم أو الجروح إلى داخل العظم ذاته، فيحوّله إلى ميدان حربٍ بين البكتيريا والمناعة. الألم هنا لاذع، نابض، والحمى تشتعل كتحذير داخلي. يشخص الطبيب الحالة **بفحوص الدم** **وصور الرنين المغناطيسي**، ويعالجها **بالمضادات**

الحيوية أو الجراحة إن لزم الأمر. إنه تذكير بأن الصلابة قد تكون هشة في أعماقها، وأن أكثر الأعضاء صمتًا قد يصرخ حين يشتعل فيه الخطر.

والجهاز الحركي أمراضٌ خفيّة تمسّ العظام من الداخل، مثل **الأورام العظمية الحميدة أو الخبيثة**، التي تغيّر شكل العظم وملمسه. قد تكون أسبابها **جينية أو عشوائية**، وتُكتشف غالبًا صدفة. تُعالج **بالجراحة والعلاج الكيميائي أو الإشعاعي**، لكنها تفتح بابًا فلسفيًا عميقًا حول هشاشة ما نظنه دائمًا صلبًا. فحتى الحجر، في النهاية، يمرض.



إن أمراض العضلات والعظام والمفاصل ليست أمراضًا للجسد فقط، بل هي مرآة الزمن فينا. فحين تتعب المفاصل، لا يتعب العظم وحده، بل تتعب الإرادة التي تحرّكه. وحين تضعف العضلات، يختبر الإنسان

معنى الاعتماد والانتظار، ويتذكر أن القوة ليست في العضلة، بل في ما يجعلها تنهض كل صباح رغم الألم.

في النهاية، ليس في العظام ما هو ميت، بل فيها حياة أخرى، صامته وثابتة كجذور الأشجار. والعضلات، وإن وهنت، ما زالت تحفظ ذاكرة الحركة، والمفاصل - رغم صريرها - ما زالت تروي حكاية الصبر. إن الجهاز الحركي ليس مجرد آلة تسير، بل هو تجسيد للعلاقة بين الثبات والتغير، بين المادة والنية، بين الجسد والروح.



فكل ألم في مفصل هو تذكير بأننا نسكن أجسادًا فانية، وكل ضعف في عضلة هو نداء من الداخل بأن **الحياة لا تُقاس بالقوة وحدها، بل بالقدرة على النهوض بعد الانكسار.** وحين نرى هيكلًا عظميًا، لا نرى الموت بل نرى بقاء الشكل بعد ذهاب الحركة، كأن الطبيعة تقول:

(إن السكون ليس نهاية، بل شكل آخر من أشكال
الرقص)



وهكذا، تظلّ أمراض الجهاز الحركي درسًا فلسفيًا عميقًا
في معنى الإنسان : مخلوق من العظم والنبض، يسقط
ويقوم، ينهك ويستعيد نفسه، لأن الحركة - مهما تعطلت
- لا تموت، بل تنام قليلًا في انتظار نداء الإرادة.

أمراض العين و

الأذن و الحلق

(فوضى الحواس)

في البدء لم يكن الإنسان سوى وعي يبحث عن منفذٍ إلى العالم. ثم خُلقت له النوافذ الخمس، فصار يرى ويسمع ويلمس ويشم ويتذوّق، ليتحوّل الجسد إلى آلة تعزف الواقع على أوتار الإدراك. والعين كانت أول العجائب، والأذن أول السبل إلى المعرفة، والجلد أول الحصون التي فصلت الداخل عن الخارج. هذه الحواس ليست مجرد أدوات بيولوجية، بل هي مراثٍ للدهشة، وأبوابٌ للعالم تنفتح بالضوء والصوت واللمس، لكنها أيضاً الأبواب التي تتألم، وتشيع، وتتعلّل حين يثقلها الزمن أو يعبت بها المريض. فحين يختلّ النور أو يضطرب السمع أو يتشقق الجلد، لا يتألم الجسد وحده، بل تهتزّ علاقة الإنسان بالعالم، ويصير الوجود نفسه باهتاً، ناقص الإيقاع.



العين – المرأة التي تنطفئ ببطء

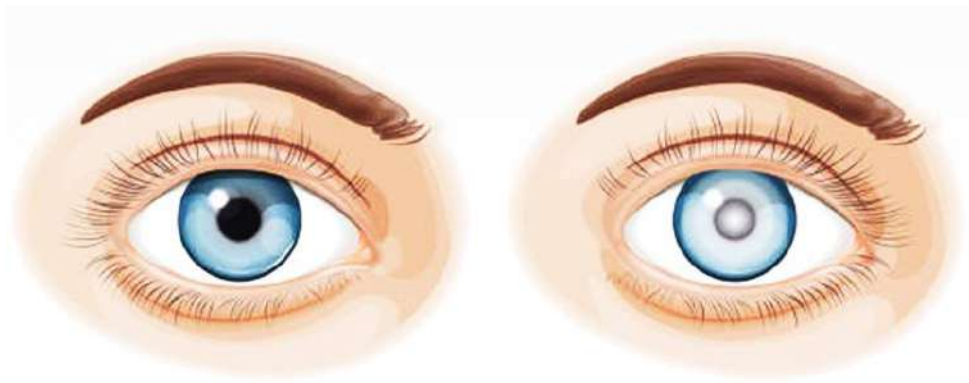
العين ليست مجرد عضوٍ للرؤية، بل هي الذاكرة التي

تحفظ شكل الوجود، والمرآة التي تنعكس فيها النفس
قبل أن ترى الأشياء. إنها الكاميرا الأقدم والأدق، التي
تصنع في كل لحظة لوحةً جديدةً من الضوء والظل.
لكن هذه العجائب الدقيقة يمكن أن تصاب بارتباك،
فتتكسر الصورة أو تنطفئ الألوان أو يغرق العالم في
ضبابٍ أبيضٍ لا يُحتمل.



من أكثر أمراضها شيوعاً **التهاب الملتحمة**، ذلك الغشاء
الرقيق الذي يغلف العين كستارةٍ شفافة. حين تهاجمه
الجراثيم أو الفيروسات أو الحساسية، يحمّر البياض،
وتدمع العين كمن يبكي سرّاً، ويشتدّ الإحساس بالحرقه
والحكة. إنها معركةٌ صامتة بين المناعة والميكروبات،
تنتهي عادةً **بقطراتٍ من المضادات الحيوية أو مضادات**
التحسس، وبراحةٍ قصيرة في الظل بعيداً عن الضوء.
غير أن هذا الالتهاب، رغم بساطته، يُذكرنا بأن العين لا
تتحمل العدوان، وأن أقلّ اضطرابٍ فيها يربك العلاقة
بين الداخل والخارج.

ثم هناك **الماء الأبيض، أو الساد**، حين تتعكّر عدسة العين شيئاً فشيئاً، فيبدأ الضوء نفسه يفقد نقاءه. الأسباب كثيرة : **الشيخوخة، والتعرض الطويل للشمس، والسكري، والأدوية، وحتى الوراثة.** الرؤية تصبح ضبابية كمن ينظر من خلف ستارٍ من البخار، والألوان تفقد توهجها، والوجوه تتلاشى في العتمة. لا دواء يعيد الصفاء إلا **الجراحة** التي تُبدّل العدسة بواحدةٍ صناعية، فيستعيد الإنسان الضوء وكأنه وُلد من جديد. لكن الساد ليس مرضاً فحسب، بل استعارة عن الحواس حين تتعب من الزمن وتحتاج إلى إعادة خلق.



أما **الزرق، أو ارتفاع ضغط العين**، فهو سارقٌ صامتٌ للرؤية، يتسلل ببطءٍ من الأطراف نحو المركز دون أن يثير ضجيجاً. ينشأ عندما **يختلّ تصريف السائل داخل العين، فيضغط على العصب البصري، فيموت النور على مهل.** لا يشعر به صاحبه في بدايته، لأن الرؤية المركزية تبقى سليمة، لكن حين يدركه، يكون جزءٌ من البصر قد رحل بلا عودة. يُشخّص **بقياس الضغط الداخلي للعين**، ويُعالج **بقطراتٍ تقلل إفراز السائل أو**

بالجراحة الدقيقة. لكنه، فلسفيًا، مرض الوعي البطيء؛
يذكّرنا أن بعض الخسارات تبدأ في الصمت وتنتهي
بالعمّة.



وفي نهاية رحلة البصر يقف **التكس البقي**، حين تتلف
البقعة المسؤولة عن الرؤية الدقيقة في شبكية العين. إنه
مرض **الشيخوخة البصرية**، يحوّل الحروف إلى غبار
والملاح إلى ضباب. أسبابه متعددة : **الوراثية**،
والتدخين، **وضعف التغذية**، وأحيانًا لا سبب إلا مرور
العمر. العلاج صعب، لكنه ليس مستحيلًا؛ **بالحقن التي**
تبطئ تدهور الشبكية وبالليزر الذي يحاول ترميم
الضوء. ومع ذلك، يبقى المرض تذكيرًا بأن الجمال
أيضًا يفنى، وأن النور، مهما كان خالصًا، يحتاج إلى
صيانة مستمرة كي لا يخبو.

الأذن – حيث تتجلى الموسيقى أو يتلع

الصمت الوجود

إذا كانت العين تُدخلنا إلى العالم عبر الضوء، فالأذن

تُدخل العالم إلينا عبر الصوت. بها نسمع نبض قلوبنا
وهمس الطبيعة وكلمات الحب وصدى الأفكار. إنها
البوابة الثانية إلى الإدراك، والحارس الخفي للتوازن.
غير أن هذا الباب الرقيق قد يمرض هو الآخر، فيختلّ
الإيقاع وتغدو الحياة ناقصة النغمة.



من أكثر ما يصيب الأذن شيوعاً **التهاب الأذن الوسطى**،
ذلك التجويف الصغير خلف طبلة الأذن الذي يربطها
بالبلعوم عبر قناة دقيقة هي نفير أوستاش .. عندما
تسدّها العدوى أو الزكام، يتجمع السائل في الداخل،
ويتحوّل الألم إلى طرقٍ داخليٍّ يشبه دقّ الأجراس في
الرأس. قد ترتفع الحرارة، وقد يُصاب السمع بضعفٍ
مؤقتٍ. يُشخّص الطبيب الحالة **بالفحص والمنظار**،

ويعالجها **بالمضادات الحيوية أو بفتح بسيطٍ لتصريف السائل**. إنها معركة صغيرة، لكن ألمها يجعل الإنسان يدرك كم هو هشّ توازنه، وكم يعتمد الجسد على انسجام خفيّ بين الضغط والهواء والصوت.

ثم يأتي **طنين الأذن**، ذاك الصوت الذي لا وجود له في العالم لكنه يسكن الرأس كضيفٍ ثقيلٍ لا يغادر. أسبابه كثيرة : **ضعف السمع، التوتر العصبي، الأدوية كالإسبرين، ارتفاع الضغط الشرياني، وحتى الصمت الطويل**. ليس له علاجٌ قاطع، بل مزيج من **التكيف والعلاج السمعي والهدوء الداخلي**. إنه مرض الوعي الزائد، حين يسمع الإنسان ضجيج ذاته بدل ضجيج الحياة.



أما **فقدان السمع** فله وجوهٌ كثيرة؛ قد يكون **خلقيًا أو مكتسبًا**، ناتجًا عن **التعرض للضوضاء، أو الشيخوخة**،

أو إصابة في العصب السمعي. حين يتراجع السمع،
تتراجع اللغة، ويتحوّل الحوار إلى صمتٍ غير مقصود.
يُشخّص المرض بفحوص السمع الدقيقة، ويُعالج
بالأجهزة المساعدة أو بزراعة القوقعة الإلكترونية
التي تعيد للأذن قدرتها على ترجمة الذبذبات إلى
أصوات. إنها انتصارات التكنولوجيا على الصمت،
لكنها أيضًا اعترافٌ بأن الإنسان لا يحتمل العزلة
السمعية، وأن الصوت ضرورة وجودية.

وللأذن أيضًا نصيبها من اضطرابات التوازن، حين
يختلّ جهازها الدقيق المسمّى الدهليز المسؤول عن
التوازن الحركي، فيشعر الإنسان بأن الأرض تميد به أو
أن العالم يدور. هذه الدوخة ليست وهماً بل رسائل من
أذن مضطربة إلى دماغ مرتبك. العلاج هنا هو الوقت
والصبر والعلاج الفيزيائي، وكأن الجسد يحتاج أن
يتذكّر من جديد أين يبدأ الثبات وأين تنتهي الدوّامة.



الأذن، في حقيقتها، ليست عضوًا للسمع فقط، بل ميزان الكون داخل الإنسان. حين تختلّ، يدرك المرء أنه لم يكن يستمع إلى العالم فحسب، بل كان يستند إليه.

الجلد – السور الأخير للجسد وساحة المعارك

الخفية

الجلد هو الكتاب الذي يُكتب عليه تاريخ الإنسان منذ ولادته، هو الذاكرة المرئية لكل ما يعبر الجسد من فرح أو مرضٍ أو خوف. إنه الحارس الأول والأخير، الحاجز الذي يفصلنا عن العالم ويحمل بصمتنا، ودفء أجسادنا، وملامحنا التي نُعرف بها. لكن هذا السور العظيم يتصدّع أحيانًا، ويثور أحيانًا أخرى، ليذكّرنا أنه ليس درعًا صامتًا بل كائنٌ حيّ يتنفس الألم.



من أكثر أمراضه شيوعاً **الأكزيما**، ذلك الالتهاب المزمن الذي يحوّل الجلد إلى لوحةٍ من الحكة والجفاف والاحمرار. أسبابه متعددة : **وراثية، تحسس، توتر نفسي، أو جفاف في المناخ**. يبدأ الطفح في اليدين أو الوجه أو خلف الركبتين، ويزداد مع القلق كما لو كان الجلد مرآةً للعاطفة. يُعالج بالمرطبات والكريمات المهدئة ومضادات الالتهاب، لكن الشفاء الحقيقي يبدأ حين يتصالح الإنسان مع جلده، لأن الأكزيما في جوهرها رسالةٌ من الداخل تقول : (اهدأ، إن جسدك يسمع أفكارك) .



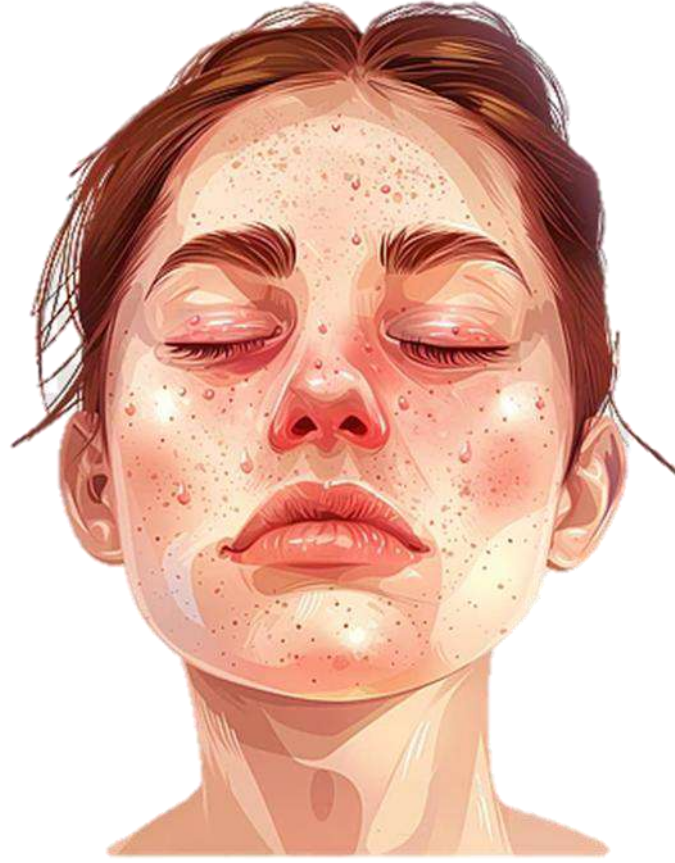
ثم هناك **الصدفية**، مرضٌ يجمع بين الطبّ والشعر في قسوته وجمال رموزه. فيه تتسارع دورة حياة خلايا الجلد، فتتراكم الطبقات البيضاء على هيئة قشورٍ تشبه الثلج على أرضٍ حمراء. لا سبب محدّد سوى **اضطراب**

المناعة الذي يبذل صبر الجلد بتسرّع جنوني. لا ألم فيها بقدر ما فيها من حرج نفسي، إذ تتحوّل البشرة إلى خريطة من البقع التي تفضح هشاشة الجسد أمام عيون الآخرين. العلاج طويل : **مراهم موضعية، أشعة فوق بنفسجية، وأدوية تنظّم المناعة.** لكنها في النهاية دعوةٌ للتقبل، لأن الصدفة لا تقتل، بل تُعلّم الصبر على الاختلاف.



أما **حبّ الشباب**، فحكاية المراهقة القديمة التي تتكرّر مع كل جيل، حين تنتفض الغدد الدهنية في الوجه لتعلن أولى حروب الهرمونات. المسام تُسدّ، والبكتيريا تستغل الفوضى، فتولد البثور الحمراء والندبات. يُعالج بالمضادات الحيوية أو **الأدوية المنظمة للزيوت أو العلاج بالليزر**، لكن الحقيقة أن هذا المرض، رغم بساطته، هو طقس عبور من الطفولة إلى النضج، تذكير

بأن الجمال ليس دائماً بلا شوائب، وأن الندبة قد تكون
توقيعاً على تجربة النمو.



وفي أقصى السكون، يختبئ خطر آخر : **سرطانات الجلد**، حين تفقد الخلايا نظامها، وتبدأ في الانقسام بلا ضابط. أسبابه في الغالب هي **أشعة الشمس التي نحيا بها وتقتلنا ببطء**. تظهر البقع، وتتبدل الشامات، وتفقد الحدود معناها. يُشخص المرض **بالخزعة**، ويُعالج **بالجراحة أو الإشعاع أو الأدوية التي تعيد للنظام توازنه**. لكنه، في فلسفة الوجود، تذكير آخر بأن الضوء نفسه يمكن أن يكون سيفاً ذا حدين، وأن الجمال قد يضم في طياته بذور الفناء.

في النهاية، ليست أمراض العين أو الأذن أو الجلد مجرد عللٍ جسدية، بل هي صدوعٌ في جدار التواصل بين الإنسان والعالم. فعندما تغشى **العين** غشاوةٌ، يبهت الوجود، وحين يصاب **السمع** بالعجز، يصمت الكون، وحين يثور **الجلد**، يصرخ الداخل في الخارج بلغةٍ من الحكمة والاحمرار. هذه الأمراض لا تُصيب الأعضاء وحدها، بل تصيب العلاقة بين الروح والبيئة، بين الذات والحياة.

إن الحواس ليست نوافذ فحسب، بل مسؤوليات، تُذكر الإنسان بمدى هشاشته أمام الضوء والصوت واللمس. **فالعين** التي ترى قد تُصاب بالعمى، لكن البصيرة تبقى؛ و **الأذن** التي تسمع قد تصمت، لكن القلب يبقى مرهفًا للحنّ الوجود؛ و **الجلد** الذي يشيخ ويتشقق يبقى الدفتر الذي كتب فيه الله تفاصيل الإنسان.

وفي تلك النهاية العجيبة، يبدو الجسد كقصيدةٍ طويلةٍ مكتوبةٍ على ورقٍ من لحمٍ وضوء. تبهت بعض أبياتها بالمرض، وطمحى أخرى بالزمن، لكن المعنى يبقى واضحًا : أننا كائناتٌ تمرّ عبر الألم إلى الفهم، وأن المرض ليس نقيض الحياة، بل وجهها الآخر، الذي يجعلنا ندرك كم هي ثمينة كل ومضةٍ من نور، وكل نغمةٍ من صوت، وكل لمسةٍ من بشرةٍ حية.

أمراض الأطفال

(رسوم متحركة)

في البدء، حين يُطلّ الطفل على العالم، يكون كصفحةٍ
بيضاء من الضوء، لا تحمل من الماضي سوى نبضٍ
صغيرٍ في رحم الزمن. جسده الناعم الذي بالكاد يتّسع
لأنفاسه الأولى، يحمل في دمه وأعصابه وموروثاته
ذاكرةً طويلة تمتدّ إلى أجيالٍ لم يعرفها. ومن هذه
الذاكرة الملتبسة بين الوراثة والقدر، تبدأ بعض
الحكايات التي تسمّيها الحياة (أمراض الطفولة) ، تلك
التي لا تختار إلا الأجساد الصغيرة لتعلن من خلالها
هشاشة الوجود، وجمال التحدي.



في عالم الأطفال، المرض ليس عارضاً بل هو جزء من
رحلة التكوين، كأنّ الجسد نفسه يجرب احتمالاته الأولى
في الفشل والنجاح. وهكذا تبدأ القصص الصامتة، من
قلبٍ يولد بعيبٍ خفيف، إلى خليةٍ ترفض أن تقوم
بواجبها في نقل الأوكسجين، إلى غدةٍ صغيرةٍ لا تعرف
كيف تضبط حرارتها الداخلية. إنّ أمراض الطفولة
النوعية ليست فقط تحدياً طبياً، بل مرآةً للخلق نفسه،

كيف يختبر التوازن بين الدقة والخلل، بين المعجزة والاحتمال.

القلب الوليد الذي يتعثر في خفقانه

القلب، ذلك المحرّك الصغير الذي يبدأ عمله قبل أن يولد الإنسان، قد يخطئ في هندسته أحياناً. يولد بعض الأطفال وقلوبهم تحمل فتحاتٍ غير مغلقة بين حجراتها، أو صماماتٍ ضيقة لا تسمح للدم بالعبور كما ينبغي، أو شرايين متبادلة في أماكنها. هذه ليست أمراضاً مكتسبة، بل رسائل من **الوراثة** أو من لحظة تكوين دقيقة اختلّت فيها خيوط الخلق لسببٍ لا يعرفه أحد. الأعراض تظهر على شكل ازرقاق في الشفتين، تعب عند الرضاعة، أو تأخر في النمو.

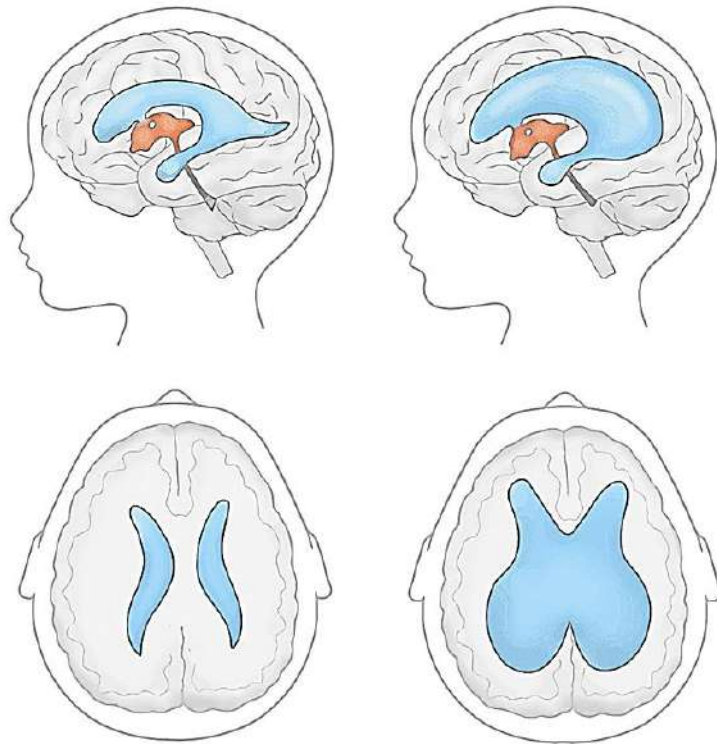


التشخيص يأتي من صوتٍ يسمعه الطبيب بسماعةٍ، ثم من صور القلب بالموجات فوق الصوتية، وكأنّ التقنية الحديثة تحاول أن ترى ما لم يُكتب بعد في مصير

الطفل. العلاج يتراوح بين **المراقبة والتدخل الجراحي**، لكنه في كل الحالات يحمل معنىً أعمق: أن القلب، وإن كان ناقصًا في خلقه، يظلّ قادرًا على أن يحبّ الحياة أكثر من أي قلبٍ آخر.

حين يتجمّع الماء في الرأس ويثقل الحلم

استسقاء الدماغ أحد تلك الابتلاءات التي تولد مع الطفل، حين تفشل المسارات الدقيقة التي تصرّف السائل الدماغي في عملها، فيتجمّع السائل الدماغي الشوكي في تجاويف المخّ، ويبدأ الرأس بالاتساع كأنّه يريد أن يفسح للسماء مكانًا داخله.



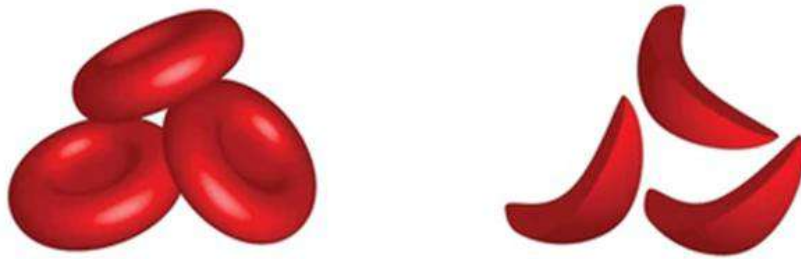
الأسباب قد تكون تشوّهًا خلقيًا أو التهابًا أصاب الأمّ أثناء الحمل أو انسدادًا بعد الولادة. الأعراض لا

تخطئها العين : كبر حجم الرأس، تؤثر اليافوخ، وتغير
في حركة العينين أو البكاء. الطبيب يشخصه **بصورة**
مقطعية للرأس أو بالرنين المغناطيسي، أما العلاج فهو
تدخل جراحي يزرع أنبوباً لتصريف السائل الزائد.

لكن وراء هذه التفاصيل الطبية، تظل صورة الطفل
ذاتها درساً فلسفياً مهيباً : كيف يمكن للعقل الذي لم يبدأ
التفكير بعد أن يحمل عبء الضغط الزائد في داخله،
وكيف يمكن للتوازن أن يكون مسألة مليمتراتٍ تحدّد
بين الوعي والغياب.

الدم حين يتعب من حمل الحياة

في دماء بعض الأطفال يولد خللٌ وراثيٌ يجعل خلاياهم
تنكسر قبل أوانها، كما في **فقر الدم المنجلي**، حيث
تتحول كريات الدم من شكلها الدائري الجميل إلى شكل
المنجل، فتعجز عن المرور في الشعيرات الدقيقة،
فيحدث **الألم، ويتوقف تدفق الأوكسجين**.



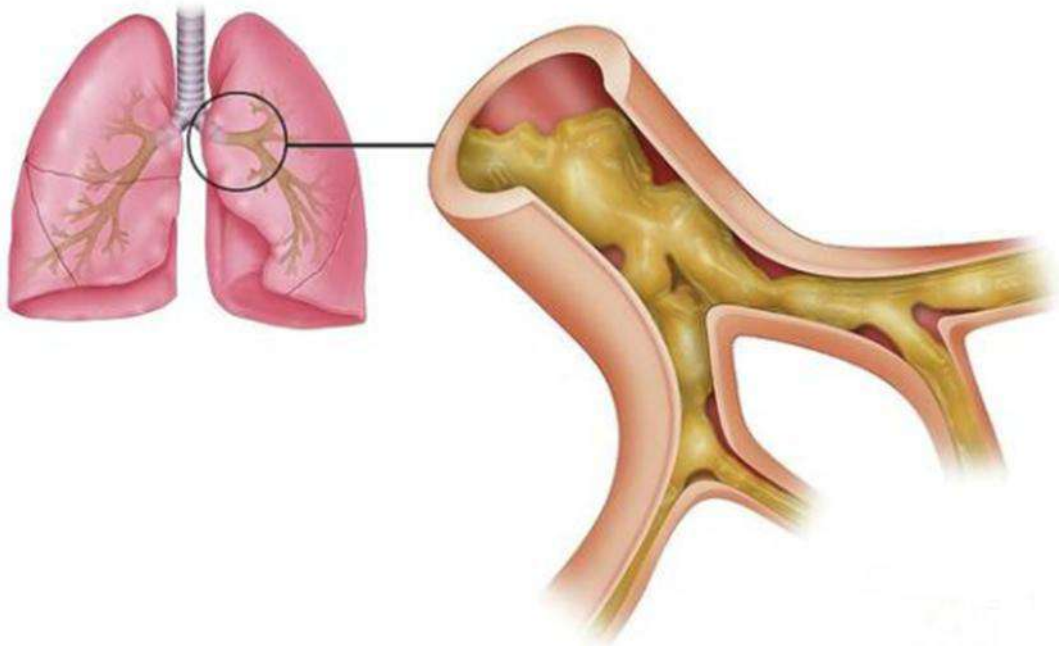
وفي **الثلاسيميا**، يختل بناء الهيموغلوبين ذاته، فيحتاج
الطفل إلى **نقل دم متكرّر، وإلى حديد يُراقب بدقة حتى**
لا يخلق الجسد من كثرته. الأعراض واحدة في

جوهرها : شحوب، تعب، تضخم في الكبد والطحال، وتأخر في النمو. العلاج طويل، يشبه الصبر، بين نقل الدم والعقاقير، وأحياناً زرع النخاع.

هذه الأمراض ليست عقاباً بل اختباراً للإنسانية فينا؛ إذ تجعلنا ندرك أن الدم الذي نحمله ليس ملكاً لنا، بل وديعة من الحياة يجب أن نحسن التعامل معها و نمنحها لمن يحتاجها .

حين يختنق الجسد بالماء والملح

في بعض الأطفال، تتأمر الوراثة على **الرئة و البنكرياس** معاً، فتجعل الإفرازات المخاطية أكثر لزوجة، فتسدّ الممرّات وتحوّل التنفس إلى معركة يومية.



هذا هو **التليف الكيسي**، أحد أعتى أمراض الطفولة

الوراثية. الطفل يسعل بلا انقطاع، يخرج مخاطًا غليظًا،
لا يكتسب وزنًا رغم شهيته، لأن الإنزيمات الهضمية لا
تصل إلى الأمعاء. الطبيب يكتشفه **بفحص العرق الذي**
يحمل نسبةً عالية من الملح، ويؤكدّه بالتحليل الجيني.
العلاج لا يشفي، لكنه يطيل الأمل : **جلسات تنفّس**
يومية، أدوية تذيب المخاط، تغذية غنية، ورعاية لا
تعرف الملل.

التليف الكيسي يشبه الغيوم التي ترفض أن تمطر، يحمل
الرطوبة في داخله، لكنّه لا يقدر على الإفراج عنها.
ومع ذلك، يعيش الأطفال به وهم يضحكون، كأنهم
يعلموننا أنّ القدرة على الفرح لا تحتاج إلى رئة كاملة،
بل إلى روح واسعة.

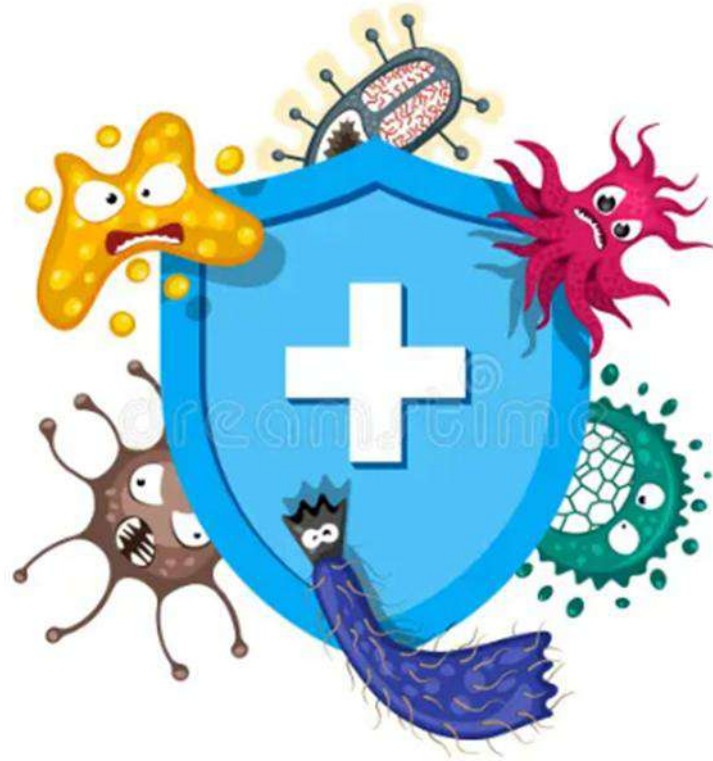
حين يخطئ الجسد في قراءة ذاته – أمراض

المناعة الأولية

أحيانًا يولد الطفل بجهاز مناعي ناقص أو مرتبك، كأنّ
الحارس الذي وكل بحمايته لا يعرف شكل العدو.
هؤلاء الأطفال يلتقطون العدوى بسهولة، تصيبهم
الالتهابات المتكررة في الرئة والجلد والأذن، وتطول
نزلاتهم أكثر من المعتاد. الطبيب يشكّ حين يرى
التكرار، **فيفحص الأجسام المضادة ويقيس الخلايا**
المناعية. العلاج يعتمد على النوع : بعضهم يُعالج

بحقن الأجسام المضادة بانتظام، وبعضهم يحتاج إلى
زراع نخاع جديدٍ ليعيد برمجة دفاعاته.

لكن في العمق، هؤلاء الأطفال يذكّروننا بأنّ الجسد ليس
حصنًا منيعًا، بل مفاوضٌ دائم مع العالم، وأنّنا نحيا لا
لأننا ننتصر على الجراثيم، بل لأننا نتعايش معها.



الاستقلاب حين يختلّ في العمق

في جسدٍ طبيعي، تتحول البروتينات إلى طاقةٍ بفضل
توازنٍ بديعٍ من الإنزيمات، لكن في بعض الأطفال يولد
الخلل في واحدٍ من تلك التروس الدقيقة، فيتراكم
مركّبٌ سامٌ في الدماغ. هذا ما يحدث في **بيلة الفينيل
كيتون**، أحد أمراض الاستقلاب الوراثية. الطفل يبدو
سليمًا عند الولادة، ثم يتأخر نموّه العقلي إن لم يُكتشف

مبكرًا. لذلك تُجرى الفحوص لكل مولودٍ بعد أيام من ولادته. العلاج بسيط في ظاهره عظيم في أثره : حمية غذائية خالية من الفينيل ألانين، مدى الحياة.

هذه الأمراض الاستقلابية تذكّرنا أنّ الذكاء ليس فقط مسألة تربيةٍ وتعليم، بل توازنٌ كيميائيّ في عمق الخلية، وأنّ القدر أحيانًا يختبئ في تفصيلةٍ من الحمض النوويّ.

حين يرقص الدماغ على إيقاعٍ غير منتظم

في بعض الأطفال، تشتعل كهرباء الدماغ فجأة، كبرقٍ بلا عاصفة. نوبة صرعٍ، اختلاجات عضلية، غياب لحظي عن الواقع.



قد يكون السبب وراثيةً أو تشوّهاً أو حرارةً مرتفعةً في الطفولة الأولى. الطبيب يقرأ النشاط الكهربائي في رسم الدماغ، ويحدّد النوع والعلاج بالأدوية المثبّطة

للنشاط. الصرع لا ينقص من الطفل شيئاً، لكنه يجعله يعيش على حافة وعيٍ مختلفة، كأنه يعرف عن الزمن ما لا نعرفه نحن. في لحظة النوبة، يغيب عن الحاضر، ثم يعود مبتسماً كمن سافر إلى مكانٍ لا اسم له.

العلاج هنا هو **مزيج من الدواء والحب**، لأنّ الخوف يقتل هؤلاء أكثر من المرض ذاته.

حين يعجز الجسد عن ترجمة أوامر الروح

أحياناً لا تكون المشكلة في العضلات نفسها، بل في الرسالة التي تصلها من الدماغ. **الشلل الدماغي** ليس مرضاً يتطور، بل حالة ناتجة عن **أذية حدثت قبل الولادة أو أثناءها أو بعدها بقليل**، حين ينقطع الأوكسجين أو تصيب الدماغ عدوى أو نزيف. الطفل يعيش بعقلٍ صافٍ وجسدٍ لا يستجيب كما يريد، كأنّ الفكرة تسقط قبل أن تصير حركة.



العلاج هنا ليس شفاءً بل رحلة : علاجٌ فيزيائيّ،
جلساتٍ نطقيّ وتأهيلٍ نفسيّ، أدواتٌ تساعد على
الحركة.

وهؤلاء الأطفال، بعيونهم التي تتقد ذكاءً، يذكرّوننا أن
الإرادة أقوى من الجسد، وأن الروح لا تحتاج عضلاتٍ
لتنحرك.

الغدة الدرقية حين تنام مبكراً

قصور الغدة الدرقية الخلقي من أكثر أمراض الغدد
شيوعاً في الطفولة المبكرة. طفلٌ هادئٌ أكثر من اللازم،
نومٌ طويل، برودة في الأطراف، بطء في النمو، وانتفاخ
في الوجه.



السبب عادة **نقص في تكوين الغدة منذ الحياة الجنينية**.
الطبيب يكتشفه **بفحص هرمونيّ بسيطٍ بعد الولادة**،

والعلاج هرمونٌ تعويضيّ يعيد التوازن. لكن إن تأخر التشخيص، يتأخر التطور العقلي والجسدي، لأن الهرمون هو لحن النمو الداخلي. إنها قصة عن التوقيت؛ أن دقائق التأخر في العلاج قد تغير حياة إنسانٍ كاملة.

ذاكرة الأوبئة الأولى

جدري الماء، الحصبة الألمانية، والنكاف، أمراضٌ لا تُفارق ذاكرة الطفولة. طفوحٌ جلدية، حرارة، تورّم في الغدد، أحيانًا التهاب في الدماغ أو العقم إن أهملت.



لكنها اليوم نادرة بفضل **اللقاحات** التي تحوّل الخوف إلى مناعة. هذه الأمراض التي كانت تحصد الأرواح أصبحت رموزًا لعصرٍ انتصر فيه الطبّ على الصدفة. ومع ذلك، تظلّ حكايات الجدّات عنها جزءًا من التراث،

تذكّر الأمهات بأنّ كل وخزة إبرة في ذراع الطفل هي
في الحقيقة درعٌ ضدّ الغياب.

في النهاية، أمراض الطفولة النوعية ليست ظواهر
مرضية فحسب، بل سرّدٌ للإنسانية في أنقى صورها.
كلّ طفلٍ يولد بعيبٍ في قلبه أو في دمه أو في خلاياه،
هو شاهدٌ على أن الكمال ليس شرطاً للحياة، وأنّ
النقص أحياناً هو ما يجعل التجربة أكثر امتلاءً
بالمعنى.



الأطباء الذين يعالجون هؤلاء لا يرون فيهم مرضى، بل
كائناتٍ تختبر حدود الممكن. والمرّضة التي تمسك بيد
طفلٍ مصابٍ بالتليف الكيسيّ، لا تقدّم علاجاً فقط، بل
تمنح معنىً للرحمة. والعائلة التي تسهر على طفلٍ

مصابٍ بالصرع تعرف أنّ اليقظة لا تكون فقط من أجل
الخطر، بل من أجل الحبّ.

وهكذا، حين نرى طفلاً يعاني ولا يستسلم، ندرك أن
الحياة رغم قسوتها لا تزال تمنحنا سبباً للإيمان بها.
فالجسد الصغير الذي يقاوم المرض إنما يعلن عن قانونٍ
كونيّ عظيم : أن الحياة مصمّمة لتستمرّ، مهما تعثّرت.

في صمت غرف المستشفيات، حيث تختلط أنفاس
الأطفال بأجهزة المراقبة، يمكن سماع موسيقى خفيّة لا
يسمّعها إلا من أرهف قلبه: لحنٌ يقول إنّ الجسد وإن
وُلد ناقصاً، فإنّ الروح فيه تظلّ كاملة، وأنّ الطفولة -
حتى في مرضها - تظلّ أقدس مراحل الإنسان، لأنها
وحدها تعرف كيف تبكي دون أن تفقد الأمل.

التَّوَلَّى

(يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ

كَيْفَ يَشَاءُ)

في أروقة الطب، لا يوجد مشهد يشبه الولادة في عريّه
وجلاله. إنّها اللحظة التي ينحني فيها العلم أمام الحياة،
لا لينقذها فحسب، بل ليشهد خلقها من جديد. هناك، في
غرفةٍ يغمرها الضوء الأبيض ورائحة المطهرات،
يحدث أعظم سرٍّ في الوجود : تتحوّل الكائنات من فكرةٍ
خفيّة في رحمٍ دافئ إلى حضورٍ صاخبٍ في العالم.
الولادة ليست مجرد حدثٍ بيولوجي، بل طقسٌ كونيٌّ
يعيد تمثيل فعل الخلق الأول، حين خرج النور من رحم
العدم.



الطبيب في تلك اللحظة لا يملك رفاهية الشعر، لكنه
غارق فيه دون أن يدري. ففي كلّ تقلّصٍ من تقلّصات
الرحم يسمع إيقاع الزمن وهو يلد نفسه من جديد، وفي
كلّ صرخة أمٍّ يقرأ معنى الخلاص الذي يمرّ عبر الألم،
لا حوله. إن التوليد، بهذا المعنى، ليس فرعاً من الطبّ

فقط، بل هو فلسفة الوجود وهي تمارس فعلها الأكثر واقعية وجنوناً في آنٍ واحد.

غير أنّ هذا الطقس المقدّس لا يخلو من فوضاه وخطره. فبين الفرح والدم، بين الأمل والموت، يقف الطبيب على الحدّ الفاصل بين النور والظلمة. هناك، في تلك اللحظات التي تتقلّب فيها أنفاس الأمّ بين النجاة والهلاك، يُختبر الطبّ في أنبل معانيه : كفنٍ لإنقاذ الزمن من التوقّف.

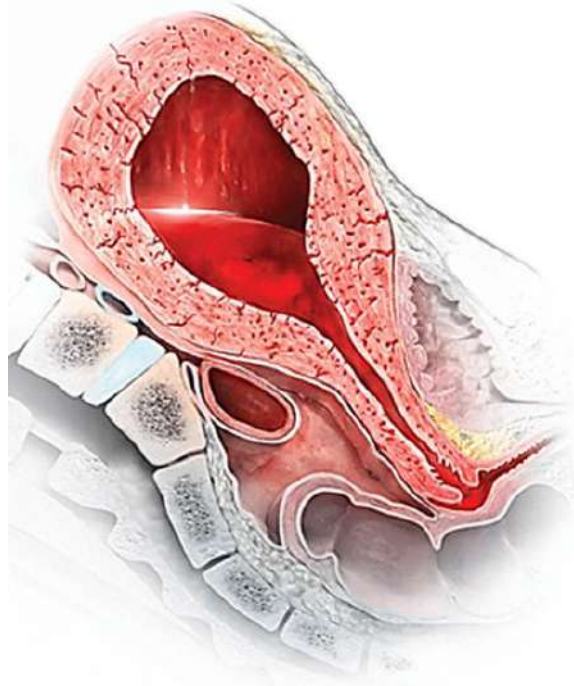
نزيف ما بعد الولادة – عندما يصبح الفرح

امتحاناً أخيراً

من أكثر اللحظات التي تختبر صبر الطبيب وإيمانه، لحظة النزيف الذي يعقب الولادة. يحدث حين يُنهك الرحم فلا يعود قادراً على الانقباض لإغلاق الأوعية التي غدّت المشيمة طوال الحمل. أسباب كثيرة تتداخل: إرهاب، تمدّد مفرط، أو بقايا مشيمية تتشبّث بالحياة قبل أن تُغادر. العلامات لا تُخطئها العين : شحوبٌ سريع، نبضٌ متسارع، ضغطٌ ينهار كرمز لانتهاء التوازن بين العطاء والفقد.

التدخّل يكون كاستغاثةٍ عاجلة : **تدليكٌ للرحم، وأدوية منبهة، ونقل دمّ، وجراحةٌ إذا فشل كلّ شيء.** لكن في

جوهر هذا النزيف رمزيةً تتجاوز الطبّ : كأنّ الرحم يدفع آخر قسطٍ من ضريبة الخلق، معلناً أن الحياة لا تُولد إلا على حافة الموت.



الإرجاج – الغضب الهادئ في رحمٍ مضطرب

في شهور الحمل الأخيرة، قد يطلّ وجهٌ آخر للحياة، وجهٌ مزيج من الجمال والجنون : الإرجاج أو تسمّم الحمل. **يعلو الضغط فجأة، يتورّم الجسد، وتبدأ الكلى والكبد في الانهيار الصامت.** السبب غير واضح تماماً، لكن العلم يهمس أن المشيمة - ذلك العضو العجيب الذي يجمع دميين لا يمتزجان - تُطلق موادّ تفسد توازن الأوعية، فتغدو الشرايين ضيقةً كأنها تختنق.

تشكو الأم من صداع لا يشبه الصداع، ومن غشاوة على البصر، ومن إحساس أن قلبها لم يعد يعرف

الإيقاع. يُشخّص الطبيب الحالة **بالفحص السريري و**
المخبري، ويبدأ السباق بين استمرار الحمل وإنهائه،
بين زمنٍ يريد أن يكتمل وزمنٍ يخاف أن ينكسر.

وحين يُقرّر إنهاء الحمل، تكون **الولادة نفسها هي**
الدواء. وهنا تتجلّى المفارقة الكبرى : أن الحياة تُنقذ
أحياناً بأن تُختتم، وأن الولادة قد تكون سبيل النجاة من
الحمل ذاته.

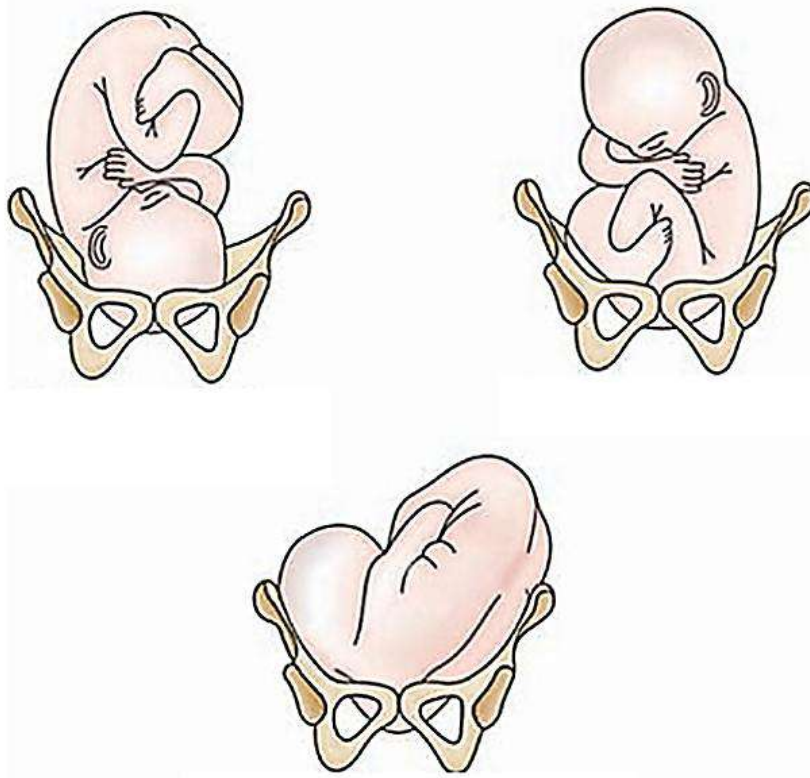
الولادة المتعسّرة – حين يعجز الجسد عن إتمام

طقسه

ليست كلّ الولادات طيّعةً كالماء. أحياناً يعاند الطريق
الجسد، فينقلب المخاض إلى معركةٍ صامتة بين رحمٍ
يئنّ وطفلٍ يرفض الخروج. الأسباب تتنوّع : **ضيّقٌ في**
الحوض، ضعفٌ في تقلّصات الرحم، أو وضعٌ خاطئٌ
للجنين. في تلك اللحظات يصبح الطبيب شاعرًا
فيزيائيًا، يقرأ خرائط الألم كما يقرأ العرّاف خطوط
الكفّ.. يُراقب التقلّصات، يتتبع نبض الجنين، يحاول
تسريع الولادة أو اللجوء إلى الملقط والشفّاط، وحين
يستنفد الطبّ أدواته، تُفتح البوابة القيصرية، كنافذةٍ
حديديةٍ على المعجزة. ومع كلّ طفلٍ يُنتزع من رحمٍ
متعب، يتذكّر الطبيب أن الحياة ليست دائمًا طريقًا
مستقيمًا، بل قد تكون نحتًا قاسيًا في صخر الألم.

المجئّات - اتجاهات الولادة كاختيارات الوجود

في أواخر الحمل، يبدأ الجنين في تحديد وجهته إلى النور. أغلبهم يتّخذ **الوضع الرأسي الأمامي**، كأنّ الرأس - موضع الفكر - يصرّ أن يكون أول ما يواجهه العالم. لكن بعضهم يختار غير ذلك : يأتي **مقعدياً، أو عرضياً، أو بوجهه مقلوب نحو السماء.**



الطبّ يسمّي هذه الحالات (المجئّات غير الطبيعية) ، ويقراها كاحتمالاتٍ لمخاضٍ صعب. الأسباب قد تكون ضيق الرحم أو زيادة السائل الأمنيوسي أو حركة طائشة للجنين. يُشخّص الطبيب الوضع بلمسٍ خبيرٍ وصورةٍ بالموجات فوق الصوتية، ويحدّد طريق الولادة الآمن.

لكن خلف هذا العلم تكمن استعارةٌ مذهشة : كأنّ الجنين يعلن منذ قبل ولادته أنّه كائنٌ حرّ، يختار طريقه، ولو كان طريقاً أعوج. بعضهم يولد كما يولد الحكماء، رأساً على الأرض، وبعضهم كما يولد الشعراء، مقلوبين على الحلم.

العملية القيصرية – شقّ الجسد لفتح المعنى

حين تتعدّر الولادة الطبيعية، وحين تصمت الطبيعة عاجزةً عن إنجاز نفسها، يتدخّل الطبّ بيده الحادة. الجراحة القيصرية ليست مجرد حلّ ميكانيكي، بل طقسٌ رمزيّ : فتحٌ للجسد الذي رفض أن يولد بل أن يقتحم الدنيا بلا دنس كما تُفتح البوّابات السماوية في الأساطير. تُخدّر الأمّ بين الخوف والرجاء، ويُشقّ الجلد، وتُرفع طبقاتٌ بعد طبقات، حتى تصل اليد إلى الكائن الغارق في دمه ومائه.



ثم، فجأة، يُنْتَزَع الطفل إلى الضوء، فيبتسم للحياة إذ لديه رسالة لينجزها فيها. وتبتسم الأم رغم الدموع، لأنها تعرف أن كلّ جرح في جسدها هو توقيعٌ من الحياة نفسها.

العلاج هنا ليس جراحةً فحسب، بل اعترافٌ بأنّ الإنسان أحياناً يحتاج إلى أدواته ليكمل ما عجزت عنه الطبيعة. القيصرية، في معناها الأعمق، هي التحالف الأخير بين التقنية والرحم.

الولادات المبكرة – حين يختصر الزمن نفسه

هناك من يولدون قبل أوانهم، كأنهم على عجلٍ من أمرهم، أو كأنّ الزمن لم يحتمل بطء تكوينهم. هؤلاء هم أطفال الولادة المبكرة، الذين جاؤوا قبل اكتمال رئاتهم وأجسادهم الصغيرة. الأسباب قد تكون **التهابات خفية**، أو **أمراضاً مزمنة**، أو **ضغطاً لا تُرى**.

حين تبدأ التقلّصات المبكرة، يهرع الطبيب **لإيقاف الزمن بالأدوية والمحاليل، لكن الزمن لا يطيع أحداً**. يولد الطفل، هشّاً كالورق، يوضع في الحاضنة كجنين في رحمٍ اصطناعي. وتصبح أنابيب الأوكسجين حبالاً سرّيةً جديدة، تربطه بالحياة من جديد.

وكلّ من رأى طفلاً كهذا وقد نجا، يعلم أنّ الضعف قد يكون أقوى أشكال الإرادة.

اضطرابات المشيمة – حين يختلّ الجسر بين

عالمين

المشيمة، تلك الأرض الوسطى بين الأم وجنينها، ليست مجرد عضوٍ عابر، بل كوكبٌ صغير يدور في مدار الحياة. فيها تختلط الدماء دون أن تمتزج، ويُصنع الغذاء كما يُصنع الشعر من النور. لكن حين يختلّ ارتكازها، تبدأ فوضى خفية لا يراها سوى الطبّ.

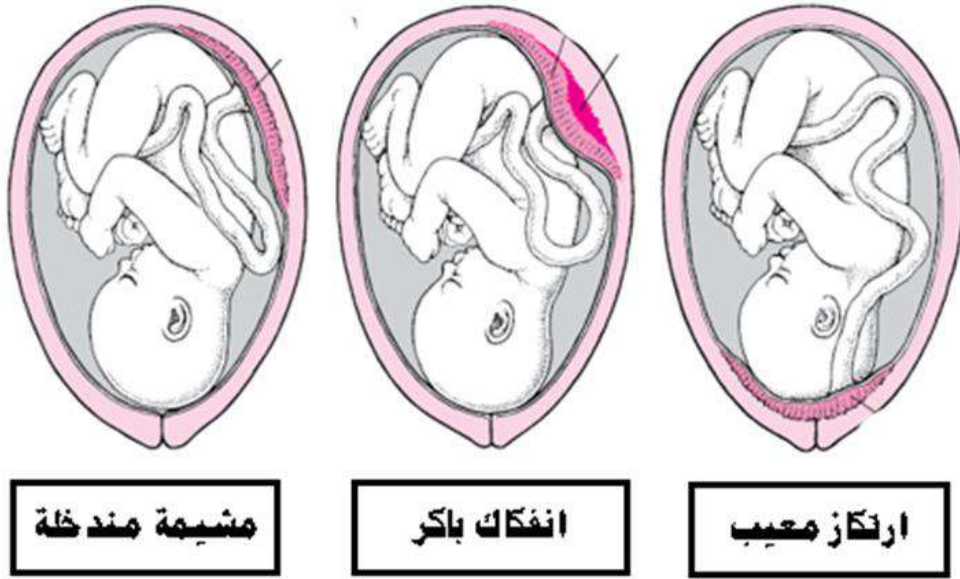
قد تلتصق المشيمة في موضع منخفضٍ قرب عنق الرحم، فيما يُسمّى **ارتكاز المشيمة المعيب**، فتغدو طريق الولادة مفروشةً بالدم والخطر، لأن **نزيفاً مفاجئاً** قد يعلن تمرّدها قبل الأوان.

وأحياناً، تتوغّل جذورها أكثر من اللازم، فتتغرس في جدار الرحم بعمقٍ غير مألوف، فيحدث ما يُعرف **بالمشيمة المندخلة**، تلك التي ترفض الانفصال بعد الولادة، كحبيبةٍ عنيدة لا تطيق الفراق. العلاج هنا مزيجٌ من الحكمة والجرأة، بين الحفاظ على حياة الأم واستئصال ما التصق بجدارها.

وفي بعض الحالات، تنفصل المشيمة فجأة عن مكانها قبل اكتمال الرحلة، في ما يُعرف **بالانفكاك الباكر**، فتختنق الأرواح في لحظةٍ واحدة. الألم يشتعل في البطن، الدم يفيض، والعالم يتجمّد بين إنقاذ الأم

ومحاولة إنعاش الجنين.

هكذا تُذكرنا المشيمة أن كلّ علاقةٍ، مهما بدت كاملة، قد تنكسر بخطأ بسيط في الارتكاز، وأنّ الجسر بين عالمين لا يضمن عبورًا آمنًا دائمًا.



الحمل المتعدد – عندما تكرر الحياة دهشتها

ليس الحمل دائمًا قصةً واحدة، فقد يقرر الرحم أن يحتضن أكثر من قلبٍ في الوقت نفسه. التوائم، الثلاثيات، وربما أكثر، معجزاتٌ صغيرةٌ تذكرنا بأن الخصب أحيانًا يفيض عن حدوده.

لكن هذا الفيض لا يخلو من خطره : **الإجهاد، فقر الدم، الولادة المبكرة، واحتباس أحد الأجنة في الظلال.** الطبيب هنا لا يعالج جسدًا واحدًا، بل توازنًا بين أرواحٍ تشترك في مكانٍ واحدٍ وزمنٍ واحدٍ.

يُراقب نموهم بالموجات الصوتية، يتتبع أنفاسهم كمن

يحصي نجومًا في سماءٍ واحدة. وحين يأتي يوم
الولادة، تكون القيصرية غالبًا هي الخلاص، لا خشيةً
من الجراح، بل اتقاءً للفوضى.
وفي تلك اللحظة، حين تخرج الأرواح تباغًا إلى النور،
يبتسم العالم كأنه شهد مضاعفة معناه.



في نهاية كلّ شيء، لا يبقى من التوليد إلا رمزه الأكبر:
أن الوجود نفسه رحمٌ لا يتوقّف عن الولادة. من ذرات
النجوم إلى دموع الأمّهات، من الانفجارات الكونية إلى
نبض الجنين، تسري حركة الخلق في كلّ ما هو حيّ.
الطبيب، حين يقف أمام جسدٍ ينزف أو جنينٍ يصرخ،
إنما يشارك في فعلٍ أزليّ يربط الطبّ بالميتافيزيقا،
والعلم بالحبّ. إن كلّ ولادةٍ هي لحظة عبورٍ من
اللاشيء إلى المعنى، وكلّ جرحٍ هو نافذةٌ مفتوحةٌ على
الضوء.

وهكذا، حين تنتهي الولادة ويغادر الطبيب الغرفة، يظلّ
في الجوّ صدى صرخةٍ أولى لا تهدأ ، صرخة الحياة
وهي تتذكّر أصلها، وتعلن في كلّ مرةٍ أنها لن تكفّ أبداً
عن الحدوث.



أمراض العجراقة

(المبيض مفتاح الأسرار)

ليست الجراحة مجرد فنٍّ في شقّ الأجساد، بل هي
الفعل الأكثر اقترابًا من جوهر الوجود. ففيها يتجاوز
الإنسان حدوده، يفتح لحم ذاته ليعيد صياغة ما أفسده
الزمن أو المرض أو القدر. الجراح لا يكتب بالمداد، بل
بالمشرط؛ لا يرسم على الورق، بل على الكائن الحيّ
نفسه. وبين يديه، يتحوّل الجسد من كيانٍ مغلقٍ إلى
كتابٍ مفتوحٍ على أسرار الخلق.



في بدايات التاريخ، كان الجراح كاهنًا أكثر منه طبيبًا.
كان يُجري القطع وهو يرتجف من سخط الآلهة، ثم
يضمّد الجرح بأعشابٍ ومناجاة. لكنّ الزمن، وهو أكثر

الكائنات تمرّدًا، قرّر أن يمنح الإنسان الجرأة. وحين وُلد التخدير، وبدأ الضوء يغمر غرف العمليات، أصبح المشرط مرآةً لذكاء الإنسان، لا لخوفه. ومنذ تلك اللحظة، صار الجراح هو الذي يقف بين الألم والأمل، بين الموت الذي يهمس من الداخل والحياة التي تتشبّث بخيطٍ من المهارة.

جراحة القلب – حين يصلح مركز الوجود

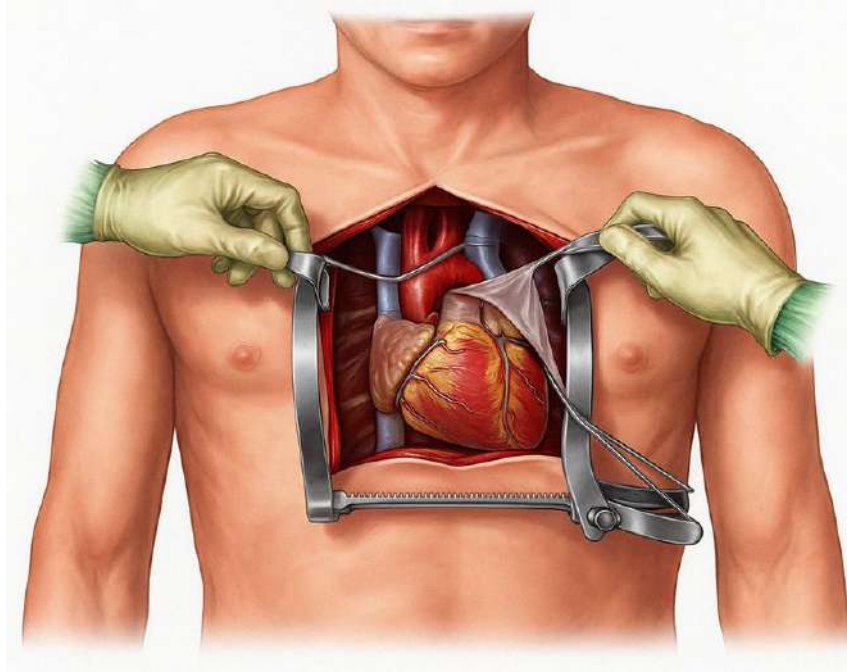
القلب، هذا العضو الصغير الذي يضخّ الزمن في العروق، لم يسلم من يد الجراح. فهناك لحظاتٌ يتعب فيها من الخفقان، تختنق شرايينه بالدهون، تضيق بالصمت، فينادي : (افتحوا شراييني لأتنفّس) . فيأتي الجراح، كمن يفتح نافذة في جدارٍ من الدم.

أمراض القلب التاجية هي الأشيع في العالم، حصيلة حياةٍ مملوءةٍ بالتدخين، والضغط، والسمنة، والقلق المزمن. تبدأ القصة بألمٍ ضاغطٍ في الصدر يمتدّ إلى الذراع، يذكرّ المريض بأن الحياة ليست مضمونة حتى في نبضها. التشخيص يأتي عبر تخطيط القلب والتصوير بالأشعة الملونة، والعلاج يبدأ بالأدوية لكنه كثيرًا ما ينتهي على طاولة الجراحة، حيث تُزرع الشرايين أو تُبدّل الصمامات.

ومن أشهر الجراحات هنا : **جراحة مجازة الشريان**

التاجي (تطعيم الشرايين المسدودة)، و استبدال الصمامات القلبية، وإصلاح العيوب الخلقية عند الأطفال، وزرع أجهزة تنظيم ضربات القلب.

في غرفة العمليات، حين يُوقَف القلب عن النبض ويُوصَل بجهازٍ خارجيٍّ يعيد له الحياة مؤقتًا، يشعر الجراح أنه أمام أعجب لحظةٍ في الطبّ كله : أن توقف مركز الحياة بإرادتك ثم تعيده كما كان. الجراحة هنا ليست تقنية، بل نوعٌ من الشعر السريري، يُكتب بالسكين ويُنهيه الخيط.



جراحة الدماغ – عندما يفتح الإنسان نافذة على

وعيه

ثمّة شيءٌ يبعث الرهبة حين تُفتح الجمجمة كما تُفتح صفحةٌ من كتابٍ مقدّس. الدماغ، هذا النسيج الرمادي

الذي تختبئ فيه الذكريات والأحلام واللغة، يصبح تحت
عين الجراح، مكشوفًا كما لم يكن يومًا. لا مجال للخطأ
هنا؛ فكلّ مليمترٍ قد يعني ذاكرةً ضاعت، أو كلمةً
سقطت من الوعي.

وتُعَدّ من أشهر عملياته الجراحية : استئصال أورام
الدماغ، وإصلاح تمدّد الأوعية الدموية، وجراحة
الصرع المقاوم للأدوية، وإزالة النزيف الدماغي و
جراحة الديسك ، و جراحة الشنت البطني ، و جراحة
الأعصاب الطرفية .

والجراحة العصبية، مهما بلغت دقّتها، تظلّ فعلاً فلسفيًا:
كأنك تُدخل أداةً معدنيةً إلى موضع الفكر نفسه. وحين
ينجو المريض، وحين تفتح عينيه بعد الغيبوبة، يدرك
الطبيب أنّه لم يعالج نسيجًا، بل أعاد ترتيب حدود
الوعي ذاته.



الجراحة العامة – أم الجراحات

تحت الجلد، حيث تتشابك الأمعاء والكبد والمعدة والبنكرياس، يعيش عالم لا يُرى إلا بالسكين. هناك، تدور المعارك ضدّ الزائدة الدودية الملتهبة، والمرارة المثقلة بالأحجار، والأورام التي تفتت على اللحم الحيّ. كلّ عضوٍ من هذه الأعضاء يحكي حكايةً مختلفة عن التوازن والاختلال.

ومن أشهر الجراحات العامة : استئصال الزائدة الدودية، واستئصال المرارة، وإصلاح الفتوق بأنواعها، واستئصال القولون الجزئي أو الكلي، واستئصال أورام الكبد أو المعدة ، و جراحة البواسير ، و جراحة الدرق.



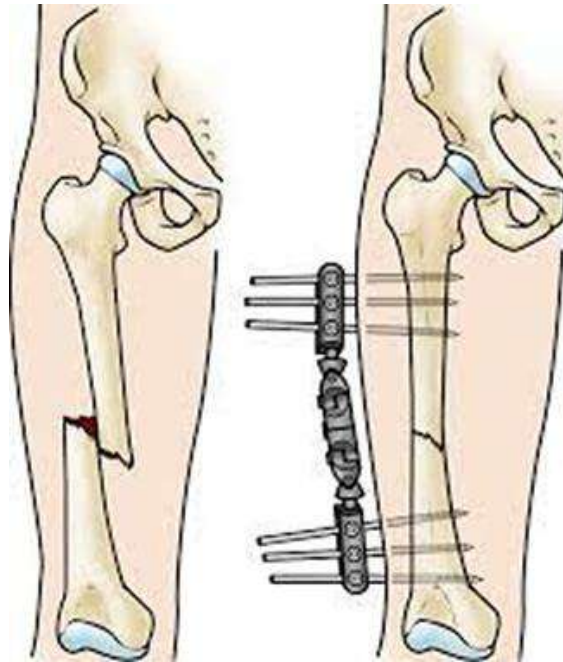
هذه العمليات، وإن بدت روتينية، تحمل رمزاً أعمق: أن

الجسد لا يشفى إلا حين يواجه ما اختبأ في أعماقه، وأن
الألم في الداخل لا يُعالج إلا بالفتح، لا بالإنكار.

جراحة العظام – إعادة هندسة الحركة

العظام هي أعمدة الكيان. حين تنكسر، لا ينهار الجسد
فقط، بل يختلّ توازنه الرمزي. الجراح هنا مهندس
الزمن، يُعيد ترتيب الشظايا، يربطها بمسامير ومسامير،
كمن يعيد كتابة نوتة موسيقية بيدٍ من حديد.

تشمل جراحات العظام الشهيرة : **تثبيت الكسور**
بالصفائح والمسامير، واستبدال مفصل الورك أو
الركبة، وإصلاح تمزقات الأربطة والغضاريف،
وتصحيح التشوهات الخلقية.



كلّ عمليةٍ من هذه الجراحات ليست مجرد ترميم
للعظام، بل هي استعادة لقدرة الإنسان على النهوض.

فالحركة، في جوهرها، ليست خاصيةً جسديةً فحسب،
بل إعلانٌ دائمٌ عن الإرادة.

جراحة الأورام – الحرب الصامتة مع العدم

لا شيء يثير الرعب والدهشة مثل الورم. كتلةٌ صغيرة،
خليةٌ واحدة قرّرت أن تنسى النظام. ومن هنا يبدأ
التمرد. الجراح يقترب من الورم كما يقترب شاعرٌ من
بيتٍ ناقصٍ في قصيدةٍ مقدّسة، يعلم أنّ عليه أن يزيله
بدقّةٍ دون أن يدمّر ما حوله.

ومن أشهر الجراحات في هذا المجال : استئصال أورام
الثدي، واستئصال القولون أو المعدة السرطاني، و
استئصال أورام الكبد والرئة، والعمليات الترميمية بعد
إزالة الأورام.



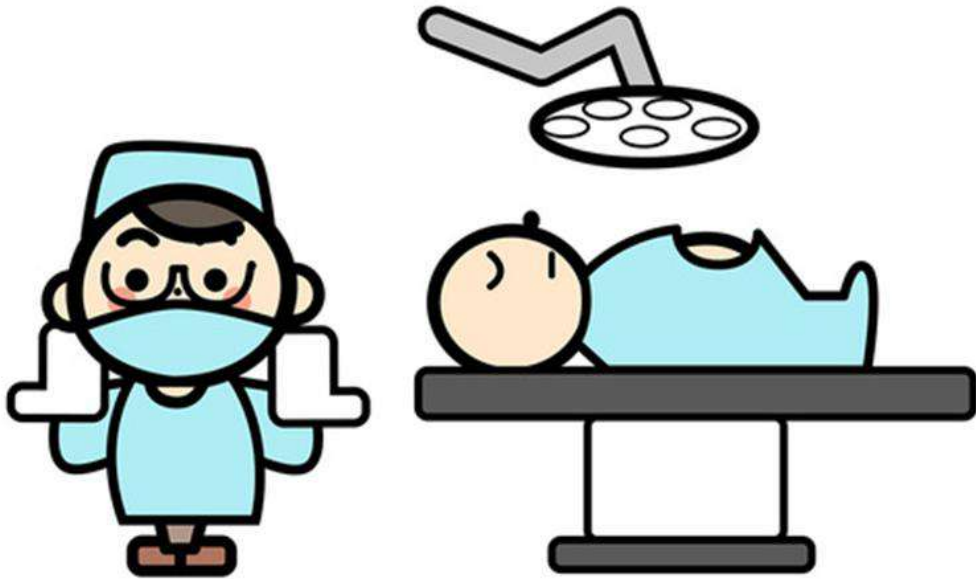
غير أنّ الجراحة هنا ليست حرباً فقط، بل فعلٌ تطهيرٍ

رمزي، كأن الجسد يخلع عن نفسه جزءًا فاسدًا
ليواصل البقاء.

جراحة الأطفال – الطفولة حين تولد مرتين

حين يجري الجراح سكينه على جسد طفلٍ صغير،
يشعر أنه لا يتعامل مع لحمٍ فقط، بل مع وعدٍ بالحياة.
هناك عيوبٌ خلقية : تشوّه القلب، انسداد الأمعاء، فتق
الحجاب الحاجز. يولد الطفل ناقصًا في شيءٍ ما،
ويُطلب من الطبيب أن يتمم ما عجزت عنه الطبيعة.

ومن أكثر الجراحات شيوعًا : إصلاح فتق الحجاب
الحاجز الخلقي، واستئصال التشوّهات المعوية،
وتصحيح تشوّهات المسالك البولية، وعمليات القلب
الخلقية عند الرضع.



تُجرى العمليات الدقيقة، وتُعاد الأعضاء إلى مواضعها،

كمن يعيد كتابة صفحةٍ لم تُكتمل. وفي كلّ ولادةٍ ثانيةٍ
كهذه، يثبت الطبُّ أنه ليس ضدَّ الطبيعة، بل امتدادٌ
لرحمتها.

جراحة الطوارئ – سباق الإنسان مع الزمن

في غرف الطوارئ، يتلاشى الفرق بين العلم والغريزة.
الجراح هناك لا يفكر، بل يتحرك. نزيف داخلي، طعنةٌ
نافذة، حادث سير، انفجار. الدم يصرخ بلغةٍ لا تحتاج
إلى ترجمة.

القرارات تُتخذ في ثوانٍ: فتح البطن، إيقاف النزف،
إنعاش القلب. ومن أشهر عملياتها : **استكشاف البطن
للنزيف الداخلي، وإصلاح الأوعية الممزقة، وبتر
الأطراف المصابة، وإصلاح إصابات الصدر والدماغ
الطارئة.**



لا وقت للتأمل، لكن كلّ لحظةٍ فيها تختزن فلسفة كاملة:
أن الحياة لا تُقاس بطولها، بل بكمّ المرّات التي أنقذناها
فيها من السقوط.

الندبة – ذاكرة الجسد المفتوحة

بعد أن تُخاط الجروح وتُضمّد الأعضاء، تبقى الندبة.
صغيرةً أو كبيرة، لا فرق. إنّها الشاهد الأخير على
المعركة. في ظاهرها أثرٌ ماديّ، لكن في عمقها شهادة
على البقاء. كلّ ندبةٍ هي توقيع الجراح، وهي أيضًا
توقيع الزمن على الجسد.

بعض الندوب تُشفى مع الأيام، وبعضها يبقى، كأنّها
تصرّ على أن تُذكرنا بأنّ الشفاء لا يعني النسيان.

في النهاية، لا يمكن النظر إلى الجراحة بوصفها مجرد
حرفة. إنّها تأملٌ في معنى الفناء والإصلاح. حين يفتح
الجراح الجسد، فإنّه لا يدمّره، بل يبحث فيه عن الطريق
إلى الحياة. الجسد بعد الجراحة لا يعود كما كان، لكنه
يخرج من التجربة أكثر وعيًا بضعفه، وأكثر استعدادًا
لمواصلة الوجود.

الجراحة ليست انتصار الإنسان على الطبيعة، بل تحالفه
معه. فهي تذكره بأنه، رغم كلّ علمه، لا يزال كائنًا
هشًا يحيا بالمشروط كما يحيا بالصلاة.

وحين يُغلق الجراح آخر غرزة، وينزع قفازاته، ويغادر
الغرفة، يبقى خلفه جسدٌ نائمٌ يتهيأ للنهار ، وجسدٌ آخر
في داخله، الجسد الرمزي للإنسان الذي لم يكفَّ يوماً
عن محاولة ترميم نفسه.



أمراض نفسية

(صرخة روح)

في البدء لم يكن الجسد هو الذي يمرض، بل الوعي.
منذ أن أدرك الإنسان أنه يفكر، أصبح مهياً لأن يتألم.
كانت أول صرخة في التاريخ صرخة خوفٍ من
الداخل، لا من الخارج. ومنذ ذلك الحين، لم يكن
المرض النفسي ضعفاً، بل انعكاساً لمفارقة وجودية
عميقة: أن الوعي ذاته - الذي يرفعنا عن الحيوان - هو
الذي يجرّنا إلى الهاوية.

النفس ليست عضواً في الجسد، بل كيانٌ يعيش بين
الضوء والظلال، بين المنطق والحلم، بين الماضي الذي
لا يُنسى والمستقبل الذي لا يُمسك. وحين تختل تلك
المسافة، حين يضيع التوازن بين الداخل والخارج،
تولد الأمراض النفسية، لا كعدوٍ من الخارج، بل
كرسالةٍ من أعماقٍ تننّ تحت ثقل الفكر.



الاكتئاب - السقوط البطيء في الفراغ

الاكتئاب ليس حزنًا، كما يظنّ العابرون، بل هو انطفاء الضوء الداخلي. هو أن يستيقظ الإنسان فيجد أن العالم نفسه فقد لونه. لا رغبة في الأكل، ولا شغف في الحياة، ولا معنى للنهار.

في الطب، يُعرّف الاكتئاب بأنه اضطراب في المزاج يتميز بفقدان المتعة والطاقة والاهتمام، يمتدّ لأسابيع أو شهور. أسبابه متشابكة : اضطراب في كيمياء الدماغ، عوامل وراثية، صدمات الطفولة، خسارات غير معلنة، وضغوطًا لا تُحتمل.

أما أعراضه فهي ذلك الخواء الذي يلتهم كل شيء، الأرق أو النوم المفرط، فقدان الشهية أو نهمها، شعور بالذنب واللاجدوى.



التشخيص يعتمد على الحوار، على الإصغاء لما لا

يُقال. أما العلاج، فهو مزيج من **الدواء** كمضادات الاكتئاب التي ترفع السيروتونين و**العلاج النفسي** الذي يعيد ترتيب أفكار المريض كما يُعاد ترتيب بيتٍ بعد إعصار.

والعجيب أن كثيرين من العظماء عبر التاريخ عانوا الاكتئاب كحال رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل الذي أطلق عليه اسم الكلب الأسود لما بث في عقله من أفكار سوداوية سلبية ، وكأنّ العبقرية لا تُولد إلا في ظلّ الظلمة.

القلق - حين يتآكل الإنسان من الداخل قبل أن

يحدث شيء

القلق هو شكلٌ آخر من العبادة، عبادة الخوف. يعيش صاحبه في حالة استنفارٍ دائم، كأنّ الخطر يسكن في كلّ صوتٍ، في كلّ فكرةٍ، في كلّ احتمال.

طبيّاً، القلق اضطرابٌ يفيض فيه الجهاز العصبي بالأدرينالين، حتى يغدو الإنسان محاصراً بين أفكاره وخفقان قلبه. أسبابه خليط من **الوراثة والتربية والبيئة**، وتجاربه السابقة التي حفرت في الذاكرة خطوطاً لا تمّحي.

تظهر الأعراض في الجسد كما في الروح : ضيق النفس، رعشة اليدين، تسارع القلب، إحساسٌ دائم بأنّ

شيئاً رهيباً وشيك. يُشخّص القلق بالحديث، لا بالتحليل،
ويُعالج بالمهدئات والعلاج السلوكي الذي يعلم المريض
كيف يتحدث مع خوفه بدل أن يهرب منه.

القلق، في جوهره، ليس مرضاً بقدر ما هو وعي زائد
بالحياة. ومن يعيش أكثر من اللازم في المستقبل، يعاقب
بعدم القدرة على العيش في الحاضر.



الفصام - انشقاق الوعي على ذاته

الفصام ليس جنوناً كما توهم الناس، بل هو تصدّع في
طريقة رؤية الواقع. المريض لا يفقد عقله، بل يعيش
في عقول متوازية. يسمع ما لا يسمعه الآخرون، يرى
ما لا يرى.

في الطب، يُعرّف الفصام بأنه اضطراب ذهاني يفصل
المريض عن الواقع بفعل خلل في الدوبامين

والمستقبلات العصبية. أسبابه مزيجٌ من الوراثة،
والبيئة، والتجارب القاسية في الطفولة.

أعراضه تشمل الهلاوس السمعية والبصرية، والأوهام،
واضطراب التفكير والكلام، وفقدان العاطفة. يُشخّص
بـ **الفحص السريري والملاحظة الطويلة**، ويُعالج
بـ **مضادات الذهان والعلاج النفسي المساند**.

لكنّ الفصام أيضًا تجربةٌ فلسفية : كأنّ الإنسان يجرب
أن يعيش في أكثر من عالمٍ في الوقت نفسه. أحدهم في
الواقع، والآخر في الداخل. وكأنّ الذات، وقد أثقلت
بالمعنى، انفجرت لتولد ذاتين متناحرتين في الجسد
نفسه.



الاضطراب ثنائي القطب - رقصة بين النور

والظلام

هو المرض الذي يتقلب فيه المزاج بين القمة والقاع،

بين جنون النشاط وجمود الحزن. في لحظة، يشعر المريض أنه قادر على كل شيء، وفي اللحظة التالية ينهار تحت ثقل الفراغ.

السبب في جوهره خللٌ في تنظيم النواقل العصبية بين السيروتونين والدوبامين. وراثية جزئية، وتجارب مؤلمة، ونظام نومٍ مختل.

في نوبات الهوس، يتحدث المريض بسرعة، يخطط بلا حدود، ينام قليلاً ويحب كثيراً. ثم تأتي النوبة المعاكسة، فيغرق في اكتئاب عميق يلغيه.



العلاج يعتمد على الليثيوم كمثبتٍ للمزاج و أدوي أخرى تخفّض الدوبامين في الهوس و تحسن المزاج في الاكتئاب، مع العلاج النفسي الذي يعيد المريض إلى توازنه بين القطبين.

إنه المرض الذي يجعل صاحبه يعيش تناقض الوجود كله : أن تكون سعيدًا حدّ الجنون، ثم حزينًا حدّ الصمت.

الوسواس القهري - سجناء الأفكار المتكررة

في الوسواس القهري، لا يهاجم العدو من الخارج، بل من الداخل. أفكارٌ تتسلل إلى الوعي، تفرض نفسها عليه، ثم تتبعه طقوسٌ قهرية : غسل اليدين بلا نهاية، عدّ الأشياء، إعادة إغلاق الباب.



الأسباب عصبية - خلل في دوائر التحكم الدماغية -
لكن جذورها تمتدّ إلى الخوف من الخطأ، وإلى البحث
المحموم عن الكمال.

التشخيص يعتمد على **ملاحظة التكرار وشدة القلق الناتج عنه**. والعلاج يشمل الأدوية التي تضبط السيروتونين، والعلاج السلوكي الذي يعيد للمريض حرية أن يخطئ.

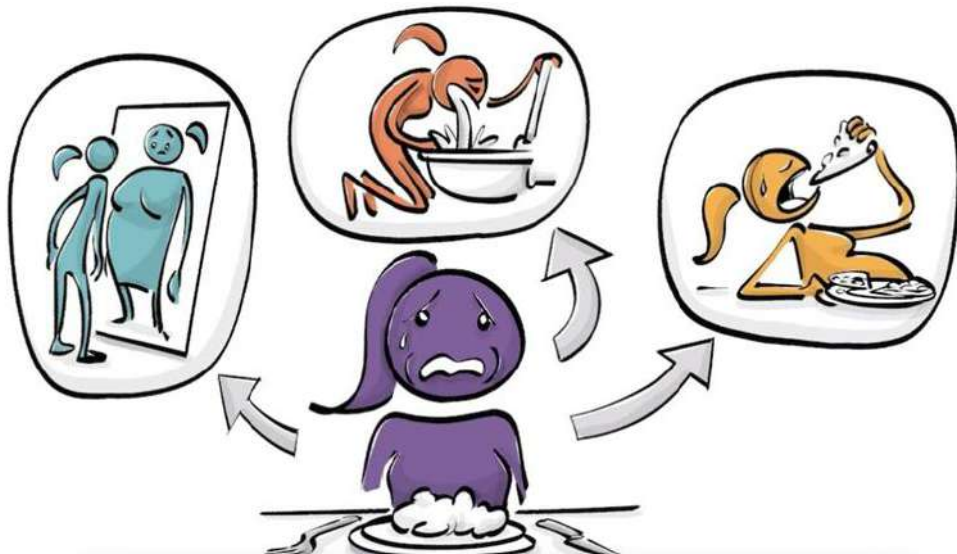
الوسواس القهري هو مأساة الوعي المفرط، فكلما حاول الإنسان أن يكون كاملاً، ازداد عبوديته لفكر لا يرحم.

اضطرابات الأكل - الجوع بوصفه احتجاجاً على

العالم

حين يرفض الجسد الطعام، أو حين يلتهمه بجنون، فالمشكلة ليست في المعدة، بل في المعنى.

في **فقدان الشهية العصبي**، ترى الفتاة نفسها سميكة رغم عظامها البارزة. في **الشراهة العصبي**، يأكل الإنسان بشراهة ثم يندم حدّ القياء.



تلك الأمراض ليست غريبة، بل شائعة بين المجتمعات

التي ربطت الجمال بالهزال، والقيمة بالشكل. الأسباب
نفسية، بيئية، وجينية. الأعراض تتراوح بين فقدان
الوزن، واضطراب الدورة، والعزلة الاجتماعية.

العلاج يحتاج إلى فريقٍ من الطب النفسي والتغذية،
وإلى إعادة تعريف الذات بعيدًا عن الجسد.
فاضطرابات الأكل ليست عن الطعام، بل عن الحبّ
الذي لم يُمنح.

اضطراب ما بعد الصدمة - حين لا تنتهي

الحرب داخل الجسد

الناجون من الحروب والحوادث والاغتصاب لا ينجون
حقًا. يعيشون المشهد مرارًا في الأحلام والكوابيس
واليقظة.



في الطب، هو اضطرابٌ يُصيب من شهد حدثًا يفوق

قدرته على الاحتمال. **السبب ليس الحدث ذاته، بل العجز عن إغلاقه.**

الأعراض : كوابيس، تجنب، يقظة مفرطة، وانفصال
عن الواقع. يُشخص **بالحوار النفسي**، ويُعالج **بالعلاج السلوكي والعلاج بالتعرض**، وأحياناً بالأدوية التي تُسكن الذاكرة لا الألم.

إنه المرض الذي يثبت أن الماضي لا يموت، بل يتحول إلى مخلوقٍ يعيش في الداخل.

الإدمان - عندما يهرب الإنسان من نفسه إلى

نفسه

الإدمان ليس حباً للمادة، بل كراهية للفراغ. سواء كان كحولاً أو مخدرًا أو شاشة، الفكرة واحدة : البحث عن خلاصٍ سريعٍ من الألم.

في الطب، هو **اضطرابٌ دماغيٌّ مزمنٌ يتميز بفقدان السيطرة رغم الأذى**. أسبابه **نفسية وبيولوجية واجتماعية**. الأعراض معروفة : التوق، التحمل، الانسحاب، الانهيار.

العلاج يبدأ بالاعتراف، يمرّ بإزالة السموم، ثم بالعلاج **النفسي الجماعي الذي يرمم الذات من الداخل.**

الإدمان ليس نهاية الأخلاق، بل بداية الخوف من

الوعي.



اضطرابات النوم - حين تتمرد العتمة على

النظام

الليل في عيون الأصحاء راحة، وفي عيون المرهقين
جحيماً بطيء. الأرق، الكوابيس، النوم القهري، السير
أثناء النوم ، كلها رسائل من اللاوعي.



الأسباب قد تكون **ضغوطًا، أو قلقًا، أو اضطرابًا بيولوجيًا**. الأعراض تتراوح بين الإرهاق والهلوسة وتشتت التركيز.

التشخيص يتم عبر **دراسة النوم**، والعلاج بمزيج من **تعديل السلوك والأدوية المهدئة**.

النوم مرآة العقل، فإذا اضطربت، اضطرب الحلم.

في النهاية، لا تُشفى النفس كما يُشفى الجسد. **إنها لا تلتئم بالضماد، بل بالفهم**. المرض النفسي ليس ضعفًا، بل شكلٌ من أشكال الوعي الزائد. فحين يرى الإنسان أكثر مما يحتمل، يفقد القدرة عن التعبير فيختلّ توازنه.



ربما الجنون هو الحقيقة حين تسقط الأقنعة، والمرض هو اللغة التي تتحدث بها الروح حين يعجز اللسان.

إنّ العقل البشري، في لحظات اضطرابه، لا يفقد
إنسانيته، بل يكشفها. وربما في كلّ منا، في أعماق لا
نصلها، ظلّ صغير من الجنون، يحرس توازننا الهشّ
بين العقل والحلم، بين الواقع والهاوية.
فالنفس، مهما تعافت، تظلّ كائنًا يسير على حافة الضوء
، يرى، ويخاف، ويحبّ، ويهذي، لكنه لا يتوقف عن
البحث عن نفسه بين أنقاض ذاته.



(مخالفات طبية)

السلطان

(طيوييراز)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= منشور على موقع التواصل الاجتماعي يتناول قصة
أغرب من الخيال ..

= أنت تعرف كيف تستفز حماستي .. هات ما عندك ..

= استمع .. يتناول المنشور قصة السيدة **غلوريا**
راميريز، التي عُرفت لاحقًا في الصحافة الأمريكية باسم
المرأة السامة ..

= و لماذا ؟

= كانت غلوريا سيسيليا راميريز، امرأة أمريكية في
عمر الثانية والثلاثين، مصابة **بسرطان عنق الرحم** في
مراحله المتقدمة. في يوم من أيام عام **1994** نُقلت
إلى قسم الطوارئ في مستشفى بمدينة ريفرسايد في
ولاية كاليفورنيا.

= و بعد ؟

= خلال محاولات الأطباء والمرضين علاجها، حدث
شيء غير مألوف، فبعض أفراد الطاقم الطبي شعروا
بصداع شديد ، ضيق تنفس، وتشنجات عضلية بمجرد
اقتربهم من جسدها أو من عينات دمها. حتى أن عدداً
منهم أُغمي عليه في غرفة الطوارئ نفسها ..

= غريب بالفعل !! و ما تفسير ذلك ؟

= التحقيقات لاحقاً أشارت إلى أن غلوريا راميريز

كانت تستخدم مادة تُسمى ثنائي ميثيل سلفوكسيد
(DMSO) كمسكن لآلام السرطان .. وعندما تلقت
الأوكسجين في المستشفى، تحولت تلك المادة كيميائيًا
داخل جسدها إلى مركب خطير هو **ثنائي ميثيل سلفات**،
الذي يمكنه أن يطلق أبخرة سامة. هذه الأبخرة هي التي
سببت الأعراض الغامضة للعاملين بالمستشفى و
سقوطهم تباعاً مغماً عليهم.



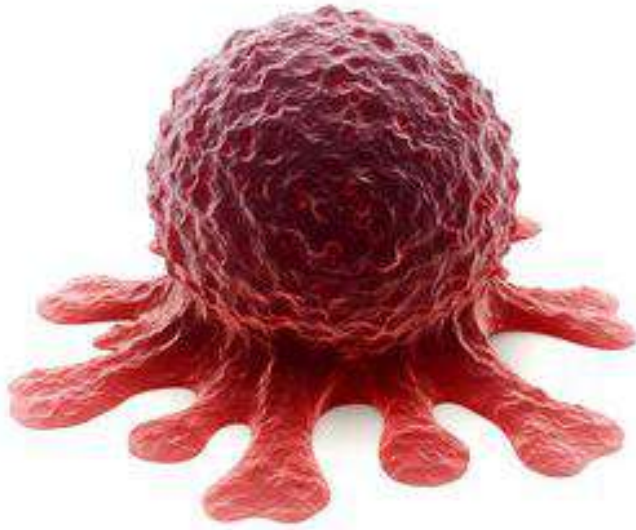
= إنها مرأة سامة بالفعل .. و هل شفيت من السرطان
لاحقاً ؟

= للأسف لا ، في النهاية، توفيت غلوريا راميريز
بسبب مضاعفات السرطان كعادة أغلب المرضى، لكن
قصتها بقيت لغزاً طبياً وعلمياً غريباً، وجعلت جسدها
رمزاً أشبه بحصان طروادة ، دخل إلى المستشفى بشكل

بريء ، لكنه كان يحمل في داخله سرًا خفيًا ألحق الأذى
بالآخرين ..

= ليرحمها الله .. ألن يحين وقت ننتهي فيه من هذا
المرض اللعين ؟

= محق .. لقد تم اكتشاف علاجات جذرية لأغلب
الأمراض ، لكن السرطان بقي عصياً على العلاج ..
لكنني بحسب خبرتي كطبيب ، فقد قرأت مقالاً واعداداً و
مفائلاً بأنّ العلاج الجذري له قد يصبح ممكناً على
المدى المنظور عبر التلاعب الأنزيمي في الخلايا
السرطانية ..



= و كيف ذلك ؟

= تعال لاقص عليك قصة السرطان الغريبة و خلالها
أشرح لك أكثر طبيعة هذا العلاج الواعد ..

السرطان كائن غامض يولد من أعماقنا، لا يأتي من الخارج بل ينهض كظلّ خائن يسكن الجسد .. هو الفلسفة المظلمة للحياة حين تنقلب طاقتها الخلاقة إلى بذرة خراب .. يعلمنا أن الشر ليس دائماً غريباً عنا، بل قد يتجسد فينا كصوتٍ يرفض الانصياع .. إنه اختبارٌ للروح : هل تذوي تحت وطأة الفناء أم تكتشف في الألم معنى أعمق للوجود ؟

إنه ببساطة رمزٌ للثنائية الأبدية : حياة و موتٌ يتنازعان في قلب الإنسان حتى ينتصر أحدهما على الآخر .. و للأسف حتى يومنا هذا فإن الغلبة في أغلب الأحيان تكون لذاك الموت الخبيث المكروه ، و لهذا السبب ، لانتشار السرطان الواسع و تأثيره المهلك ، يستحق أن يأخذ مكاناً له في هذا الكتاب ، فانتصار الشر في هذه الحياة مغالطة كبرى لا بد من تصويبها ، و هذا ما سنحاول القيام به خلال الصفحات التالية عبر مقارنة موضوع السرطان من عدة نقاط هامة و شيقة :

- ① نشأة السرطان عبر التاريخ ..
 - ② كيف يحدث السرطان ؟ ..
 - ③ ما هي العوامل التي يمكنها إحداثه ؟ ..
 - ④ كيف يمكن قهره ؟ ..
 - ⑤ السرطان من وجهة نظر فلسفية ..
 - ⑥ حقائق غريبة عن مرض السرطان ..
- فهيا بنا عزيزي القارِع نقارع سوياً هذا العدو الغاشم ..

أولاً ، نشأة السرطان عبر التاريخ :

منذ الأزل، كان السرطان موجودًا كظل خفي في حياة الإنسان، يترصد خلاياه بصمت، يختبئ بين أنسجة الجسد، كما يختبئ الليل خلف ستار النهار. لم يكن معروفًا باسمه، لكنه كان حاضرًا في قصص الألم والغموض، في البرديات القديمة و النقوش المسمارية التي تتحدث عن أمراض مجهولة، عن كتل غير مفهومة، وعن المعاناة الصامتة التي أصابت الأجساد. إنه مرض لم يولد مع العلم و الحداثة، بل كان موجودًا منذ أن وُلد الإنسان، ومع ذلك، بقي لغزًا حتى جاءت لحظة إدراك البشر له، كفجر يشرق على عالم غامض يا ليتته ما كان



أول إشارة إلى السرطان تعود إلى الحضارة الفرعونية القديمة، قبل أكثر من أربعة آلاف سنة. في بردياتهم الطبية، كبردية إدوين سميث ، وُصفت أورام الثدي

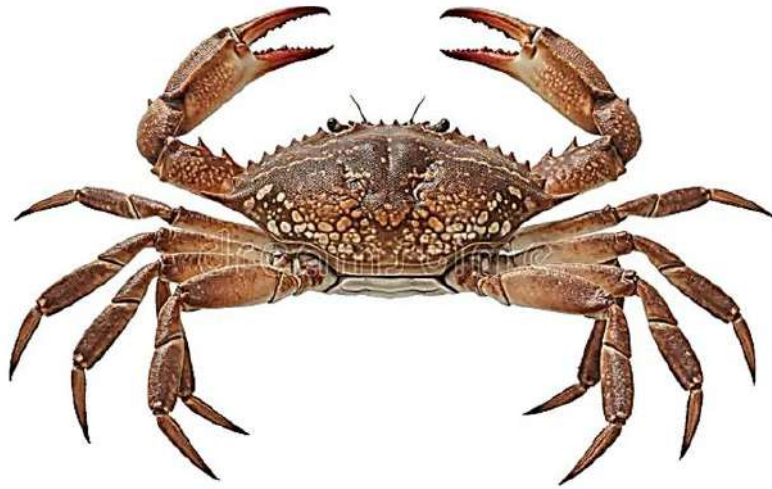
وبعض الأورام الأخرى بوضوح ملحوظ، واعتُبر
العلاج غالبًا مستحيلًا، و الموت قدر محتّم على
المصاب به ..



كانت هذه البرديات تحمل وصفًا علميًا غريبًا عن الحياة
والموت : أورام صلبة في الجسد، تشبه العقبات
الصامتة التي تقف في طريق نهر العافية، تمنع تدفق
الطاقة والحيوية. ورغم بساطة أدواتهم الطبية، فإن
المصريين القدماء أدركوا أن هناك شيئًا خفيًا ينهك
الجسد، وأن هذه القوة ليست طبيعية بالكامل، بل هي
تمرد داخلي على النظام الدقيق للحياة.

بعدهم، وفي الحضارة اليونانية، حاول الأطباء الأوائل
مثل جالينوس أن يفهم هذا الظل الغامض. أطلقوا على
هذا المرض اسم كاركينوما ، مشتق من الكلمة اليونانية
كاركينوس ، أي السلطعون، نظرًا لشكل الأورام التي

تشبه أطراف السلطعون المتفرعة حول مركزها. هذه التسمية نفسها تحمل فلسفة رمزية : تمامًا كما يمتد السلطعون بأذرعه إلى كل الاتجاهات، يمتد السرطان في الجسد، يلتهم الحيوية، ويخلق شبكة من التمرد الخفي .. و من هنا أتت التسمية الغربية المعروفة للمرض بالسرطان إن سبق لك و تساءلت ..



كان الأطباء اليونانيون يرون السرطان عقوبة طبيعية أحيانًا، أو نتيجة لسلوك الجسد المتمرد، ولم يكن هناك فهم كامل للآليات الداخلية، لكن كان هناك إدراك أولي بأن هذا الظل، رغم صمته، يحمل قوة مدمرة.

في **العصور الوسطى**، استمر السرطان كغموض، لكنه بدأ يُوثَّق بشكل أكثر انتظامًا. الأطباء العرب والمسلمون، مثل ابن سينا، وصفوا بعض الأورام وأكدوا أن بعض الأجسام البشرية يمكن أن تتحول بفعل أمراض داخلية، وأن العلاج يعتمد على الرعاية والصبر ومراقبة الأعراض. هنا، بدأت الإنسانية تدرك

أن السرطان ليس مجرد عقوبة، بل ظاهرة داخلية تتعلق
بنسيج الحياة نفسه، وأن فهمه يحتاج إلى مزيج من
الملاحظة والصبر والمعرفة المتراكمة.

أما أول حالة سريرية موثقة بشكل أكثر وضوحًا في
التاريخ الغربي، فكانت في القرن **15** تقريبًا، حين
بدأت سجلات التشريح والفحص الطبي تظهر الأورام
بأدوات أكثر دقة. الطبيب السويسري **كونراد فون**
هوهن هايم المعروف باسم **بارا سيلسوس**، وهو واحد
من رواد الطب الحديث، وصف حالات أورام صلبة،
وأكد أنها تمتد داخليًا وتستحيل السيطرة عليها بسهولة،
لكنه بدأ يشير إلى أن تدخل الإنسان، سواء جراحياً أو
دوائياً، يمكن أن يغيّر مسار المرض.



و في القرن 19، ومع اكتشاف الميكروسكوب وتطور علوم التشريح والخلايا، بدأ السرطان يكشف عن سره تدريجيًا. كانت لحظة عبقرية حين لاحظ العلماء أن السرطان ليس مجرد كتلة جامدة، بل مجموعة من الخلايا التي تتكاثر بلا حدود، تتجاوز القوانين الطبيعية، وكأنها جيش صغير من المتمردين في مملكة دقيقة، يختبر الصبر والمقاومة، يهدد النظام ويعلم الإنسان عن هشاشة الجسد وعجائب الحياة. هذه الاكتشافات جعلت السرطان موضوعًا للفلسفة العلمية والطب، وأدخلت البشرية في صراع طويل مع هذا الظل الذي يختبئ في العمق.

ومنذ القرن العشرين، ومع تقدم العلم الحديث، أصبح السرطان قابلاً للتشخيص بدقة أكبر، وبدأت رحلات العلاج تتنوع بين الجراحة والكيمياء والإشعاع، وصولاً إلى العلاجات المستهدفة والجينية، وكلها خطوات لفهم هذا العدو الذي كان حاضراً منذ فجر التاريخ، يعلم الإنسان الصبر، ويذكره بضعف الجسد، وبقدرة الروح على المقاومة، وبأن الحياة، مهما كانت مهددة، تحتوي على بذور الأمل والمعجزات ..

السرطان إذن ليس مجرد مرض؛ إنه شاهد على التاريخ البشري، مرآة تعكس تطور الطب والفكر، وحكاية عن قوة الإنسان في مواجهة الخطر الخفي، قصة عن كيف

يمكن للمعرفة أن تتكشف ببطء عبر العصور، وعن كيف يمكن للصبر أن يكون سلاحًا أمام المجهول. من برديات مصر القديمة إلى مختبرات القرن الحادي والعشرين، ظل السرطان حاضرًا كظل تاريخي وفلسفي، يعلم الإنسان أن الحياة ليست مجرد بقاء جسدي، بل رحلة فهم، صبر، أمل، وإيمان بأن كل معركة، مهما كانت قاتمة، تحمل في طياتها نورًا خفيًا يعلن أن الحياة تستمر، الأمل يأتي و المحنة تزول .

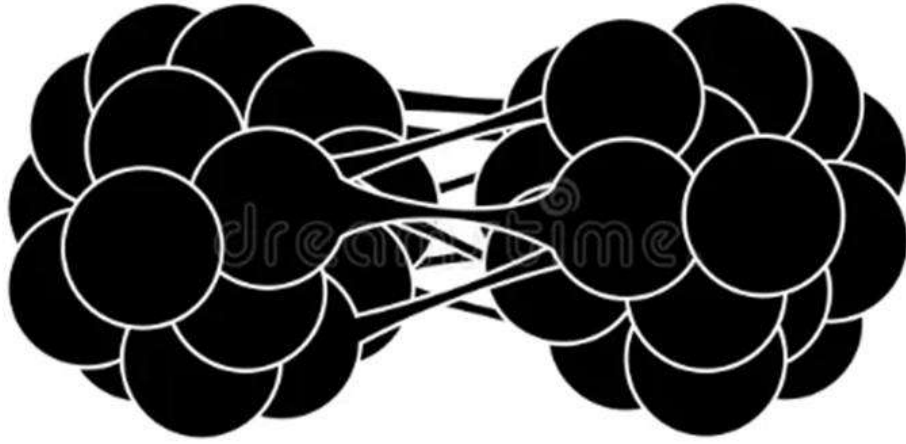
ثانيًا ، كيف يحدث السرطان ؟

في جوف الجسد، حيث تترابط الخلايا كنجوم في مجرات صغيرة، ويخفق القلب بإيقاع صارم كمعزوفة خفية، يبدأ السرطان رحلته بهدوء، كظل يتسلل عبر الزوايا المظلمة لنظام معقد دقيق. إنه ليس وحشًا مرئيًا، بل هو خلل في نسق الحياة نفسها، تمرد داخلي على قوانين الطبيعة التي ظلت تحكم الجسد منذ ولادته.

كل خلية في جسم الإنسان تحمل خريطة دقيقة، ككتاب مفتوح يحتوي على تعليمات دقيقة لبناء الحياة والحفاظ عليها. هذه التعليمات مكتوبة بلغة جزيئية عتيقة، بروتينات و **DNA**، تضمن أن كل خلية تؤدي وظيفتها دون أن تخرج عن النص. لكن أحيانًا، وفي لحظة غير متوقعة، تتعرض هذه الشيفرة لضغطٍ خارجي أو داخلي يتلاعب بها : **إشعاع خفي، سموم متسللة، أو مجرد**

خطأ عابر في النسخ الخلوي. هنا تتسرب أولى شرارات الفوضى.

الخلية المتمردة، التي فقدت إحساسها بالحدود، تبدأ في تجاوز الإشارات التي تنظم دورة الحياة والموت. فبينما يفترض أن تموت الخلايا التالفة في صمت، تستمر هذه الخلية في التكاثر بلا توقف، كما لو أن الزمن قد نسيها، وكأنها تعلن تحديًا صامتًا للحياة نفسها و فلسفة الموت المحتم فيها. تدريجيًا، يشكل هذا التمرد تجمعًا، نسيجًا غريبًا في الجسد، غريب في جوهره لكنه مألوف في شكله، لأنه لا يزال يعتمد على أنسجة الجسم كوقود لبقائه.



وفي اللحظة التي يبدأ فيها السرطان في الانتشار، يصبح الجسد مسرحًا لصراع خفي، صراع لا تُسمع صرخاته إلا في همسات الألم وارتجاف الخلايا السليمة. الخلايا السرطانية، في شراستها الصامتة، تكشف عن قوة الحياة وقابليتها للتحول و التكاثر بلا توقف ، لكنها

أيضاً تذكرنا بأن النظام هش نعم ، لكنّ الانسجام الدقيق بين الخلايا هو ما يجعل الحياة ممكنة.

ومع كل خلية تمردت، مع كل نسق تشوه ، يبدأ الجسد رحلة المقاومة و محاولة إعادة التوازن، كما لو أن الطبيعة نفسها تتدخل لتستعيد النظام. إنها معركة أزلية، بين القوة المتمردة والنظام الحارس، بين الحرية الفوضوية للخلية والانضباط الضروري للحياة. وفي هذا الصراع، في هذا التوتر الدائم بين الانحراف والنظام، تتكشف الحقيقة الكبرى : أن السرطان ليس مجرد تهديد، بل هو جزء من لغة الحياة نفسها، لكنها حياة مفرطة شذت الطريق فلم تعد تصل إلى خط النهاية ..

ثالثاً ، ما هي العوامل التي يمكنها إحداثه ؟

في عالم الخلايا، حيث تتناغم الحياة بنسق دقيق، تتسلل أحياناً قوى خفية، قوى تغيّر مسار الحياة بصمت، دون أن يُسمع لها صوت .. هذه القوى هي العوامل السرطنة، كظلالٍ سرية تعبث بالشفيرة العتيقة للحياة، تهدد النظام المترابط الذي حافظ على توازننا منذ ولادتنا. إنها ليست قوة واحدة، بل هي طيف واسع، يمتد من اللمس الفيزيائي إلى الهمس الكيميائي، ومن إشعاع الشمس إلى صخب التلوث الصناعي، وكلها قادرة على إشعال شرارة الفوضى في الخلايا.

أول هذه القوى هو **العامل الفيزيائي**، الذي يحمل طاقة يمكن أن تخل بتوازن الخلية. الإشعاعات، سواء كانت أشعة الشمس فوق البنفسجية أو الأشعة السينية، تدخل إلى نسيجنا العميق، وتعيد ترتيب خيوط **DNA** كما لو أنّ فنّاناً عديم الموهبة يشوه لوحة قديمة. في كل شعاع، احتمال صغير لخطأ جيني، وكل خطأ يمكن أن يكون بداية قصة جديدة للتمرد الخلوي، بداية الطريق إلى السرطان.



ثم هناك **العوامل الكيميائية**، هذه المواد التي يخلقها الإنسان أو يتركها في الطبيعة، تختبئ في الهواء، في الماء، في الطعام. بعضها مسرّطنة بطيئة، مثل دخان التبغ الذي يتسلل إلى الرئتين يوماً بعد يوم، وبعضها سريع، مثل بعض السموم الصناعية التي تكسر جدران الخلية فجأة. هذه المواد الكيميائية لا ترى بالعين، لكنها تزرع بذور الفوضى في عمق خلايانا، وتعيد كتابة

الشيفرة كما لو كانت روحًا غريبة تتسلل إلى مصنع الحياة.



و لا يمكننا نسيان **العوامل البيولوجية**، الكائنات الدقيقة التي تحمل معها طاقات خفية، مثل بعض الفيروسات والبكتيريا التي تمتلك القدرة على تعديل الجينات، وكأنها رسل خفية من عالم آخر، تدعو الخلايا إلى التمرد بلا صخب. هذه القوى الحية تتسلل إلى أجسادنا، و تزرع بذور السرطان في تربة الجسد في غفلة من الفلاح ..

هناك أيضًا **العوامل الوراثية والداخلية**، التي تحملها الخلايا نفسها، كعواقب أخطاء في النسخ أو شيفرات قديمة تنتقل عبر الأجيال. هي عوامل غير مرئية للعين، لكنها تجلس في أعماق **DNA**، تنتظر اللحظة المناسبة لتخرج من صمتها، وكأنها رسالة قديمة من الماضي،

تذكّرنا بأن جسد الإنسان ليس حصيناً من الانحراف، و
أن لعنة المرض ربما نزلت على الجسد منذ زمن سحيق
و اليوم تتحقق النبوءة المشؤومة ...

وأخيراً، هناك **العوامل البيئية والاجتماعية**، التي تشكل
الساحة التي تتحرك فيها الخلايا. نمط الحياة، التغذية،
الضغط النفسي، التعرض المستمر للمواد الصناعية،
كل هذه القوى تشكل نسقاً خارجياً يمكن أن يرفع احتمال
حدوث السرطان، كأنها موجات خفية في بحر هادئ،
تدفع السفينة ببطء لكن بثبات إلى شواطئ مجهولة منفية

العوامل المسرطنة إذن ليست مجرد تهديدات؛ هي
رسائل من الكون، تذكّرنا بأن الحياة قائمة على توازن
هش، وأن كل قوة خارجية أو داخلية تحمل معها إمكانية
الانحراف عن النظام، و زرع بذور الفوضى. إنها جزء
من لغة الوجود، جزء من الحوار الخفي بين الجسد
والبيئة، بين الخلية والعالم، بين الخلق والانكسار. وكل
خلية تتأثر بعامل مسرطن، تحمل في قلبها صدى هذا
الصراع، صدى رغبة الحياة في الاستمرار، وصدى
اضطراب الطبيعة عندما تُخالف قوانينها.

رابعاً ، كيف يمكن قهره ؟

في صمت الجسد، حين تتجلى الفوضى السرطانية في
انسجام غير متوقع، يبدأ الإنسان رحلة السعي عن حلّ

، رحلة بحث عن الضوء في قلب الظلام. السرطان،
ذلك التمرد الصامت، لا يعلن عن نفسه إلا من خلال
تموجات الألم، وفي كل خلية متحولة، تحمل الحياة
تحديًا عميقًا : هل يمكن للنظام أن يستعيد توازنه أمام
فوضى التمرد؟

تبدأ المعركة غالبًا بالسلاح **الكيميائي**، حيث تُسخر
المواد الكيميائية كجنودٍ شجعان، تهدف إلى اقتلاع
الخلايا المتمردة من جذورها. هذه المواد، رغم قسوتها
و تساقط شعر المريض بسببها مع الاقياءات العنيفة التي
تصاحبها، تحمل رسالة فلسفية : أن الحياة أحيانًا تتطلب
التضحية، وأن القوة الصارمة ضرورية لإعادة النظام.



ثم يأتي السلاح **الإشعاعي**، الذي يستخدم أشعة محددة لتحطيم النواة المتمردة للخلية السرطانية. الإشعاع يشبه شعاع الشمس الذي يخترق الغابة الكثيفة، يضيء الأخطاء ويكشف الظلال، ويعيد ترتيب الفوضى في العمق. في كل شعاع، هناك توازن هش : ما يُهدم من الخلايا التالفة، وما يبقى من الأنسجة السليمة، وبينهما قصة صراع لا تنتهي، قصة صراع مستمر بين الضوء و الظلام في جسد الإنسان كما هو الحال خارجه ..



و مع تطور العلم، ظهر السلاح **المناعي**، الذي يحول الجسم إلى معقل حقيقي، حيث يستيقظ جهاز المناعة كجيش حارس، يتعرف على الخلايا السرطانية المتمردة ويهاجمها بعقلانية مذهلة. هذا العلاج يحمل في طياته

فلسفة الذات : أن الجسد لديه القدرة على الدفاع عن نفسه، وأن الحياة، مهما انحرفت أحياناً، تحمل إمكانات الشفاء الذاتي إذا أُحييت قوى الدفاع الكامنة فيه.



ولا ننسى **العلاجات المستهدفة جزيئياً**، تلك التي تعرف على وجه التحديد نقاط ضعف الخلية السرطانية، كالقائد الذي يعرف مكان الخاصرة الضعيفة في جسد العدو .
هذه الاستراتيجية تعلمنا أن القوة لا تكمن دائماً في القسوة، بل في الفهم العميق للعدو، وفي القدرة على توجيه الضربة المناسبة دون هدر للطاقة. هنا، العلم يصبح فناً، والطب يصبح فلسفة، حيث يتم التنقل بين الغموض والحقيقة، بين الشيفرة الوراثية وعمق الوجود.

و لا يمكننا إغفال سلاح **الجراحة** ، الذي غالباً ما يكون أول العلاج و ليس نهايته .. كمحاولة لاستئصال ما

يمكن من الورم قبل مهاجمة انتشاراته الأخرى في
الجسد بالأسلحة السابقة ..



أما على الجبهات الحديثة للمعركة، يبرز علاج جديد
واعد و مبشّر .. يعتمد على مبدأ بسيط لكن خلاق ، و
هو **تعطيل إنزيم التيلوميراز**، ذاك الأنزيم اللعين الذي
يمنح الخلايا السرطانية القدرة على التكاثر بلا حدود، و
كأنها تحاول تحدي القدر نفسه . التيلوميراز هو المفتاح
الخفي الذي يسمح للخلية السرطانية بتجاوز دورة الحياة
الطبيعية، وبالتحايل على الموت ، ففي الوضع الطبيعي
يتقاصر طول الصبغيات مع كل انقسام خلوي حتى يبلغ
النقص منطقة حرجية من الصبغيات ضرورية لحياة
الخلية و عندها ترفع راية الاستسلام و تودع المعركة
فتموت ، و أنزيم تيلوميراز الموجود فقط في الخلايا
السرطانية يمنع ذاك القصر في الصبغيات خلال

الانقسام فتستمر تنقسم بدون توقف . لذا عند تعطيله،
تعود الخلية السرطانية إلى الوضع الطبيعي فتقصر
صبغياتها تدريجياً مع كل انقسام حتى تموت .. و منه
فإن العلاج الواعد لمرض السرطان يتمحور حول
إمكانية تعطيل هذا الإنزيم في الخلايا السرطانية .

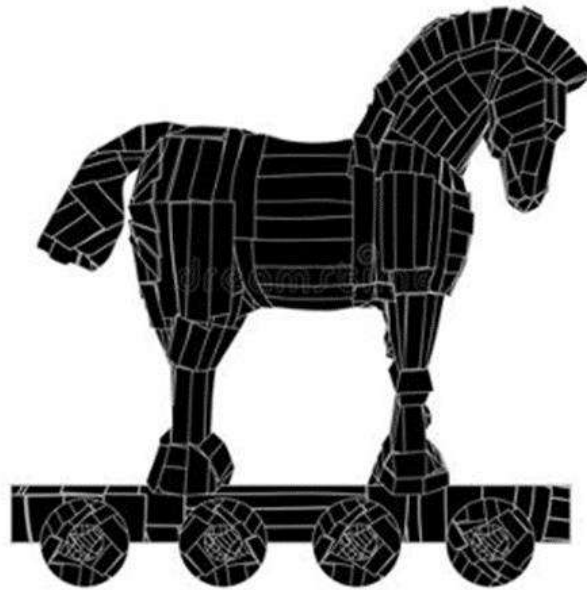


في كل العلاجات السابقة ، يتجلى سحر الطب الحديث :
الدمج بين القوة والعقل، بين القسوة والرحمة، بين العلم
والفلسفة. كل علاج هو رسالة، وكل خلية تموت أو
تُشفى هي فصل من قصة أكبر، قصة الإنسان الذي
يحاول أن يستعيد توازنه أمام قوى الطبيعة الخفية.
الجراحة ، الكيمياء، الإشعاع، المناعة المستحثة،
العلاج الجزيئي، وتعطيل التيلوميراز، كلها أدوات في
يد البشرية لفهم الوجود، لإعادة النظام إلى الجسد،

وللتأمل في هشاشة كل كائن حي أمام قوى الكون الخفية.

خامساً ، السرطان من وجهة نظر فلسفية ..

في معركة الجسد، حيث تتناغم الأعضاء كجيوش صغيرة تحرس مملكة الحياة، يطل السرطان كعدو خفي، غامض، كأنه حصان طروادة متسلل بين صفوف الحماية. لا يأتي هذا العدو مع بوق الحرب، ولا مع أعلام معلقة على الأسوار؛ إنه هادئ، صامت، يختبئ وراء الانسجام اليومي للجسم، حتى يصل إلى قلب النظام، ويبدأ نسج فوضاه من الداخل. كمثال حصان طروادة الأسطوري، يترك للجسد شعورًا بالأمان، ثم يفتح الأبواب الموصدة داخل الخلية، ويحرر القوة المتمردة التي تكسر التوازن القديم.



في البداية، يبدو السرطان كهمس بعيد، كما لو أن الجسد

يخبرنا أن شيئاً ما ليس في محله و غالباً ما نتجاهل النداء التحذيري . الخلايا الصغيرة التي اعتدنا على رؤيتها تعمل في تناغم، فجأة تبدأ بعض منها في التمرد، في التجمع، في بناء حصون صغيرة داخل الأنسجة. وهنا، يعلن السرطان عن نفسه، لكنه يفعل ذلك بطريقة فنية، كما يفعل القائد العسكري الذي يعرف كيف يخترق دفاعات العدو دون ضوضاء. كل خلية متمردة، كل نسق متحول، هو جندي في جيش الظل، يقود حملة صامتة على مملكة الجسد، وفي نفس الوقت يختبر قلب الإنسان : هل سيستسلم ؟ أم سيدافع ؟

وفي هذا الغزو، يظهر درس الإنسان الأول : **الصبر**. فالصبر ليس مجرد انتظار سلبي، بل هو اليقظة في خضم المعركة، هو القدرة على رؤية الضوء في نهاية النفق رغم سواد عتمته ، و كيف تتعلم الروح كيفية التعايش مع القلق والخوف، دون أن تفقد قوتها.

إنّ السرطان لا يقتصر على كونه عدوًا، بل يصبح معلمًا. يعلم الإنسان أن **الأمل** ليس مجرد فكرة، بل شعاع يُضاء في أعماق الروح، حتى في أصعب اللحظات. كل دورة علاج، كل خلية تُستهدف وتُحطم، تحمل معها رسالة : أن الفوضى يمكن مواجهتها، وأن النظام يمكن استعادته، وأن الحياة، مهما علت فيها الفوضى، تمتلك قوة داخلية لتعيد ترتيب نفسها. وكأن

السماء نفسها تهمس للإنسان بأن المعجزات ممكنة، وأن كل تحدٍ هو فرصة لاكتشاف القوة الكامنة في قلبه.



السرطان أيضًا يعلم الإنسان عظمة **الامتثال والتواضع** أمام **معجزات السماء**. فحين تتعطل الخلايا و تنتمرد، لا يمكن للعلم وحده أن يحل كل الأزمات؛ هناك لحظات تحتاج فيها الروح إلى الإيمان، إلى الاعتراف بأن قوة أكبر من إدراك الإنسان تدير نسق الحياة، وأن كل انتصار صغير هو جزء من حكمة أكبر، غامضة وجميلة في آن واحد. في كل خلية تعود إلى النظام، في كل لحظة استشفاء، هناك معجزة صغيرة، تذكرنا بأن الحياة لا تزال تسير، وأن الكون ينسق توازنه بدقة متناهية .. و كم من مريض سرطان شفي بطريقة غير مفسرة أو منطقية عندما أقسمت الأرقام أنه هالك لا محالة !!

كما في الحروب الكبرى، هناك دروس في **التحالفات**،
في القوة المتضافرة بين العلم والطبيب والمريض، بين
العلاج والصبر، بين الجسم والروح. تمامًا كما يحتاج
الحصن لمقاتلين متعاونين لمواجهة الغزو، يحتاج
الإنسان إلى **الانسجام بين جسده وروحه وعقله وقلبه**
ليقاوم السرطان. كل دورة علاج، وكل تجربة، تحمل
معها درسًا عن وحدة الكينونة، عن التآزر بين الجسد
والروح، عن أن مجابهة الغزو ليست مهمة فردية فقط،
بل رحلة مشتركة مع الحياة نفسها.

سادسًا ، حقائق غريبة عن السرطان ..

- ✽ يمكن أن يصيب السرطان أي جزء من الجسم تقريبًا، حتى العين أو القلب وإن كان ذلك نادرًا جدًا
- ✽ بعض السرطانات تنمو ببطء شديد لدرجة أن الشخص قد يموت من سبب آخر قبل أن يلاحظ وجودها.
- ✽ الحيوانات قد تُصاب بالسرطان أيضًا، مثل الكلاب والقطط، وحتى بعض الأسماك.
- ✽ يوجد نوع نادر من السرطان يمكن أن ينتقل بين الكلاب عن طريق التزاوج.
- ✽ بعض الأورام قد تنمو لتكوّن أسنانًا أو شعرًا، مثل أورام المبيض تيراتوما.

✳ يُعتبر التدخين مسؤولاً تقريباً عن ثلث جميع حالات السرطان عالمياً.

✳ بعض الفيروسات يمكن أن تسبب السرطان، مثل فيروس الورم الحليمي البشري (**HPV**) المسبب لسرطان عنق الرحم.

✳ جهاز المناعة لدينا ينجح في القضاء على خلايا سرطانية يومياً قبل أن تتطور إلى مرض ظاهر.. لكن توجد خلايا سرطانية تنتج بروتينات تخدع جهاز المناعة وتجعله لا يهاجمها.

✳ الخلايا السرطانية تستطيع إقناع الأوعية الدموية بتغذيتها بعملية تسمى تكوّن الأوعية الجديدة

✳ بعض الأورام يمكن أن تبقى خاملة في حالة سبات لعشرات السنين ثم تنشط فجأة.

✳ هناك مرض نادر يُسمى الورم الميلانيني الشرعي المنقول من زرع الأعضاء، ينتقل من المتبرع إلى المستقبل.

✳ العلاج الكيميائي صُمم أول مرة استناداً إلى غازات سامة استُخدمت في الحرب العالمية الثانية.

✳ بعض الخلايا السرطانية تستطيع التحرك عكس اتجاه تيار الدم، وهو أمر غير معتاد في الخلايا الطبيعية ✳ في قرية **لوجانوس بالإكوادور** يعيش أشخاص

قصيرو القامة بسبب مرض وراثي نادر (متلازمة لارون)، وهؤلاء لديهم مناعة شبه كاملة ضد السرطان بفضل طفرة جينية تثبط مستقبلات هرمون النمو.

✽ بعض الأورام قد تفرز هرمونات غريبة تجعل المريض يعاني أعراض تشبه أمراضاً أخرى (مثلاً : ورم رئوي يُسبب أعراض تشبه مرض كوشينغ في غدة الكظر).

✽ في حالات نادرة، اكتشف الأطباء سرطان داخل جنين لم يولد بعد و سمّي التيراتوما الجنينية ✽ بعض السرطانات يمكن أن تنكمش أو تختفي دون علاج فيما يعرف بالتراجع العفوي ..

✽ في أستراليا، قد تصاب حيوانات الشياطين التسمانية بسرطان معدٍ ينتقل عبر العض.

✽ بعض الأورام تنمو بسرعة مذهلة : يمكن أن يتضاعف حجمها خلال أيام قليلة فقط.

✽ يوجد نوع نادر من سرطان العظام يمكن أن يسبب إنتاج مادة تشبه الأدرينالين تجعل المريض في حالة نشاط مفرط.

✽ بعض الأورام تفرز بروتينات تسبب رائحة مميزة للجسم، بحيث يمكن للكلاب المدربة اكتشافها مبكراً.

✽ هناك تجارب على استخدام بكتيريا معدلة وراثياً

لمهاجمة الخلايا السرطانية من الداخل.

✳️ الورم السليم لا يعني أنه غير مؤذٍ ، فقد يسبب أعراضاً انضغاطية بسبب حجمه الكبير ، أو يفرز هرمونات معينة تتلاعب بتوازن الجسم و وظائف الأعضاء ..

✳️ أورام الكبد أحياناً تسبب الإصابة بمرض السكري الثانوي بسبب إفرازها مواد تغيّر استجابة الجسم للأنسولين.

✳️ في الصين القديمة، اكتُشفت آثار جراحة لإزالة أورام في هياكل عظمية تعود لآلاف السنين.

✳️ العلماء يدرسون إمكانية أن يكون لدى بعض الأشخاص بكتيريا معوية خاصة تساعد في منع نمو الأورام.

✳️ أشيع ورم هو سرطان الجلد و بين الذكور سرطان الرئة و بين الإناث سرطان الثدي ، أما أندر ورم فهو ورم الغدة الصنوبرية في الدماغ ..

✳️ هناك محاولات لإنتاج لقاح عالمي ضد السرطان يعتمد على تدريب جهاز المناعة لمهاجمة بروتينات مشتركة في أغلب الأورام و هذا حلم واعد للبشرية ننتظر تحقيقه بفارغ الصبر ..

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الهامة (السرطان) ،
من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لقد أصبت بالسرطان .. إنها النهاية ..

بل أن نقول :

= و إن مرضت فهو يشفيني .. و الله منحنا سبل
العلاج المادية بوسائل متنوعة بعضها أثبت نجاعته و
بعضها الآخر واعد بقوة .. كما منحنا سبل العلاج
المعنوي أيضاً بالصبر و الأمل و الإيمان أن زمن
المعجزات لن يولي ما دام هنالك إله في السماء ..

السرطان في جوهره ليس غريباً عن الحياة؛ فقد وُجدت
دلائل على أورام سرطانية في عظام ديناصورات
عمرها أكثر من **70** مليون سنة .. هذا يعني أن
المرض قديم قدم الحياة نفسها، و رافق الكائنات منذ
فجر الخليقة.



فلسفيًا، يشبه السرطان ظلًا أزلّيًا يمشي إلى جوار الكائن

الحي، ليذكّره بأن الخلود وهم، وأن الفناء جزء من
المعادلة الكونية .. إنه شاهد على أن الطبيعة لا تعرف
الكمال، بل تحتضن دائماً احتمالية الانحراف والتمرد.

ومن هذا الوعي يولد الدرس الأكبر: أن قيمة الحياة
ليست في طولها، بل في نوعيتها .. في عمقها و
صبرها و إصرارها على بلوغ النور.

الوجه الآخر للطب^٣

(إغواء مستندال)

= هل سمعت أن صديقتنا جوى تم تحريرها من
الخطف أخيراً ؟

= لا لم أسمع ، هذا خبر عظيم .. و كيف هي صحتها
، هل أذاها الخاطف ؟

= لا ، صحتها جيدة .. و لكن ..

= لكن ماذا !؟

= هنالك شيء غريب للغاية أصابها بعد الخطف كما
أخبرني والدها ..

= خير !؟

= يقول أنها تدافع عن الخاطف و ترفض الادعاء عليه
أو محاكمته و سجنه !

= لماذا هل تعرفه ؟

= إطلاقاً .. تخيل بعد **10** أيام من الحجز في قلق و
خوف تدافع عنه !

= ربما أملك جواباً على سلوكها الشاذّ هذا بحكم
دراستي للطب ..

= صحيح !؟ هات ما عندك ..

= أظنها مصابة بمتلازمة ستوكهولم ..

= و ما هذا .. مرض !؟

= تقريباً .. حالة نفسية تصيب الضحية نتيجة الرض
النفسي القوي الذي سببه لها الجاني ..

= و ما علاقتها بستوكهولم عاصمة السويد ؟!
= وصفت هذه المتلازمة لأول مرة بشكل رسمي عقب
حادثة سرقة بنك في العاصمة ستوكهولم عام **1973** ،
حيث ظهرت على الرهائن الذين احتجزتهم عصابة
السرقة في البنك أعراض مشابهة لما يحدث مع
صديقتنا جوى .. فقد تعاطفوا مع اللصوص و دافعوا
عنهم ، بل إن بعضهم عاونهم على السرقة و الفرار
لاحقا ..



= يا لها من حالة غريبة !! .. و ما تفسيرها الطبي ؟
= التفسير نفسي بحت و بسيط ، قائم على اقتناع
الضحية باللاوعي أنها إن كانت في صف الجاني فلن
يؤذيها .. لذا تتعامل معه على هذا الأساس ، و من شدة
التوتر الذي تتعرض له تقتنع لاحقا أنها في صفه بالفعل
= تفسير منطقي .. يبدو أننا العامة لا نعرف شيئاً عن
الطب سوى الزكام و التهاب البلعوم !!
= على العكس الطب دنيا من الألغاز والأمراض

الغريبة والتفاصيل الجميلة التي تتماهى مع الفن أيضاً
= كل هذا !! مثل ماذا ؟

= قبل كل شيء تحدث مع والد جوى و أخبره
بتشخيصها المحتمل كي تراجع طبيباً نفسياً ليعالجها من
حالتها .. و بعدها تعال لأحدثك عن غرائب عالم الطب

الصورة الشائعة للطب و السائدة بين عامة الناس هي
مريض متعب يتألم ، يفحصه الطبيب و يعالجه .. لكن
الحقيقة أن للطب وجها آخر غير ذلك، وجهاً يجتمع فيه
الفن و الطرافة و الطبيعة و الكون .. ربما تشكك
عزيزي القارئ في ذلك و تعتبره مبالغة من طبيب
يروج الإشاعات الجميلة عن مهنته .. و مهمتي خلال
الصفحات التالية أن أغير وجهة نظرك هذه و أثبت لك
وجود جانب آخر للطب .. جانب ممتع و مثير لأصحح
المغالطة السائدة بين الناس عن كون الطب يقتصر على
التعب و الآلام و العجز لا غير ..

و لإنجاز ذلك سأقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**الوجه**

الآخر للطب) عبر 6 محاور رئيسية :

- الطب و الفن ...
- أمراض طبية غريبة تسمع بها لأول مرة في حياتك
- الجانب الطريف من الطب ..

● الطب و الطبيعة و الكون ..

● الطب و الرياضة ..

● الخلية الإله ..

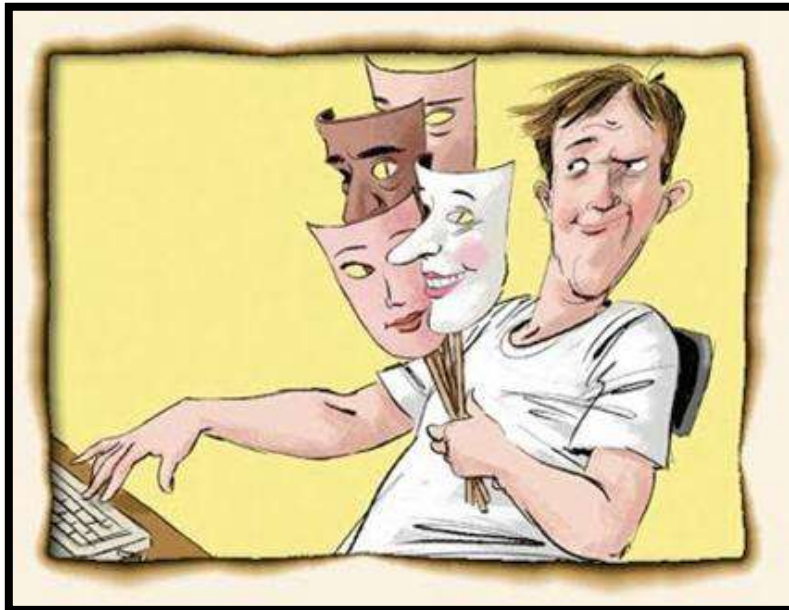
فهيا بنا عزيزي القارئ نتعرف على الوجه الآخر للطب

① الطب و الفن :

هنالك ارتباط وثيق بين الطب و الفن بأقاليمه المتنوعة
في أمراض كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

✽ **متلازمة فريجولي** : و سميت تيمناً بالمثل

المسرحي الإيطالي الشهير ليوبولدو فريجولي الذي
كان يأخذ أدواراً مختلفة في مسرحياته و يتنكر فيها
بإتقان كبير بحيث لا يعرفه الحضور .. و في هذه
المتلازمة النفسية يظن المريض أن كل الناس من
حوله هم شخص واحد لكن متنكر ..



✧ متلازمة المحبوس **locked in** : مرض طبي

خطر ينجم عن خثرة في الشريان القاعدي للدماغ
فيسبب شللاً في كل عضلات الجسم عدا عضلات
العينين التي تحركها للأعلى و الأسفل .. أصيب بهذه
المتلازمة الكاتب الشهير **جون دومينيك بوني** و الذي
ساعدته زوجته على تأليف رواية كاملة باسم (**بذلة
الغوص و الفراشة**) بالاعتماد على عدد رفات عينه
اليسرى التي كانت تعمل بمفردها في جسمه .. فكل
عدد معين من الرفات يشير إلى حرف هجائي محدد ..
و تخيل عزيزي القارئ عدد الرفات و الساعات الطوال
التي استغرقتها كتابة هذه الرواية ..

✧ **القصة الشهيرة جميلة و الوحش** : ففي الحقيقة

الوحش في القصة هو شخص مصاب بمرض ضخامة
النهايات الذي يزداد فيه إفراز هرمون النمو من الغدة
النخامية ، فيتضخم الجسم و تبرز الجبهة و الفك ..



✽ الطب في الأساطير :

● **متلازمة أوندينية :** و هي حالة نفسية سميت تيمناً بأوندينية و هي حورية بحر حسناء في الأساطير الإغريقية و التي ألقت لعنة على زوجها بأن يتوقف عن التنفس خلال نومه مراراً و تكراراً بسبب خيانتها لها ، و هذا ما يحدث في هذه المتلازمة بالفعل على أرض الواقع حيث يتوقف تنفس المريض بشكل متكرر خلال نومه بسبب تثبيط مركز التنفس .. و قد جسد الفنان جون ووترهاوس هذه الأسطورة في لوحته الشهيرة عام 1872 ..

● **عقدة أوديب النفسية :** و التي تحدث عند الأطفال الذكور بغيرتهم على أمهاتهم من آبائهم استمدت اسمها من أسطورة إغريقية أخرى و هي أسطورة أوديب الذي يقتل أباه دون أن يعلم و يتزوج أمه دون أن يعلم أيضاً

● **اضطراب الشخصية النرجسية :** اشتق من الأسطورة الإغريقية نرجس (نرسييس) الذي كان يتأمل حسن وجهه في مياه البحيرة لأيام حتى سقط فيها و غرق ..

● **دواء المورفين المسكن للألم و المنوم :** اشتق اسمه من إله النوم و الأحلام عند الإغريق مورفيوس.

● **ظاهرة حصان طروادة ،** حالة طبية مشتقة من هذه الأسطورة الإغريقية و تدعى (الغرس ضد المضيف) حيث يشكل العضو المغروس في الجسم كالكلية مثلاً

حصان طروادة تماماً لكن بدلاً من تسلل الجنود منه
تتسلل الكريات البيض للشخص الذي تبرع بالكلية و
الموجودة في الكلية المغروسة إلى دماء المستقبل للكلية
و تهاجم جسده ..

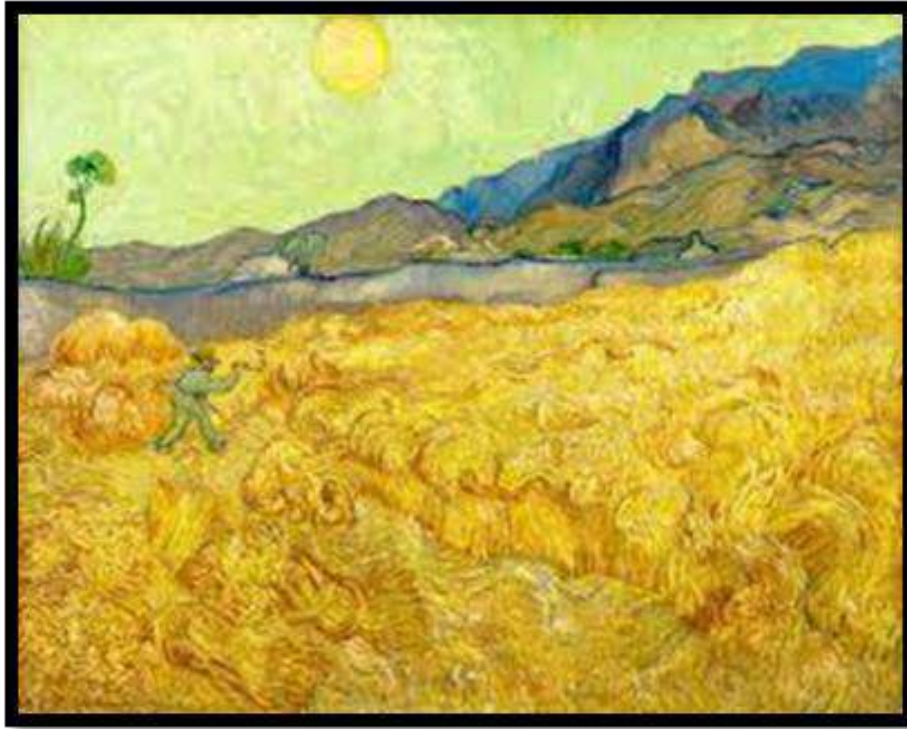


● الأسطورة الإغريقية السايكلوب ذو العين الواحدة
نجدها في مرض يدعى متلازمة باتو حيث لا تنقسم
الكرة المخية إلى نصفي كرة مخية و في بعض الأحيان
تلتحم العينان معا في عين واحدة ..



✽ الطب في الرسم :

● هل تعلم لماذا كان اللون الأصفر غالباً على لوحات الفنان الشهير فان جوخ ؟ لأنه كان مصاباً بالتسمم بمادة الديجوكسين التي تسبب الرؤية الصفراء لكل شيء فكان يرى كل ما حوله من مشتقات اللون الأصفر .. أما الديجوكسين فهو دواء مقوي للقلب يستخدم في قصور القلب .. و هنالك نبتة غنية بمادة شبيهة بتركيبه وهي ما كان فان جوخ يستخدمها بكثرة ..

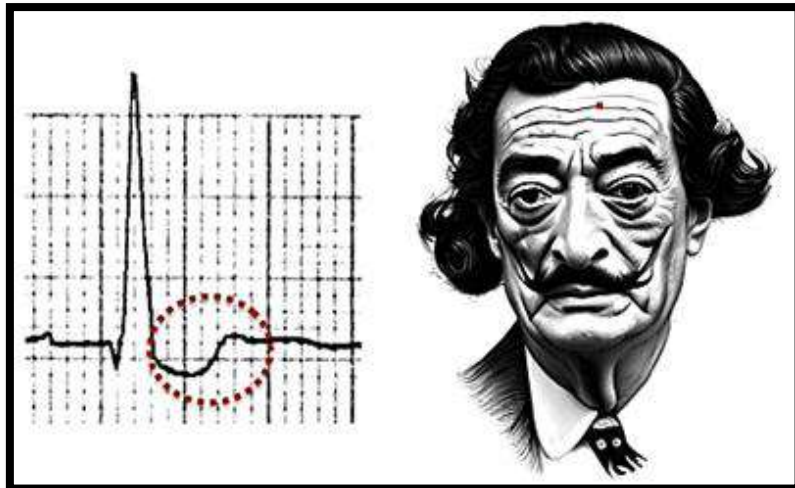


● بعيداً عن عشق ليوناردو دافنشي أشهر فنان في التاريخ للطب و التشريح ، فإننا نجد سراً طبياً في أشهر لوحاته على الإطلاق (الموناليزا) حيث يُشتبه بقوة بإصابتها بمرض باركنسون بسبب جمود سحنتها وإمساكها ليدها الأخرى خوفاً من أن ترجف

عندما كان دافنشي يرسمها ..



● بعيدا عن الهلوسات البصرية الكثيرة التي كانت تصيب الفنان المبدع المجنون سلفادور دالي و التي تظهر بوضوح في لوحاته .. فإن هنالك علامة مرضية شهيرة على تخطيط القلب الكهربائي تدعى (شارب سلفادور دالي) حيث تتشكل موجة شبيهة بشاربه بالفعل ، و تنجم عن السمية بالديجوكسين أيضاً..



✿ الطب و الموسيقى :

● علامة أوتار الكمان : و هي التصاقات تشبه أوتار الكمان بين البريتوان البطنى و الكبد و نجدها في الإنتان بجراثيم المكورات القنذية ..

● علامة درجة البيانو : و هي كسر في المفصل بين عظم الترقوة و عظم الكتف فيرتفع عظم الترقوة بشكل درجة البيانو ..

● بتهوفن أعظم موسيقي في التاريخ أصيب بالصمم و هو في أول شبابه و ألف أغلب سمفونياته الشهيرة دون أن يسمعها و اعتمد فقط على إحساسه ..



● الرقص على أنغام الموسيقى فن محبوب للناس ، و نجد في مرض الحمى الرثوية حركات رقصية للأطراف تدعى (رقص سيدنهام) كما نجد حركات رقصية أيضاً في داء هين تين غتون ..

✪ الأبطال الخارقون في الطب :

و نجد هنا 5 أمثلة عنهم :



● **الرجل الأخضر هالك** : الذي يتحول إلى وحش أخضر عندما يغضب .. و هذا ما نجده في ورم القواتم الذي يصيب غدة الكظر و يفرز هرمون الأدرينالين فيسبب نوبات غضب للمريض قد تصل به إلى حد القتل ..

● **الرجل الوطواط (باتمان)** : الذي لا يغادر مقره إلا ليلاً .. و هذا ما نجده في مرض البورفيريا الجلدية ، حيث يتجنب المريض الخروج من منزله نهائياً بل يغلق جميع الستائر لأن ضوء الشمس يسبب له حساسية جلدية و تقرحات ..

● **الفتاة المطاطية في (الخارقون)** التي يمكنها مط أطرافها بمرونة ، و هذا ما نجده في مرض إهلر دانلوس الذي يسبب مرونة هائلة في الجلد و المفاصل

● **رجل الماء (أكوامان)** : الذي يعيش تحت الماء و له حراشف كالسمك .. و هذا ما نجده في مرض السمك الجلدي الذي يصبح فيه الجلد جافاً و يأخذ

مظهر حراشف السمك أيضاً ..

● **الرجل الحديدي (أيرون مان)** الذي يرتدي بذلة من المعدن تحميه .. و هذا ما نجده في مرض اختزان الحديد (هيمو كروما توسيز) الذي يترسب فيه الحديد في أنسجة الجسم المختلفة ليصبح المريض حرفياً رجلاً حديدياً ..

✳ و نجد في **الأدب العالمي** روايات من قبيل (الحب في زمن الكوليرا) لغابرييل غارسيا ماركيز ، و (الطاعون) لألبير كامو .. و غيرها تناولت الأمراض بطريقة روائية أدبية ..

② أمراض غريبة لم تسمع بها من قبل :

✳ **ذهان وينديغو** : وينديغو هي الوحوش آكلة لحوم البشر التي تعيش حسب الأساطير شمال المحيط الأطلسي .. و المصاب بهذا المرض يكون لديه رغبة شديدة لأكل لحوم البشر ، و هذا ما يفسر السلوك الشاذ لبعض القتلة المتسلسلين ..

✳ **متلازمة مونشهاوزن** : سميت تيمناً بالبارون الألماني فون مونشهاوزن ، و فيها يدّعي المريض المرض أو يؤذي نفسه بالعمد كي يتلقى الدعم و الاهتمام من الآخرين ..

✳ **وهم كوتار** : و هنا يقتنع المريض بأنه ميت بالفعل

و لا يمكنك إقناعه بخلاف ذلك .. تماماً كحالة الزومبي الشهيرة ..



✱ متلازمة الرجل الصخري : و يعرف طبياً بخلل

التنسج الليفي المعظم المترقى ، و هو مرض شديد الندرة يصيب النسيج الضام بحيث تحدث طفرة في طريقة إصلاح الضرر بالنسيج الضام بما فيه (العضلات، الأوتار، الأربطة) بحيث تتحول هذه الأنسجة إلى عظم في حال إصابتها أو تضررها، و في الكثير من الحالات، تتسبب الإصابات في المفاصل بتوقف المفصل تماماً عن الحركة ، و لا علاج لهذا المرض ..

✱ متلازمة الرجل المستذئب : وفيه يظهر الشعر

بكثافة في وجه الإنسان و جسده ، وهو عموماً من الأمراض النادرة، يحدث نتيجة خلل جيني يؤدي إلى نمو الشعر في كل أنحاء الجسم، ويسمى بهذا الاسم لأن

المريض يشبه هيئة الذئب بالفعل ، ولا يوجد علاج
فعال للمرض، و حتى حلق الشعر لا يجدي لأنه
سرعان ما ينمو مجدداً..



✿ **الحساسية من المياه** : ربما سمعت عن أشخاص
يتحسسون من أطعمة معينة أو أدوية محددة أو من لسع
الحشرات ، لكن المريض هنا يتحسس من المياه و أي
احتكاك بها سيسبب له نوبة حساسية مفرطة قد تقتله !!

✿ **متلازمة أليس في بلاد العجائب** : وهو مأخوذ من
اسم الرواية المشهورة، حيث إن الأعراض تشبه ما
عانت منه بطلة الرواية المنشورة سنة **1865** حيث
نراها وهي ترى تغيراً في الأشكال والأحجام، و ثمة
اعتقاد بأن كاتب الرواية كان مصاباً بهذا المرض و
لهذا وثّقه برواية ، فالمريض يرى نسباً خاطئة للأجسام
وتشوهاً في أشكالها، ويعلم أن ما يراه ليس صحيحاً بل

هلوسات، كما قد يرى أشياء ثابتة تتراقص أو رؤية
رؤوس البشر كحيوانات مما يربكه بشكل عام ..



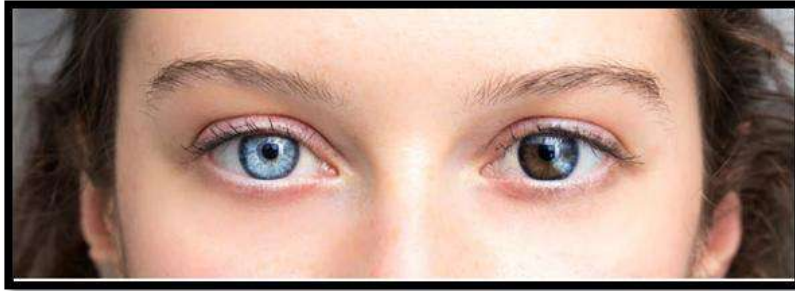
❖ **مرض انقلاب الأحشاء :** و هنا تتوضع أحشاء الجسم
بعكس جهتها الطبيعية فيكون القلب و الطحال مثلاً في
الجانب الأيمن من الصدر و الكبد في الجانب الأيسر ..



✿ متلازمة الخنوثة الكاذبة الذكورية : و هنا تكون

مستقبلات هرمون الذكورة التستوستيرون غير حساسة له .. لذا يكون المريض ذكراً صبغياً و أنثى فائقة الجمال ظاهرياً ، كونها لا تتأثر بأي كمية من هرمون الذكورة و الذي يفرز عند الإناث في الحالة الطبيعية من غدة الكظر ..

✿ هيتروكروميا : و هي مرض نادر يكون لون قزحيتي العينين مختلفا كلياً (أسود و أزرق مثلاً) ..



✿ مرض إهمال نصف الجسم : و ينجم عن أذية الفص الدماغي الجداري .. و هنا يتعامل المريض مع جسده كأنه نصف فقط .. فمثلاً يحلق نصف لحيته فقط



③ الوجه الطريف من الطب :

✽ **متلازمة ديوجانس** : سميت تيمناً بالفيلسوف

الإغريقي الشهير الذي اتبع الفلسفة الكلبية (ديوجانس)
و هي فلسفة قائمة على التخلي عن الماديات و العيش
بحرية في الطبيعة .. و المصاب بهذه المتلازمة يعاني
من إهمال الذات الكبير و الميل للعزلة الشديدة ، كما
كانت حياة ذلك الفيلسوف بالضبط .. و في رواية
طريفة حقيقية عنه أن الاسكندر الأكبر المقدوني التقى
به و هو يعيش في برميل خشبي في الشارع فسأله عن
أي خدمة يحققها له فأجابه ديوجانس (ابتعد فقط من
طريقي فأنت تحجب أشعة الشمس عني !!)



✽ **متلازمة اليد الغريبة** : و تحدث نتيجة للسكتات

الدماغية أو الجراحات على الدماغ .. و هنا يفقد

المريض سيطرته على يده فتبدأ بالتصرف بأفعال لا يريدونها كرمي الآخرين بالأشياء أو صفعهم أو غير ذلك

✿ في بعض الحالات قد يولد الذكور **بعضوين ذكريين** كاملين .. تماماً كحال حيوان الكوالا اللطيف ..



✿ قد تجد رجلاً أو سيدة متقدمين بالعمر بخدين محمرين فتقول لنفسك (ما شاء الله مازالت الطفولة في وجوههم) و في الحقيقة هذه تدعى السحنة التاجية و سببها **تضيق الدسام التاجي** مع التقدم بالعمر ..

✿ **متلازمة وليامز** : مرض خلقي من أعراضه سحنة وجهية مميزة تدعى وجه العفريت و اللطف الزائد مع الغرباء .. حيث يتعامل المريض مع كل

البشر كأصدقاء مقربين ..

✿ **الضحك غير المفسر :** و هنا يضحك المريض باستمرار و دون سبب .. و السبب غالباً تضرر بالفص الجبهي للدماغ أو ورم يدعى هامرتوما يصيب الوطاء في الدماغ ..

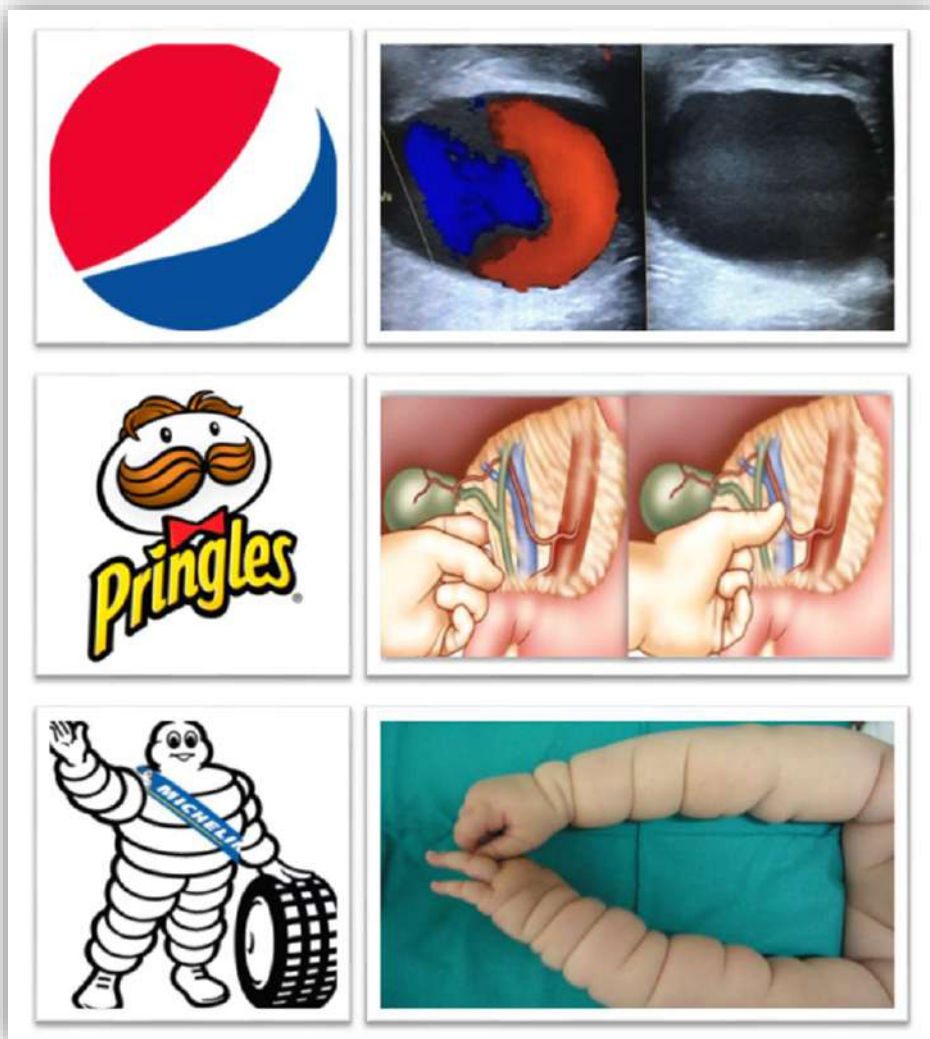
✿ يقال أن التدخين سبب رئيسي لأمراض كثيرة و يقصر العمر .. و هذا بلا شك صحيح .. لكن هل تعلم عزيزي القارئ أن التدخين يوصف كدواء رسمي للعلاج من **داء باركنسون و التهاب الكولون القرصي ؟!**



✿ **مريض التوحد :** يستخدم ضمير الغائب للحديث عن نفسه ، فمثلاً إذا كان اسم الطفل المتوحد هو آدم فإنه إذا عطش يقول : آدم يريد أن يشرب !! ..

✿ بعض العلامات التجارية في الطب : فنجد علامة

بيبسي في إيكو دوبلر أم الدم ، و مناورة برينغل في لقط وريد الباب في الثرب الصغير ، و متلازمة ميشلان التي يأخذ فيها جلد الرضيع شكلاً شبيهاً بإطارات ميشلان للسيارات بسبب التئيمات الجلدية الكثيرة عليه!..



✿ متلازمة خدود المارشملو : تكون خدود الرضيع

منتفخة بشكل محبب للقلوب ، تنجم عن الرضاعة

بالحليب الصناعي ..

✿ **متلازمة كوفاد** : أو الحمل التعاطفي ، و فيها ينتفخ قليلاً بطن الزوج و تظهر عليه أعراض شبيهة بالحمل عندما تكون زوجته حامل و يقلق عليها كثيراً ..

✿ **علامة باباي** : تمزق وتر العضلة ذات الرأسين العضدية مما يعطيها مظهراً شبيهاً بعضلات الشخصية الشهيرة باباي ..



✿ **الحس المواكب للمسي كالمراة** : يشعر فيه المريض بالعناق إذا رأى شخصين يتعانقان ..

✿ **مرض بيكا** : وهو اسم إغريقي قديم يشير إلى طائر عرف بقدرته الفائقة على الأكل بنهم، و بالفعل فإنّ مرضى البيكا هم أناس يأكلون بنهم ويأكلون للأسف كل شيء من التراب إلى الطين أو الزجاج أو

حتى البراز وغير ذلك، ويصنف في الأساس على أنه مرض نفسي و قد يترافق مع فقر الدم أيضاً ..

④ الطب و الطبيعة و الكون :

في الطب علامات كثيرة استمدت اسمها من الطبيعة الخلابة (نبات ، حيوان ، سماء) فنجد مثلاً :

● عالم الحيوان :

✳ **منقار الطائر** : في تصوير المري الظليل في مرض الأكالازيا ..

✳ **عين البومة** : في وصف خلية ريد ستيرين بيرغ في مرض لمفوما هودجكن أو الخمج بفيروس **CMV**

✳ **ذيل الفرس** : و هي الجذور العصبية الانتهازية للنخاع الشوكي ..

✳ **يد القرد** : و نجدها في إصابة العصب الناصف للذراع ..

✳ **الورم الوعائي العنكبوتي** : ينجم عن زيادة الاستروجين في قصور الكبد ..

✳ **علامة الراكون أو الباندا** : في كسر قاعدة الجمجمة

✳ **طفح الفراشة** : على الخدين و الأنف في مرض الذئبة الحمامية الجهازية ، كذلك نجد علامة الفراشة

في التصوير الطبقي للدماغ في الورم الدماغي الدبقي
متعدد الأشكال ..



✿ صوت نباح الكلب : و نجده عند المريض بالتهاب
الحنجرة و القصبات و القصيبات **CROUP**
✿ متلازمة مواء القطّة : مرض تشوهي خلقي ..



✿ نجد أيضا السعال الديكي ، جذري الدجاج و القروود
، انفلونزا الطيور و جنون البقر و غيرها ..

✿ **السحنة السنجابية :** في فقر الدم بتلاسيما بيتا الكبرى ..



✿ **حدبة الثور :** حدبة على العنق نجدها في داء كوشنغ في غدة الكظر ..



✿ **رائحة النفس كالسمك** في قصور الكبد .. و نجد أيضا **رائحة السمك للمهبل** في الإنتان بجرثومة الغاردنيليا المهبلية ..

✿ **جلد النمر :** علامة في الكولون عند الاستعمال المزمن للملينات ..

✿ **جلد الأفعى** : علامة في المعدة عند ارتفاع توتر
وريد الباب ..

✿ **عيون الضفدع** : جحوظ العينين في داء غريف
الذي يصيب الغدة الدرقية ..



● **عالم النبات** :

✿ **الزيتونة** : علامة بجسّ المعدة في تضيق البواب
الضخامي .. كذلك نجد نواة الزيتون في الدماغ ..

✿ **لسان الفريز** : و نجده في الحمى القرمزية و في
داء كاوازاكي ..

✿ **الكرزة الحمراء** : مظهر لسان المزمار بالتنظير
عندما يلتهب ..

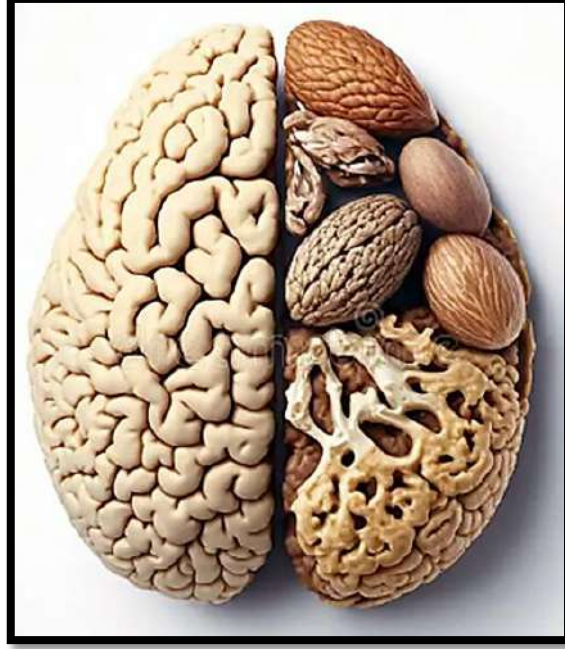
✿ **الزهيرات الكاذبة** : و نجدها كتجمع لخلايا الأورام
الغدية العصبية على شكل زهور ..

- ✽ **علامة تليف قشر البصل** : في التصلب الشرياني أو في التهاب الطرق الصفراوية المصلب البدئي ..
- ✽ **الأذن القرنبيطية** : نشاهدها هند الملاكمين ..
- ✽ **علامة قشر البرتقال** : في سرطان الثدي ، حيث يسبب انسداد الأوعية اللمفاوية بالورم هذا المنظر ..



- ✽ كذلك نجد **رائحة النفس** كالفواكه في الحماض الخلوني السكري ..
- ✽ **علامة الملح و الفلفل** : على الصورة الشعاعية للجمجمة عند مرضى الورم النقوي العديد ..
- ✽ **مظهر شجرة عيد الميلاد** : طفح على الظهر يشبه الشجرة نجده في داء النخالية الوردية ..
- ✽ **علامة ندف القطن** : في اعتلال شبكية العين بالسكري ..
- ✽ لا ننسى بأن **الدماغ** بنفسه يأخذ شكل ثمرة الجوز

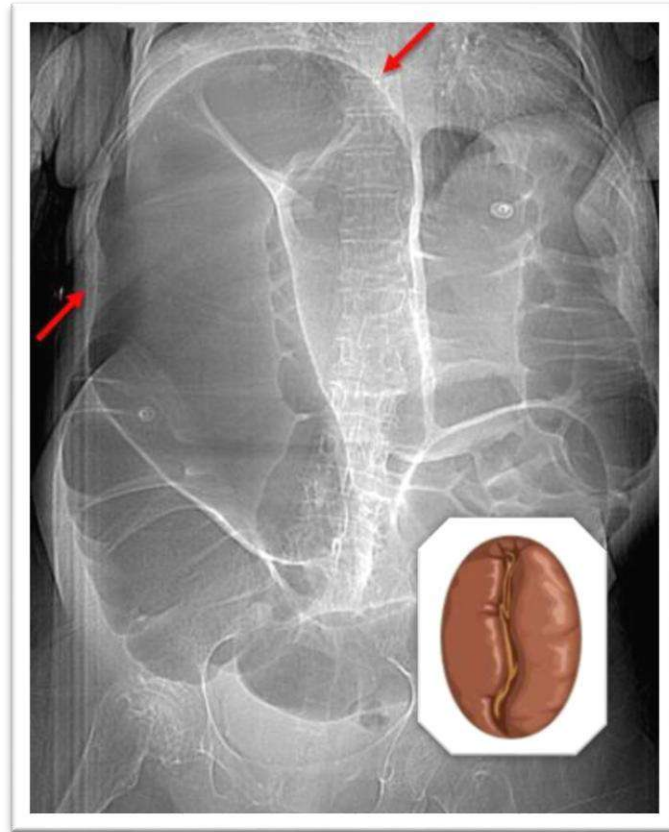
بل إن تركيبه مشابه على نحو غريب لتركيب الكون
كما سبق و حللنا في مغالطة العقل و الحاسوب ..



✿ **عود الخيزران** : علامة شعاعية تظهر العمود
الفقري كعود الخيزران في مرض التهاب الفقار القاسط



❖ **بول الشاي** : في اليرقان الناجم عن انحلال الدم ..
❖ **حبة القهوة** : علامة تظهر على إيكو البطن في
انفتال الكولون السيني ..



❖ **التفاحة المقضومة** : في سرطان الكولون الأيسر ..



◎ السماء و الفضاء :

✿ **الهلال** : علامة شعاعية تصف النزف تحت الجافية في الدماغ .. كم نجد الهلال الغازي تحت الحجاب الحاجز في الصورة الشعاعية للبطن عند انثقاب الأحشاء ..



✿ **غروب الشمس** : و هو علامة شعاعية تظهر على العظام المصابة بورم أوستيوساركوما .



✿ **وجه البدر** : وجه مدور في داء كوشنغ في غدة الكظر أيضاً..

✿ **مظهر السماء المرصعة بالنجوم** : نجده في خزعة الكلية تحت مجهر التآلق المناعي في التهاب الكبد و الكلية ، كما نجده في خزعة العقد اللمفاوية في لمفوما بوركت ..

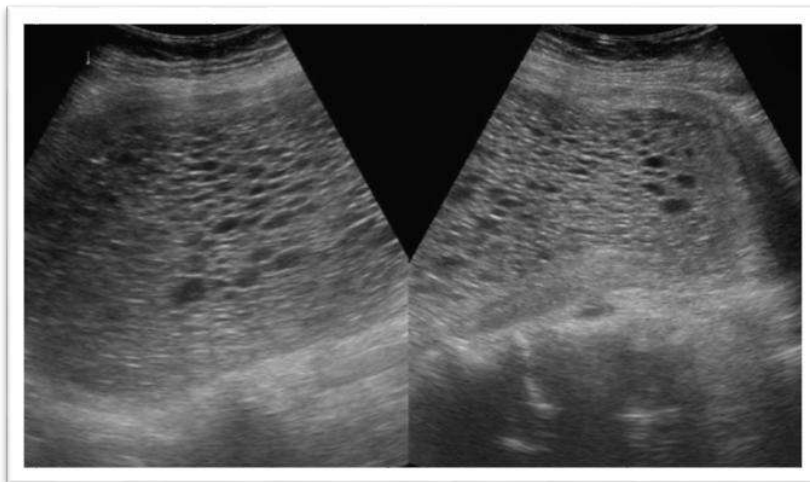
● علوم الجغرافيا :

✿ **الأمواج** : علامة مميزة لأم دم الشريان الأبهر البطني ..

✿ **حمى الجبال الصخرية** : و هي مرض إنتاني ..

✿ **اللسان الجغرافي** : و هنا يأخذ اللسان شكلاً فريداً يشبه خريطة العالم !!

✿ **العاصفة الثلجية** : علامة نجدها بإيكو الرحم في الرحي العدارية و في الصورة الشعاعية للرئة في التسمم بالزئبق ..



✿ **البركان** : وصف لشكل سرطان الجلد قاعدي الخلايا ..

⑤ الطب و الرياضة :

فأنامل الطب تترك لمستها على مختلف الرياضات المعروفة أيضاً ، و نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

✽ **أذن السباح** : التهاب مجرى السمع الظاهر بجراثيم بسودوموناس و يشيع عند السباحين ..

✽ **متلازمة سائقي الدراجات** : انضغاط العصب الزندي في نفق غويون و يشيع عند سائقي الدراجات ..

✽ **مرفق لاعب التنس** : التهاب اللقيمة الوحشية للعضد و تشيع عند لاعبي التنس ..

✽ **حبيبات مضرب التنس** : حبيبات تأخذ شكل مضرب التنس تحت المجهر الإلكتروني في داء كثرة الناسجات للانجرهانس ..

✽ **مرفق لاعب الغولف** : التهاب اللقيمة الأنسية للعضد و تشيع عند لاعبي الغولف ..



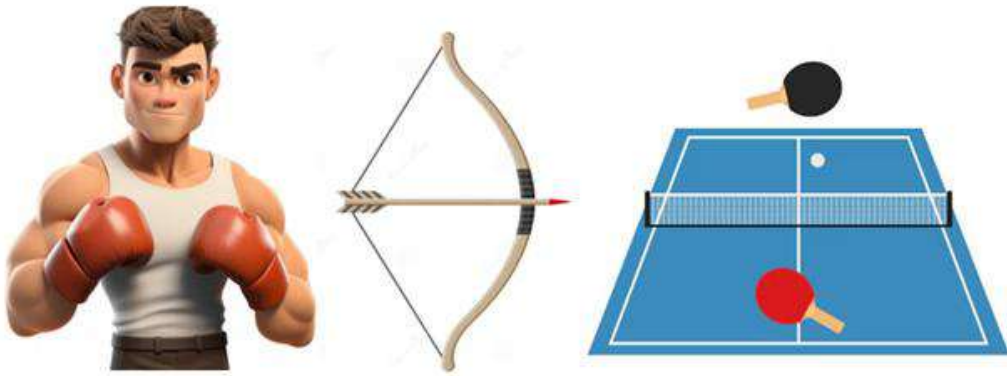
✽ **ظل القلب ككرة القدم على الصورة الشعاعية** : نشاهده في تبادل منشأ الأوعية الكبرى الخلقي للقلب ..

✿ **أمراض العدائين** : كمتلازمة الرباط الألوي
الظنبوبي و متلازمة الإجهاد الظنبوبي ..

✿ **كسر الملاكم** : كسر عنق السنع الخامس في اليد ،
يشيع عند الملاكمين ..

✿ **علامة القوس و النشاب** : في سلاميات الأصابع
عند مرضى ضخامة النهايات ..

✿ **علامة البينج بونغ** : نجدها في كسور الجمجمة ..



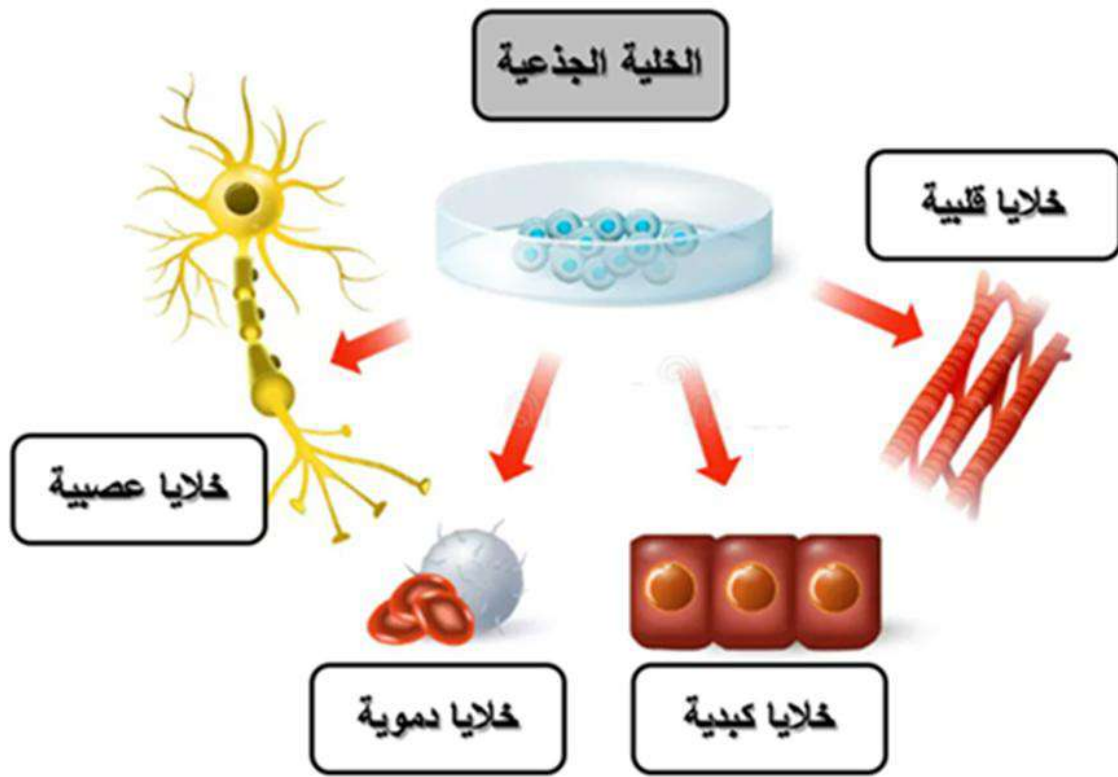
✿ **علامة الهدف** : علامة شعاعية بالإيكو تظهر في
انغلاف الأمعاء ..

⑥ **الخلية الإله** :

أغلب البشر يعتقدون أن الطب هو دواء أو جراحة ،
لكن في الحقيقة هنالك زاوية أخرى للطب يجهلها
البعض و مذهلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، إنها
الخلية عزيزي القارئ ، ماذا يمكن للخلية أن تفعل ؟
تعال لأحدثك عن **3** أقاليم في الطب ستغير وجه
البشرية :

✿ **الخلية الجذعية** : و هي خلية بشرية قادرة على التمايز إلى أي نمط خلوي و استبدال الخلايا التالفة بأخرى جديدة ..

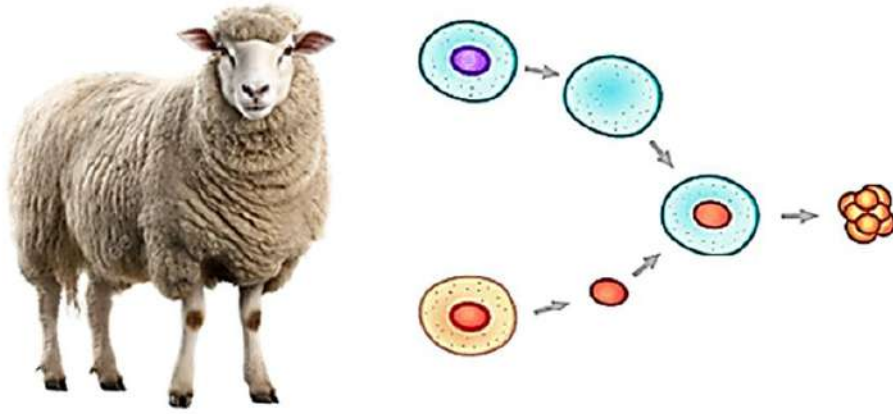
مثلاً إن تلفت خلايا في القلب أو الدماغ يمكن حقن المريض بخلايا جذعية تتكفل بإصلاح الضرر، و كما ترى بنفسك هذه ثورة علمية طبية حقيقية ..



و يمكن تأمين هذه الخلايا من خلايا الجنين الأولية أو من النسيج البالغة في الجسم فهي تحوي نسبة منها أيضاً .. و هذه التقنية ذات آفاق عملية واسعة في المستقبل .. فهي ببساطة قد تحل مشكلة المجاعات و عوز البروتين في البلدان النامية بإنتاج كميات هائلة من النسيج العضلي مثلاً ..

✿ الاستنساخ :

فيمكن أن تأخذ أي خلية جسدية كخلايا الجلد مثلاً ثم تنزع نواتها و تحقن هذه النواة في بويضة أنثوية منزوعة النواة، و مع بعض التأثيرات الإضافية تتطور هذه البويضة لتعطي نسخة طبق الأصل عن الكائن الذي استعملنا نواة خلية الجسدية .. و أشهر مثال عن هذه التقنية هو النعجة دوللي التي تم استنساخها عام **1996**

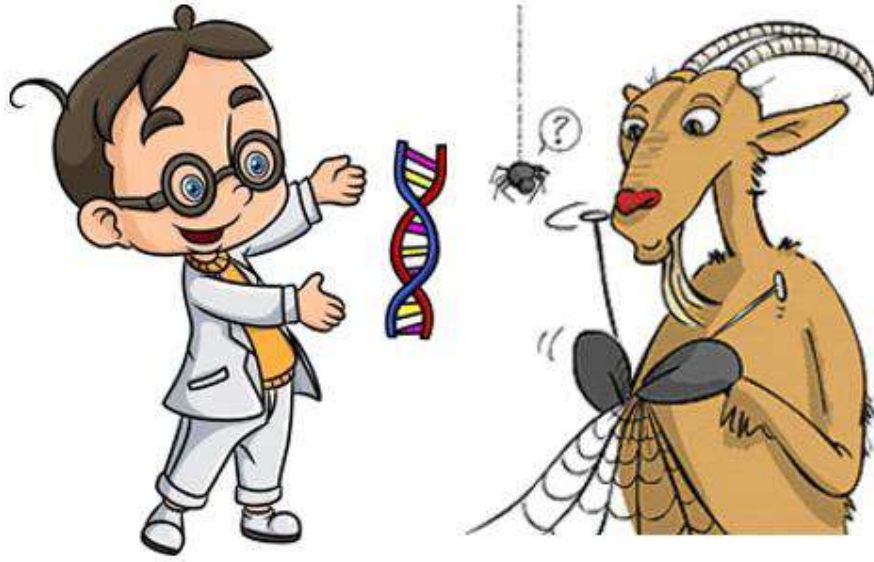


و لهذه التقنية استخدامات عديدة ، كحفظ الأنواع المهددة بالانقراض أو استنساخ الأنواع الأفضل من الحيوانات لتحسين الإنتاجية ، مثلاً استنساخ الخيول القوية و السريعة أو الأبقار ذات الحليب الغزير أو الأغنام ذات الصوف الكثير أو اللحم الزائد ..

✿ التلاعب الجيني :

حذف جينات مرضية أو استبدالها بجينات سليمة عند الإنسان مما يعالج أمراض قاتلة لا علاج دوائي أو جراحي لها .. أو إضافة جينات معينة إلى جينات

الحيوانات لمنحها صفات جسدية جديدة ، كإضافة
جينات صنع الحرير عند العنكبوت إلى جينات الماعز
فتبدأ الماعز بصنع كميات هائلة من حرير العنكبوت
الأقوى من الفولاذ 8 مرات و تصنع منه الدروع
المضادة للرصاص مثلاً ، في حين أن إنتاج غرامات
قليلة من هذا الحرير في الحالة العادية يحتاج آلاف
العناكب .. أو التلاعب الجيني عند النباتات لإنتاج
أنواع أفضل نوعية و كمية ..



و إن أردنا أن نتحدث عن الوجه الآخر للطب بعيداً عن
الألم و التعب و العجز سنحتاج إلى موسوعات للإحاطة
به .. لكنني أعتقد أنني غيرت نظرتك القديمة الجافة
للطب لتدرك أن هنالك الكثير بعيداً عن الزكام و
التهاب البلعوم !!

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشيقة (الوجه الآخر

للطب) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الطب علم جاف و محزن يتعلق فقط بالآلام و التعب
و العجز و ربما الموت ..

بل أن نقول :

= الطب عالم ممتع من الألغاز و الفن و الطرافة و
الطبيعة .. نحن فقط نجعل حقيقته لكننا إن تعمقنا في
سبر أغواره فسيذهلنا بلا شك ..

اشتهر الكاتب الفرنسي **ستندال** بإصابته بمتلازمة
نفسية سميت لاحقاً على اسمه ، فقد كان يعاني من
تسرع في ضربات قلبه بقوة ثم يغمى عليه عند رؤيته
لعمل فني مبهر كلوحة أو تمثال و غيرها .. و ربما إن
تعمقت عزيزي القارئ في علوم الطب أكثر ستكتشف
أنك مصاب بهذه المتلازمة أيضاً .. لأنني أعتقد بأنه
سيغمى عليك من هول ما ستراه ..



ترويض النفس

(فريد الخيال)

= كيف قضيت أمسيته يا صديقي ؟

= شاهدت برنامجاً وثائقياً مذهلاً ..

= عما يتحدث ؟!

= عن سبر أغوار النفس البشرية و اكتشاف الإنسان
لخفاياه النفسية كي يتحكم بها و يقودها بدلاً من أن تقوده
هي ..

= يبدو برنامجاً شيقاً ..

= بالفعل هو كذلك .. و أجمل شيء فيه هو بدايته ، فقد
شرع يتحدث عن شيء لا علاقة واضحة له بالتحليل
النفسي مما أثار حفيظتي ..

= و ما هو هذا الشيء ؟

= تحدث لعشر دقائق عن **بئر الكولا** ..

= بئر الكولا ، يا له من اسم غريب !!

= تماماً هذا ما لفت انتباهي و جذبني لاستكمال مشاهدة
البرنامج ..

= و ما هو هذا البئر ؟

= بئر الكولا مشروع علمي أجري في الاتحاد السوفيتي
لاستكشاف قشرة الأرض وهي أعمق بئر استكشافية في
العالم .. و قد بدأ الحفر عام **1970** و توقف عام

1989 مخلفاً ثقباً عمقه أكثر من **12** ألف متر أي أنه

أعمق من خندق ماريانا في المحيط الهادئ و الذي
يعتبر أعمق نقطة طبيعية على سطح الكوكب ..



= مذهل !! لكن ما علاقة ذلك البئر بجوهر البرنامج ؟
= تماماً ، هذا هو السؤال ، فقد انتقل المخرج بعقريّة
من فكرة محاولات البشر لسبر أغوار كوكب الأرض
عبر هذا البئر إلى محاولاتهم سبر أغوار النفس البشرية
و اكتشاف أسرارها ليتابع الحديث بعد ذلك عن التحليل
النفسي بإسهاب تحت عنوان بئر فرويد..



= حركة ذكية بالفعل .. لقد شوقتني لمتابعة هذا
البرنامج بنفسي ..

النفس البشرية الأمانة بالسوء ، ذلك الحصان البري

الجامح الذي يسعى الإنسان جاهداً خلال حياته إلى ترويضه حتى يصبح مطواعاً يلتزم بتوجيهاته فيقوده هو بدلاً من أن يقوده ذلك الحصان إلى الهاوية .. فهل هذا أمر قابل للتنفيذ عملياً ، أم إن الإنسان عاجز عن ترويض نفسه كلياً إذ يحكمها لاوعي مسيطر علينا على نحو مبهم كما يشاع بين الناس ؟

في الواقع الإنسان بالفعل قادر على تهذيب نفسه و ترويضها لتصبح كالعجينة بين يديه فيشكلها كما يشاء، و فكرة عجزنا عن تدجين اللاوعي في حياتنا هي مجرد مغالطة جديدة تنضم إلى عائلة مغالطاتنا .. و لإثبات بطلان هذه المغالطة سنستعين بأشهر خيال محترف في تاريخ علم النفس ، و هو عالم النفس النمساوي **سيجموند فرويد** الذي روض حصان النفس البشرية الجامح من خلال نظرياته النفسية العظيمة التي تركها وراءه كإرث هام للبشرية ، ليكون بلا شك عراب

مغالطتنا الجديدة (**ترويض النفس**) التي سنقوم خلالها بتحليل خفايا النفس البشرية و سبر أغوارها كبر الكولا حتى نصل إلى أعماق الحقيقة المنشودة فنحكم قبضتنا على لاوعينا .. و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **5** زوايا شيقة و هامة للغاية :

① نظرية الثلاث المتصارع ..

② دفاعات الأنا النفسية ..

③ تأثير الجنس على النفس ..

④ التلاعب النفسي الاجتماعي ..

⑤ أشهر اضطرابات الشخصية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة شيقة لترويض
حصان النفس البشرية البرية الجامح ..



① نظرية الثلاث المتصارع :

تقول هذه النظرية بوجود صراع دائم بين 3 عناصر
في أعماق النفس البشرية التي تشبه بنية الجبل الجليدي
تماماً :

- **الأنا :** و هي الجزء الطافي من الجبل الجليدي و يشكل تصرفات الإنسان اليومية الظاهرة للآخرين
- **الأنا العليا :** و هي الجزء الأكبر من الجبل الجليدي تحت المياه ، و تمثل الأخلاق و المبادئ السامية و تحمي الأنا من الضياع (**النور**) ..
- **الهو :** و هو الجزء المظلم الأعرق من الجبل الجليدي و يمثل الوحش القابع في أعماق الإنسان و يجسد الغرائز و الرغبات الشاذة الدفينة ، و يعمل على ضعفة الأنا و ضياعها (**الظلام**) ..



فإن انتصرت الأنا العليا على الهو في صراعهما على التأثير على الأنا ظهر النصف الأبيض المشرق من الإنسان المتمثل بالمبادئ السامية و الأخلاق الرفيعة ،

و إن انتصر الهو على الأنا العليا ظهر النصف الأسود
المظلم منه فتاه الإنسان في ظلام الخطايا ..

لذا على الإنسان في حياته اليومية أن يستشعر هذا
الصراع فيصغي إلى أناه العليا و يصم أذنيه عن
إغواءات الهو في حرب طويلة بلا أسلحة أو ضحايا
ستمند على مدى حياته أقرب ما تكون على نحو غريب
إلى حرب **335** عاماً الشهيرة بين **هولندا** و **جزر**

سيلبي الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ المملكة
المتحدة، و التي لم تطلق فيها النيران أبداً مما جعلها
أطول حرب في التاريخ وأقلها خسائر في الأرواح ، و
فهم طبيعة هذا الصراع هو أول خطوة على درب
ترويض النفس البشرية مما يقودنا إلى البند الثاني..

② دفاعات الأنا النفسية :

دفاعات الأنا إن جاز التعبير هي **تحايلات نفسية** يقوم
بها الإنسان باللاوعي لخلق توازن نفسي في أعماقه و
التي ستدهشك بلا شك عزيزي القارئ ، فلا ريب أنك
تستخدمها يومياً في حياتك الشخصية و المهنية دون أن
تدرك ذلك :

✽ **القمع (الكبت)** : محاولة دفن أو إخفاء

الأحاسيس أو الأفكار المؤلمة من وعي الإنسان ، علماً
أنّ هذه الأحاسيس أو الأفكار قد تعود لتطفو مجدداً

على السطح في ظروف معينة بطريقة ما .. و يعتبر الكبت هو الأساس أو القاعدة التي تنبع منها معظم الآليات الدفاعية الأخرى ..

مثال موضح :

طفل تعرض للتحرش الجنسي في طفولته ، يقوم بكبت هذه التجربة في لا وعيه لكنها قد تتلاعب لاحقاً بعد البلوغ بميوله الجنسية ..

✽ **التماهي (التوحد)** : و هو التقارب اللاواعي مع الأشخاص الذين يحملون نفس الأفكار..

مثال موضح :

التعاطف مع الآخرين الذين يشبهوننا في لون البشرة أو الانتماء أو الدين و غيرها و تمييزهم باللاوعي عن الآخرين بالمعاملة ..

✽ **التبرير** : و هو محاولة إيجاد سبب منطقي للسلوكيات أو الدوافع عن طريق اعطائها مبررات أو أسباب مقبولة ..

مثال موضح :

بعد رفض قبوله في الوظيفة الجديدة التي تقدم لها ، قال عباس لنفسه : إنها وظيفة تافهة بجميع الأحوال من الأفضل لي ألا أقبل فيها ..

و دفاع الأنا هذا يتقاطع مع المثل الشعبي الشهير :
(من لا يطول العنب يقول عنه حامض)



✿ **الكبح** : حيث يتم إيقاف المشاعر و الامتناع عن التعبير عنها ، لأن هذه المشاعر غير مقبولة اجتماعياً ..

مثال موضح :

عندما مرت تلك الفتاة الحسناء المثيرة بالجوار أراد
حسنّ أن يعاكسها بكلام بذيء لكن وجود الناس من
حوله لجم لسانه ..

✿ **النكوص** : وهو العودة إلى المراحل الأولى من
النمو النفسي أو البدني حيث تكون المسؤوليات أقل
والشعور بالأمان أكبر ..

مثال موضح :

بعد أن أخذ الجدّ أحفاده إلى مدينة الملاهي رآه أحد

أصدقائه و هو يركب الأرجوحة و يضحك من قلبه
كطفل و قد نسي نفسه للحظات ..



❖ **الإسقاط :** وفيه يتم نسب المشاعر غير المقبولة في
داخلنا إلى الغير، كنوع من الراحة النفسية لنا..
مثال موضح :

غضب المدير بشدة من موظفه و اتهمه بالتقصير في
عمله و أنه سبب انهيار الشركة فرفده من العمل .. و
في الحقيقة المدير هو المقصر في إدارة شركته و يريد
إسقاط تقصيره على الموظفين ..

❖ **التكوين العكسي :** وهو التصرف بعكس ما يمليه
علينا العقل اللاواعي بشكل مبالغ فيه وبصورة مفرطة
مثال موضح :

راودت شاب أفكار ماجنة بشدة فلجأ إلى الصلاة بكثرة

و بشكل مبالغ به ..



❖ **الاستبطان:** عملية أشبه ما تكون بعملية التحليل النفسي إلا أن الإنسان يجريها على نفسه بنفسه..

مثال موضح :

جلس أحمد مع نفسه يراجع سلوكه في الحفلة كي يفسر سبب تصرفاته الغريبة فيها ..

❖ **التشبه :** تقليد جهة يعتبرها الإنسان مثلاً أعلى بكل شيء ..

مثال موضح :

لجأت لجين إلى تقليد الفنانة ميسون بلباسها و شكلها و طريقة كلامها ..

✿ **التسامي** : وتعد واحدة من أكثر دفاعات الأنا
إيجابية حيث يتم فيها التعبير عن الغضب أو التوتر
بصورة مقبولة اجتماعياً ..

مثال موضح :

لجأ المراهق الذي يشعر بمشاعر غضب بداخله و نقمة
على المجتمع إلى ممارسة رياضة الملاكمة كي يفرغ
طاقته هذه بدلاً من إيذاء الآخرين ..



✿ **الفكاهة** : وهو التعبير عن الأفكار أو المشاعر
والتي عادة ما تكون ذات طبيعة مؤلمة بصورة دعابة
أو سخرية ..

مثال موضح :

لجوء الشخص الذي تعرّض لضغوط نفسية هائلة في

طفولته إلى السخرية من الآخرين باستمرار ..

✽ **التعويض:** هو محاولة الفرد النجاح في ميدان

لتعويض عجزه في ميدان آخر ..

مثال موضح :

بعد فشله في المدرسة لجأ حسان إلى الانضمام إلى
فرقة غنائية لاستغلال موهبته في الغناء ..

✽ **الإيثار:** وهو الخدمة البناءة للآخرين والتي تجلب
السعادة والإشباع النفسي لتعويض إثم مستبطن نرتكبه.

مثال موضح :

قيام زعيم المافيا بإنشاء جمعية خيرية لمساعدة الفقراء



✽ **التثبيت:** هو توقف نمو الشخصية عند مرحلة من

النمو ..

مثال موضح :

رغم بلوغ بلال عامه العشرين ، لا يزال والداه يساعده على إنجاز مهامه اليومية ..

✽ العدوان المنفعل : رد الفعل على فعل سلبي

بطريقة غير مباشرة ..

مثال موضح :

لجأ الموظف الذي وبخه مديره بالأمس بشدة إلى التأخر عن دوامه في صباح اليوم التالي كرد فعل على توبيخه

✽ الإنكار : التعامل مع الأمور السيئة التي تحدث و

كأنها لم تحدث ..

مثال موضح :

بعد وفاة زوجته المفاجئة بحادث سير ، تابع الزوج روتينه اليومي كالمعتاد و شعر الآخرون بأنه يتجاهل وفاة زوجته ، لكنه في الحقيقة يحاول إنكار موتها ..

✽ أحلام اليقظة: اللجوء إلى عالم الحلم و الخيال

لعيش واقع غير ممكن حالياً ..

مثال موضح :

كانت سيلين تسرح بخيالها باستمرار عن زوجها المستقبلي الذي سيؤمن لها كل شيء تحبه .. فترسم

تفاصيل السنوات القادمة بإسهاب و كأنها ستحدث بشكل
مؤكد !!



❖ **الإزاحة** : تكوين رد فعل تجاه جهة ما ضد جهة

أخرى ..

مثال موضح :

قام الموظف الذي وبخه مديره في العمل بتوبيخ زوجته
في المنزل دون سبب .. أي أنه أزاح غضبه من مديره
إلى زوجته ..

❖ **الانقسام** : تقسيم كل شيء في الحياة إلى نقيضين

مثال موضح :

بعد خروجها من المشفى قالت بتول بأن جميع الأطباء هناك سيئون و جميع الممرضين جيّدون ..



هذه هي أشهر دفاعات الأنا النفسية ، و لا شك عزيزي القارئ أنك أصبحت الآن متمرساً في فهم أفعالك أو أفعال الآخرين غير الواعية بتحليلها نفسياً ، فإن عاد زوجك من العمل عزيزتي القارئة و صرخ في وجهك بدون سبب يمكنك ببساطة أن تفهمي أنه تعرض للتوبيخ من قبل مديره في العمل أو شخص آخر خارج المنزل و يقوم بإزاحة مشاعره لا أكثر .. لذا امتصّي غضبه و ساعديه على التفريغ عن مشاعره السلبية كي يرتاح بشكل واعي ..

③ تأثير الجنس على النفس :

إنّ الغريزة الجنسية تؤثر على مشاعرنا و أفكارنا و

أفعالنا باللاوعي ، و هذه النظرية تبناها فرويد كأول شخص و آمن بها ، إذ يقول فرويد بأن الغريزة الجنسية التي تبدأ براعمها بالتفتح عند الطفل بين عمر 3 و 5 سنوات بظهور **عقدة أوديب** عند الذكر (انجذابه لأمه) و **عقدة إلكترا** عند الأنثى (انجذابها لأبيها) سترسم ملامح الحياة المستقبلية للطفل في كافة نواحيها .. و يقول فرويد أنّ انجذابنا لمهن محددة أو هوايات معينة أو أشخاص دون سواهم بل إلى أماكن دون غيرها يعود كله إلى جذور جنسية في طفولتنا .. و يؤمن فرويد أن الجنس يتحكم بتفاصيل حياة الإنسان كلها ، في حين نجد تلميذه **كارل يونج** يخالفه الرأي في هذه النقطة و يقول بأنّ **عقد النقص** هي من يتحكم بحيوات البشر .. و من وجهة نظر شخصية متواضعة فأنا أميل لتأييد فرويد أكثر ، بل أزيد على كلامه بأن الكون برمته **مخلوق وفق نظرية جنسية** .. فالجنس في الحياة مقدس سماوياً كونه الوسيلة التي يأتي بها البشر إلى هذه الحياة .. لذا لا عجب أن نجده في كل شيء من حولنا في الطبيعة ، فالجبل يشبه العضو الذكري و الوادي يشبه العضو الأنثوي ، و الشمس المانحة تعبر عن الذكر و القمر المستقبل يعبر عن الأنثى ، و الغيوم المعطاءة تمثل الذكر أيضاً و الأرض المتلقية تمثل الأنثى و هكذا .. فالجنس باختصار يحكم حيوات البشر باللاوعي بالفعل !!

④ التلاعب النفسي الاجتماعي :

هو نوع من التأثير على الجماعة يهدف إلى تغيير أفكار أو سلوك الآخرين من خلال تكتيكات مسيئة أو خادعة أو خفية لتحقيق غايات الشخص المتحكم وغالباً على حساب الآخرين .. لذا يمكن اعتبار مثل هذه الأساليب استغلالية و ملتوية تتعامل مع البشر كأحجار على رقعة شطرنج تحركها كما تشاء لتحقيق غاياتها ..



لكن من العدل أن ننوه إلى أنّ تأثيرات التلاعب النفسي الاجتماعية ليست سلبية دائماً ، كأن يحاول الطبيب إقناع المرضى بتغيير العادات غير الصحية بحيل نفسية ، و بالمجمل يمكن اعتبار التأثير الاجتماعي للتلاعب النفسي غير مؤذٍ بشكل عام في حال احترامه لحق الشخص المتلاعب به في القبول أو الرفض و تجنب الأساليب التعسفية التي تفرض عليه ، و يشيع التلاعب

النفسي في **السياسة** و **الإعلان** بشكل خاص ، حيث تلجأ جهات معينة إلى التلاعب بنفوس الجمهور من خلال حيل نفسية معينة كحال المرشح السياسي الذي يُشعر الناس بأن مصيرهم الضياع إذا لم ينتخبوه و أنّ أبواب الجنان و النعيم ستفتح أمامهم إن انتخبوه.. أو الشركة التي تروج لحبوب تنحيف الوزن فتظهر فتاة بدينة للغاية تحولت إلى نحيلة بعد استخدام الحبوب علماً أن هذه الفتاة كانت بدينة تنكرياً فحسب !!

⑤ أشهر اضطرابات الشخصية :

اضطرابات الشخصية شائعة للغاية في البشر من حولنا ، و إن تعرفنا عليها أكثر بتنا قادرين على تمييزها في الناس الذين نحتك بهم مما يساعدنا على تنظيم علاقتنا بهم على نحو أعمق و أفضل .. و أشهر هذه الاضطرابات هي :

✧ **الشخصية الفصامانية** : و تتميز بالانسحاب

الاجتماعي الإرادي و قلة التعبير العاطفي ..

✧ **الشخصية فصامية النمط** : و تتميز بالمظهر غير

الطبيعي من حيث اللبس و الحركات مع وجود أفكار سحرية و غريبة و كثيراً ما ترتبط بالفضائيين و الماورائيات ..

✿ الشخصية المعادية للمجتمع : و تتميز باحتقار

حقوق الآخرين و خرق الأعراف و التقاليد مع ميول إجرامية كثيراً ما يتم التعبير عنها بحرق المرافق العامة و أذية الحيوانات ..

✿ الشخصية الحدية : و تتميز بعلاقات اجتماعية

مؤقتة مع إيذاء الذات و الميول الانتحارية و أيضاً الفراغ العاطفي .. يميل هؤلاء إلى الحدية في قناعاتهم و مواقفهم، فالأشخاص و الأشياء عندهم إما أبيض أو أسود و تغيب الألوان و تدرجاتها من قاموسهم ..

✿ الشخصية الهستيرية : و تتميز بالسعي لكسب

التعاطف و الاهتمام كالتظاهر بالمرض و استخدام الكلام الدرامي الذي يستدر التعاطف ، إضافةً إلى الأفعال المسرحية كالتظاهر بالإغماء ..

✿ الشخصية النرجسية : و تتميز بالشعور العظيمة و

تكثر من تمجيد الذات و الإطراء على الإنجازات الشخصية ، كما أنها مغرمة بمديح الآخرين لها و تكره النقد كثيراً ، و مفعمة بالغيرة من الآخرين و إنجازاتهم ..

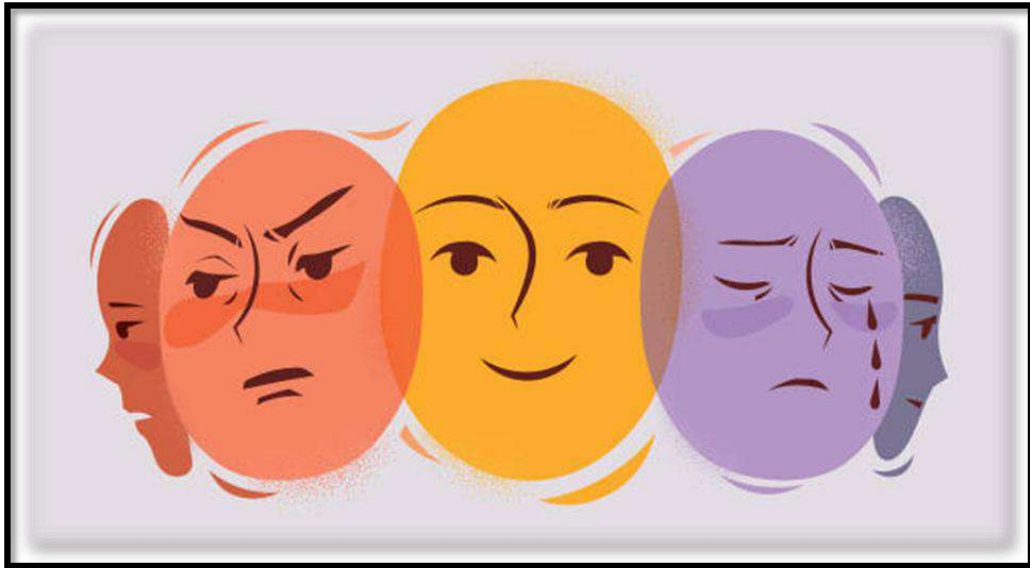
✿ الشخصية التجنبية : و تتميز بالانسحاب

الاجتماعي بسبب الخوف من النقد أو الرفض من قبل

الآخرين رغم الرغبة بعيش حياة اجتماعية طبيعية ..

✿ **الشخصية الوسواسية القسرية:** و تتميز بالسعي للكمال و السيطرة على كل شيء و التحكم بالآخرين ، و قد تعاني من بعض الأعراض الوسواسية القسرية فتهم مثلاً بترتيب الأشياء بنمط معين أو غير ذلك ..

✿ **الشخصية الاعتمادية:** و تتميز بضعف الثقة بالنفس و الحاجة الدائمة للدعم من قبل الآخرين ..



و بالمحصلة عزيزي القارئ احترس مما يجري داخلك من صراع بين عناصر الثلاث (الأنا و الأنا العليا و الهو) ، و مما يحدث كتفاعل بينك و بين المحيط عبر دفاعات الأنا التي يستخدمها لاوعيك ، و من تأثير غريزتك الجنسية على سلوكك و حياتك بالمجمل ، و من تلاعب الآخرين نفسياً بك لاستغلالك و استنزاف طاقتك لأجلهم .. و أخيراً من الناس الذين يعانون من

اضطرابات شخصية في محيطك كي تتجنب أذاهم..

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**ترويض النفس**)
من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= النفس الأمانة بالسوء تحكمني و تقودني ، و لا سبيل
أمامي للسيطرة عليها ..
بل أن نقول :

= للنفس خفايا و أعماق جلّاها علم النفس ، و بإمكاننا
ببساطة إن اطلعنا قليلاً على آليه تحكم اللاوعي بنا أن
نروّض أنفسنا و نقودنا و ليس العكس ، و لنا في الخيال
فرويد عزّاب التحليل النفسي أسوة حسنة في هذا المجال

و أتركك يا صديقي أخيراً مع هذه **الحيل النفسية**
البسيطة التي تعبد طريقك إلى قلوب الآخرين فتكتسب
محبتهم و ثقتهم بطريقة أشبه بالسحر :

① **الاقتران العيني** : عندما تتحدث مع شخص ما

ثبت نظرك على عينيه .. و في الحقيقة قام العلماء
بالقيام بتجربة بسيطة بوضع شخصين من جنسين
مختلفين في غرفة و جعلوهم يتكلمون مع بعضهما
لبعض الوقت و طلبوا منهما التركيز على عيون

الشريك الآخر ، و كانت النتيجة أن **80 %** منهم
وقعوا في حبّ بعضهم !!

② **نظرية المرأة :** وهي أن تقوم بتقليد حركات معينة

يعتمدها الطرف الآخر كحركات اليد او النقر بالأصابع
أي احفظ حركات هذا الشخص و قم باستخدامها ، هذا
سيجعل عقله اللاواعي أو الباطن يظن أنك تشبهه
فيشعر بالتماهي و الانسجام معك ، لأن الناس بشكل
عام تكره من يختلف عنهم و يشعرون بالتهديد منه ..

③ **الابتسامة الثابتة :** فالابتسامة تذيب الجليد بينك و

بين الآخرين و تعطي عنك انطباعاً بأنك لطيف و مسالم
و تمنح الآخرين شعوراً بالراحة و الإيجابية و تزرع
محبتك في قلوبهم ..

④ **نظرية الحزن الدافئ :** عليك إشعار الطرف

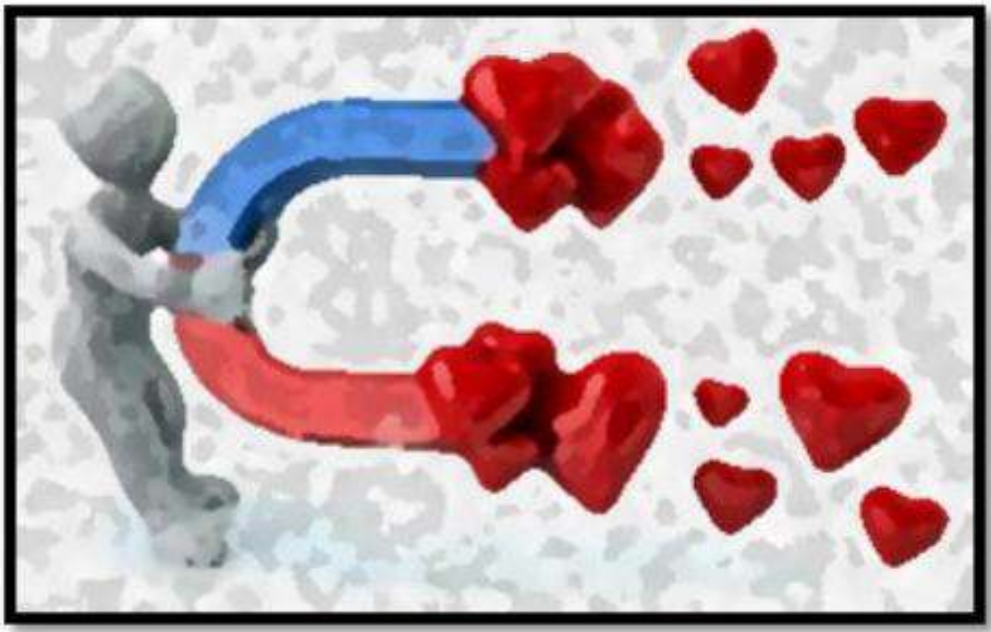
الآخر أنك ملاذ آمن له يدعمه في ضعفه و يتفهم شكواه
، و ذلك بالإصغاء الجيد له و تكرار الإيماءة برأسك
أثناء حديثه و استعمال عبارة (أنا أفهمك) من حين
لآخر و استخدام لغة الجسد المعززة كالربت على كتفه
مثلاً .. و بالطبع الإطاراء عليه من أونة لأخرى ..

⑤ **نظرية البئر العميق :** بدأنا مغالطتنا ببئر الكولا

العميق و نخمها ببئر عميق آخر ، و هذه النظرية تنص

على قيامك بالبوح ببعض أسرارك غير الحساسة
للطرف الآخر ، فذلك يشعره بأنه مهم بالنسبة لك ، و
بأنك تعتبره مصدر ثقة مما يزيد ثقته بك بشكل
انعكاسي و يعتبرك بئر أسرار ه فتتفاقم محبته لك ..

أنجز هذا الخماسي بإتقان و أنا أضمن لك اكتساب
محبة أي شخص من حولك خلال فترة قياسية !!..

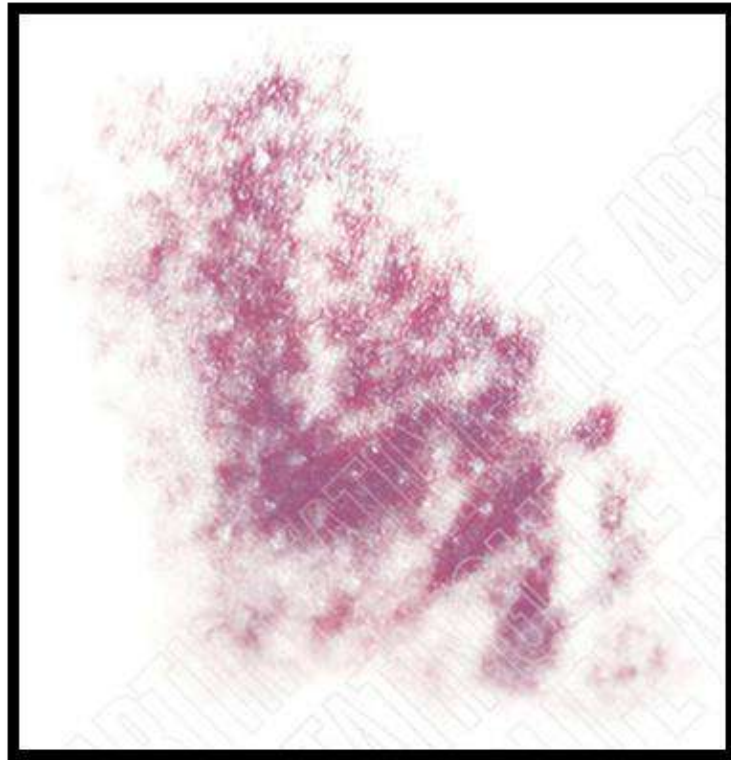


مخالطة بيكاسو
الأمراض
الطب بالألوان (

= باعتبارك طبيب يا صديقي ، أريد سؤالك عن سبب
تغير لون هذه الكدمة في ساقي بعد اصطدامها بالباب
من الأحمر إلى البنفسجي ، هل هذا طبيعي ؟

= بالطبع طبيعي .. و سيتغير لونها مجدداً عدة مرات
= و لماذا يحدث ذلك ؟

= لأن الكدمة عندما تتشكل تكون عبارة عن دم غني
بالأكسجين بلونه الأحمر المعتاد ، و بعد يومين تقل
نسبة الأوكسجين فيه فيتحول إلى اللون البنفسجي
فالأزرق ..



= و بعد ذلك ؟

= بعدها يتحلل هيموغلوبين الدم (الخضاب) إلى
مركب بيلفيردين الأخضر فيصبح لون الكدمة أخضر ..

ثم يتحول هذا المركب إلى مركب البيلروبين الأصفر
البنّي فيتحوّل لون الكدمة إلى اللون الأصفر فالبنّي .. و
أخيراً يتم امتصاص كل المركبات في الكدمة و تتماثل
للشفاء ليعود لون الجلد إلى الطبيعي ..



= و كأنّ بيكاسو يرسم لوحة فريدة على الجلد بألوانه
الزاهية .. أنت تجعل من الرضّ عمل فني جميل !!
ضحك الصديق ..

= تماماً ، في الحقيقة الكدمات ليست الحالة الطبية
الوحيدة التي تتناوب فيها الألوان بمظهر فني مبهر ، بل
هنالك حالات أخرى كثيرة ..
= حقاً!! مثل ماذا ؟

= تعال لأحدثك أكثر عن اللوحات الفنية المبهرة التي
ترسمها الأمراض على لوحة الجسد البشري ..

سبق لنا أن قاربنا الطب في مغالطتين حتى الآن ، و حاولنا من خلالهما إثبات أن الطب ليس علماً جافاً و مضجراً مرتبط بالآلام و العذاب فقط ، بل هنالك جانب شيق و ممتع منه قد يجهله كثيرون في مغالطة حقيقية شائعة بين الناس ، و كانت المغالطتان بعنوان :

● الوجه الآخر للطب ..

● السرطان ..

و خلال الصفحات التالية سنتابع مهمتنا هذه في إثبات أن الطب علم شيق بأن نتطرق إلى حالات مميزة يتحول فيها الجسد البشري إلى لوحات ترسم عليها الأمراض أجمل الأعمال الفنية .. فأمسك عزيزي القارئ فرشاةك و هيا بنا في مغامرة طبية فنية ممتعة ..

① لوحة صلبة العين :

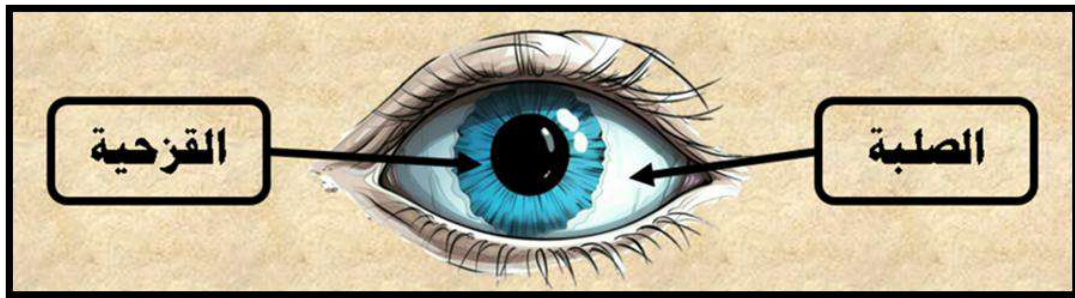
صلبة العين هي الجزء الأبيض منها الذي يحيط بالقزحية الملونة ، و بعيداً عن أن القزحية بحد ذاتها هي لوحة فنية مبهرة فنجدها زرقاء أو سوداء أو بنية أو خضراء أو عسلية .. فإن صلبة العين البيضاء بدورها قد تصبح لوحة فنية في بعض الأمراض فتتلون بألوان غريبة ..

✽ **الصلبة الصفراء :** و نجدها في حالة اليرقان الناجم

عن انحلال الدم أو أمراض الكبد حيث يتراكم مركب
البيلروبين الأصفر في الجلد و صلابة العين و يمنحهما
اللون الأصفر ..

✽ **الصلبة الزرقاء** : و نجدها في مرض يدعى تكون
العظم الناقص و تكون فيه العظام هشة و سهلة الكسر
من أبسط الرضوض ..

✽ **الصلبة السوداء** : و نجدها في مرض يدعى بيلة
الألكابتون الناجم عن عوز أنزيم في الجسم فتتراكم مواد
سوداء في الصلبة و صيوان الأذن و تمنحهما اللون
الأسود ..



② **لوحة الجلد** :

بعيداً عن تنوع لون بشرة الجلد بين البشر و الأعراق
من أسود و خلاسي و أسمر و حنطي و أبيض و أصفر
و أحمر .. فإن الجلد قد يتلون بألوان إضافية بحسب
الأمراض التي تصيبه فنجد مثلاً :

✽ **الجلد الأصفر** : في اليرقان مجدداً سواء بانحلال
الدم أو في أمراض الكبد ..

✳️ **الجلد البرونزي** : في داء الصباغ الدموي الذي يترسب فيه الحديد في الجلد و الأحشاء ..

✳️ **آفات جلدية حمراء** : كالإكزيما و الحمرة و الحمamy ..

✳️ **آفات جلدية بنفسجية** : كالحزاز المسطح ..

✳️ **آفات جلدية بيضاء** : كالصداف ..

✳️ **آفات جلدية عسلية ذهبية** : كالقوباء ..

✳️ **آفات جلدية سوداء** : كالسعات الفطرية السوداء ..

✳️ **آفات جلدية بنية** : كالوحمات ..



③ **لوحة بولية** :

البول في العادة سائل أصفر اللون ، لكنه قد يتلون بألوان مختلفة في بعض الأمراض ، فمثلاً نجد :

✳️ **البول الأحمر** : في البيلة الدموية بسبب الأورام أو الحصيات البولية أو تناول الأطعمة الصبغية كالشوندر

✳️ **البول البرتقالي** : عند تعاطي دواء ريفامبيسين
لعلاج السل ..

✳️ **البول الأسود** : في مرض بيلة الألكابتون الناجم عن
عوز أنزيم في الجسم ..

✳️ **البول الأخضر** : في بعض الانتانات البولية أو
تعاطي دواء إندوميتاسين أو بروبوفول ..

✳️ **البول الأزرق** : في مرض بيلة الكلس العائلية ..

✳️ **البول بلون الشاي** : في انحلال الدم ..



④ لوحة هضمية :

البراز في العادة يأخذ اللون البني ، لكنه قد يتلون بألوان
مختلفة في بعض الحالات المرضية ، فنجد مثلاً :

✳️ **البراز الأحمر** : في النزف الهضمي السفلي كما في
البواسير النازفة أو سرطان الكولون ..

✳️ **البراز الأسود** : في النزف الهضمي العلوي كما في
نزف القرحة المعدية أو العفجية ..

✳️ **البراز الأبيض** : في انسداد الأقنية الصفراوية ..

و لا ننس أن نوعية الأطعمة التي نأكلها تصبغ البراز
بألوان مختلفة أيضاً ..

⑤ لوحة بصرية :

في الحالة الطبيعية يرى الإنسان المحيط من حوله
بألوانه المتنوعة الحقيقية ، لكن هنالك حالات مرضية
تتغير فيها هذه القاعدة فيرى الإنسان كل شيء بلون
واحد كما في تعاطي بعض الأدوية :

✿ الرؤية الزرقاء : عند تعاطي دواء سيلدينافيل
(فياغرا) الخافض للضغط و المقوي الجنسي ..

✿ الرؤية الصفراء : عند تعاطي دواء ديجوكسين
المقوي للقلب ..

و لا ننس أيضاً مرض عمى الألوان التي يعجز فيه
المريض عن رؤية ألوان محددة ..

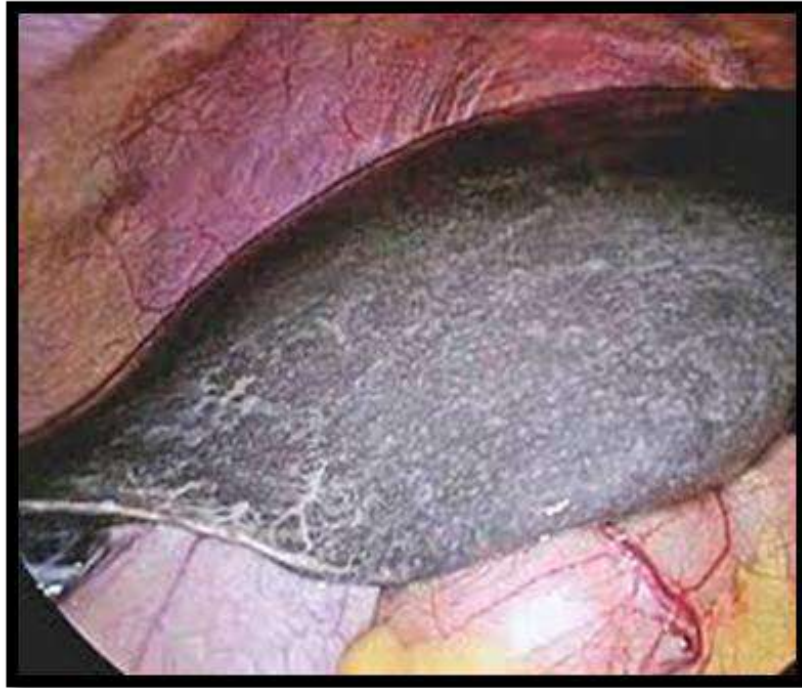


⑥ لوحات جسدية متفرقة:

أعضاء الجسم و مفرزاته تأخذ عادة ألوان محددة معروفة ، لكننا نجد تغيراً هذه الألوان في حالات مرضية كثيرة فنجد مثلاً :

✽ **الدمع البرتقالي:** عند تعاطي دواء السلّ ريفامبيسين

✽ **الكبد الأسود :** في مرض دوين جونسن الناتج عن عوز أنزيم معين في الكبد فيتراكم الصباغ فيه ..



✽ **الأسنان الزرقاء :** في التسمم بالرصاص أو بدواء تتراسيكلين ..

✽ **البنكرياس البرونزية :** في داء الصباغ الدموي الذي يترسب فيه الحديد في البنكرياس و القلب و الكبد ..

✽ **الطفل الرمادي :** عند تعاطي الأم أو الرضيع

لدواء كلورأمفينيكول ..

✽ **عينان بلونين مختلفين** : في مرض هيتروكروميا
فنجذ عين سوداء و أخرى زرقاء عند نفس الشخص
مثلاً !!



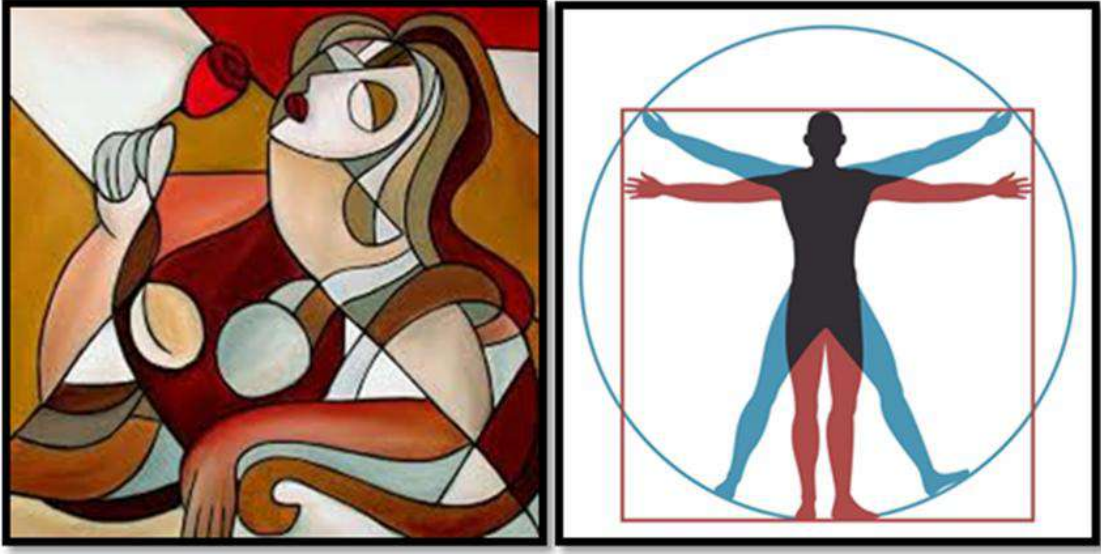
✽ **مرض المهق** : و فيه يغيب صباغ الميلانين في
الجلد و الشعر و قزحية العين فتظهر كلها بلون أبيض
باهت ..

✽ **الظفر الأخضر** : و نجده في الإنتان بجراثيم
البسودوموناس ..

⑦ **الفن التكعيبي في الجسد البشري** :

اشتهر الرسام الإسباني **بابلو بيكاسو** بالفن التكعيبي
الذي يرسم الأشياء على هيئة أشكال هندسية ، و لعل
أجمل لوحة تكعيبية في الكون هي الجسد البشري نفسه
الذي تتحد فيه كل الأشكال الهندسية مع بعضها في
لوحة واحدة مذهلة ، فنجذ الأطراف و الأصابع
الأسطوانية ، و القلب و المثانة المخروطيين ، و العين

و الرأس الكرويين ، و الخصية و المبيض البيضويين ،
و غدة الكظر و الرئة الهرميتين ، و القزحية الدائرية
و الأظافر شبه المنحرفة و راحة اليد المربعة و أخمص
القدم المستطيل و الأنف المثلثي ، و الأوعية الدموية
الأنبوبية و صيوان الأذن الحلزوني و غيرها .. كما نجد
التناظر بادٍ في اللوحة بشكل فريد لا تشوبه شائبة ..



⑧ ألوان الجسد الزاهية :

في لوحة الجسد البشري استخدم الفنان الأعظم في
الكونين الأكبر و الأصغر (الله) كل الألوان التي
تخطر في خيالك فنجد الدماء و العضلات الحمراء ، و
غدة الكظر البرتقالية ، و النسيج الشحمي الأصفر ، و
المادة البيضاء و الرمادية للجهاز العصبي ، و الحدقة
السوداء و النوى القاعدية السوداء للدماغ ، و القزحية و
الشعر و الجلد التي يختلف لونها من إنسان إلى آخر ، و
نجد اللف الأخضر و الأوردة الزرقاء ، و الكبد و

الكليتين و الشامات البنية ، و الأعضاء التناسلية
الزهرية ، و غيرها و غيرها ..



⑨ العلاج بالألوان :

بدأ الاهتمام بالعلاج بالألوان عندما وضع **ابن سينا** أهمية الألوان في التشخيص والعلاج في كتاب القانون في الطب، إذ قال أن الألوان قد تعكس أعراض بعض الحالات الصحية، ثم وضع المعالجون في القرن **19** أن الفلاتر الزجاجية الملونة قادرة على معالجة العديد من الأمراض تأكيداً لكلام ابن سينا .. ثم جاء بعد ذلك مصطلح البيولوجيا الضوئية ليحل محل مصطلح العلاج بالألوان، ليوضح أن البيولوجيا الضوئية والعلاج

بالضوء لا يقومان على أساس الرمزية والسحر، بل هو علم قائم بحد ذاته يستخدم ضوءاً عالي الكثافة لعلاج بعض اضطرابات النوم، و اضطرابات المزاج.

تتمتع الألوان بصفات نفسية مختلفة، فتُعد الألوان الدافئة مثل: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر ألواناً مزوّدة بالطاقة، في حين تعتبر الألوان الباردة مثل: الأزرق، والنيلي، والبنفسجي ألواناً مهدئة.. ويقع **اللون الأخضر** في المنتصف ليُعد اللون الموازن بين الألوان الدافئة والباردة.. وسنوضح في ما يلي دور الألوان المختلفة في علاج الحالات المرضية :

✽ **النيلي** : مفيد لعلاج أمراض العينين والأذنين والأنف ..

✽ **البرتقالي**: يفيد في علاج الاكتئاب وهو منشط عام ، و مضاد للإحساس بالهبوط ، الفتور والنعاس و الاضطهاد و اليأس، و كافة المشاعر السوداوية.

✽ **الأسود**: يحرض على النعاس و النوم لمرضى الأرق ..

✽ **البنفسجي**: يقوي عضلة القلب وينظم حركة الحجاب الحاجز ..

✽ **الأحمر**: كونه لون الطاقة والحيوية ، فإنه يرتبط بالدورة الدموية والتنفس، يساعد في تنظيم ضغط الدم

ويحافظ على صحة القلب ونشاطه.

✽ **الأزرق:** لون الهدوء و الاسترخاء و السلام، يساعد في تخفيف الحمى والبرد والسعال والصداع..

✽ **الأصفر:** يشير اللون الأصفر إلى السطوع ويقوي الجهاز الهضمي والتمثيل الغذائي ..

✽ **الأخضر:** أكثر الألوان تأثيراً على الجهاز العصبي يفيد في حالات توتر الأعصاب و لتسكين الآلام ..

بالطبع العلاج بالألوان غير مثبت علمياً بل علم قائم على التجربة و التسجيل لا أكثر بدون براهين واضحة لكن من المناسب الإشارة إليه في سياق مغالطتنا !!



في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الطبية الفنية
(**بيكاسو الأمراض**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الطب مضجر و بلون واحد قائم من معاناة و ألم و
مرض و موت ..

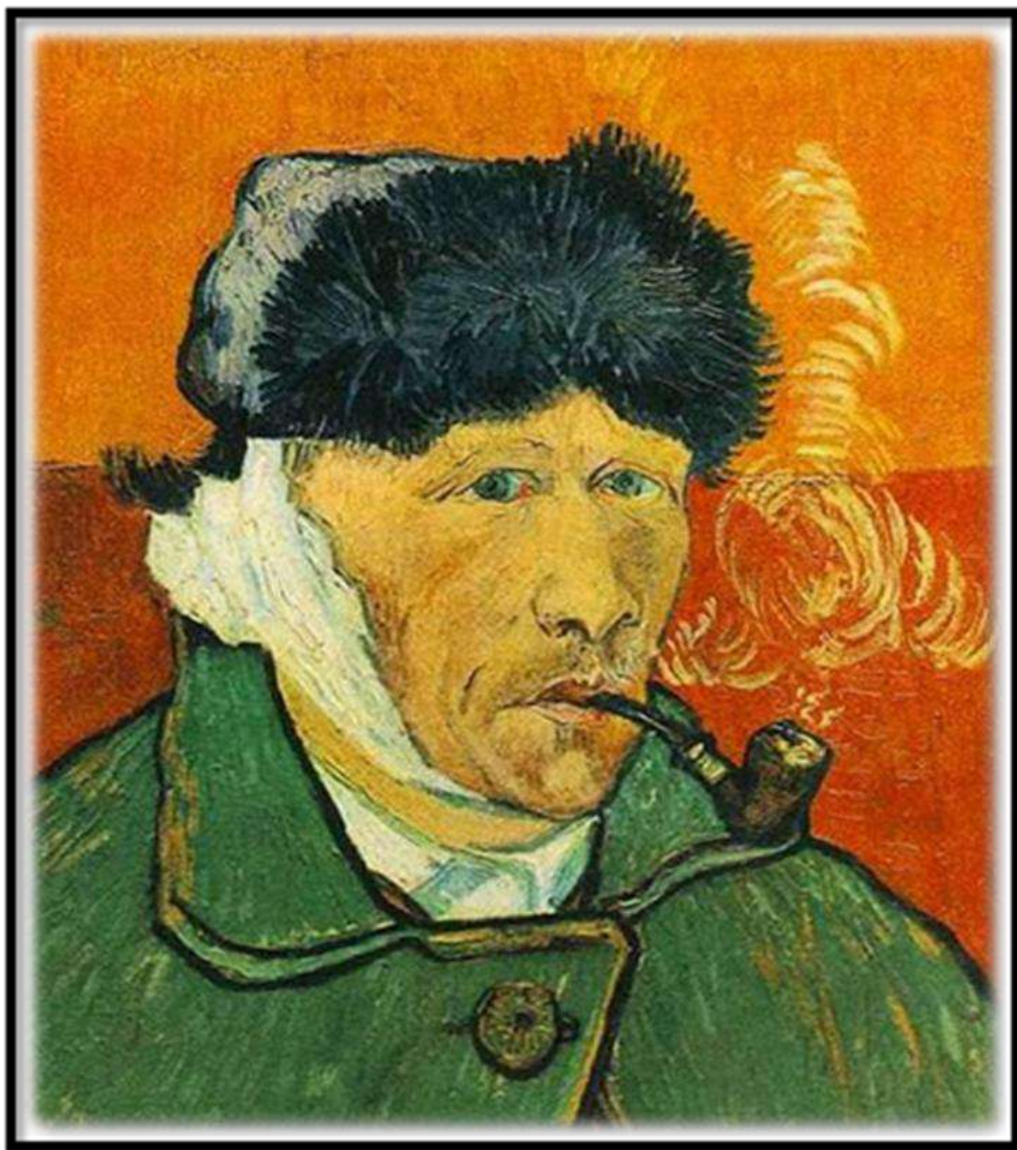
بل أن نقول :

= الطب علم ممتع و شيق و مزدان بألوان الطيف كلها
، و الجسد البشري أعظم لوحة فنية رسمت في التاريخ
بيد فنان لا يشق له غبار ..

الطب و الفن عالمان متصلان بقوة ، لذا لا عجب أن
نجد كثيراً من الرسامين اهتموا بتشريح الجسد البشري
و عالمه الساحر كحال **ليوناردو دافنشي** ، كما لا عجب
أن نجد أن كثيراً منهم عانى من حالات مرضية أثرت
على أعماله الفنية كحال **فان كوخ** الذي كان يعاني من
الرؤية الصفراء جعلت اللون الأصفر طاغ على لوحاته
، كما عانى من مشاكل نفسية جعلته يقطع أذنه و
يرسلها إلى محبوبته ..

أو **سلفادور دالي** الذي عانى من اضطرابات نفسية
عميقة ظهرت في أعماله بسريالية مذهلة و **بيكاسو**
الذي كما أسلفنا استشعر الفن التكعيبي في الجسد
البشري فحوّله إلى أسلوب رسم قائم بحد ذاته و غيرهم
كثير كثير ، و أمل أن تكون هذه المغالطة قد ألفت

بظلال فنية شاعرية على رؤيتك للطب و أمراضه و
تشريحه ..



شَقِّصْ حَرْفَكَ بِنَفْسِكَ

(مَنْ الْعَرِضُ تَعْرِفُ الْمَرِضُ)

= كيف حالك يا صديقي ؟

= نشكر الله و نحمده على كل حال .. أعاني من ألم في
البطن منذ أمس .. لذلك اتصلت بك و طلبت منك
المجيء .. فأنت طبيب و يمكنك مساعدتي على
التشخيص ..

= بالطبع ، أنا في خدمتك .. أين يقع الألم أولاً ؟

= قلت لك في البطن ..

= فهمت ، لكن اين بالضبط أعلى ، وسط ، اسفل ؟
= في الخصرة ..

= و هل هو ألم مستمر أم يأتي و يذهب ؟

= يأتي و يذهب ..

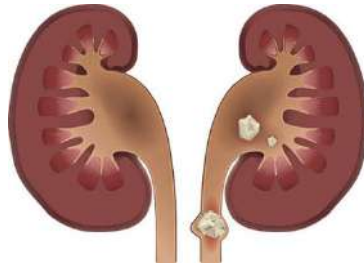
= هل ينتشر الألم إلى أي مكان آخر ؟

= أجل إلى الأعضاء التناسلية ..

= و هل هنالك دم في البول ؟

= نعم ، لونه أحمر قليلاً ..

= إذن فالتشخيص واضح .. أنت تعاني من حصيات
بولية في الحالب و ألمك هذا يدعى القولنج الكلوي ..



= هكذا ببساطة ، تشخص بدون صور أو تحاليل ..
= بالطبع .. الصور و التحاليل تؤكد التشخيص البدئي
لا تشخص بنفسها ..
= من حظي الجيد أن صديقي طبيب ..
= في الحقيقة تشخيص أغلب الأمراض لا يحتاج إلى
طبيب ، بل يمكن لأي إنسان أن ينجزه ..
= مستحيل !!؟

= بل واقع حقيقي .. الآن عليك الذهاب إلى المشفى
كي يعالجوا ألمك و يحددوا مكان الحصيات بدقة و
بعدها سأهديك كتيباً صغيراً ، يساعد أي إنسان على
تشخيص

أغلب الأمراض بمنتهى البساطة ..
= شوقتني على قراءته بالفعل .. أشكرك على مساعدتك
و دعمك .. هيا بنا إلى المشفى إذن ..

اسأل مجرب و لا تسأل طبيب ..

عبارة شائعة في كل المجتمعات و نعرفها جميعاً ، و في
الحقيقة هي تنطوي على صحّة و واقعية لأبعد الحدود
.. فتشخيص الأمراض ليس حكراً على الأطباء فقط كما
هو سائد بين الناس كمغالطة جديدة تستحق أن نقاربها

بشدة .. بل يمكن لأي إنسان لديه خبرة مقبولة و معلومات جيدة أن يشخص الأمراض - الشائعة منها على الأقل - بحيث يساعد المريض على التوجه نحو الخطوة الثانية المثالية التي تنفعه.

و خلال الصفحات التالية سنتعرف سوياً عزيزي القارئ على طريقة بسيطة لتشخيص أشيع الأمراض بناءً على الأعراض التي يشتكي منها المريض لا غير ، فهيا بنا في هذه المغامرة الطبية الشيقة ..

❁ **الصداع :**

- **صداع توتري :** إذا كان على شكل رباط ضاغط على محيط الرأس و مترافق مع التوتر و الإجهاد الجسدي أو النفسي ..
- **صداع ارتفاع توتر شرياني :** إذا تركز في مؤخرة الرأس ..
- **صداع الشقيقة :** إذا كان نابضاً في نصف الرأس فقط مع غثيان و انزعاج من الصوت و الضوء ..
- **الصداع العنقودي :** إذا تركز في عين واحدة و ترافق مع سيلان دمع من العين و منخر الأنف ..
- **صداع النزف تحت العنكبوتي :** صداع مفاجئ داخل الرأس يوصف بأنه اقوى صداع ممكن ان يجربه

الإنسان في حياته ..

● صداع ارتفاع الضغط داخل الجمجمة : إذا ترافق الصداع مع اقياء & اضطراب في الرؤية المحيطية & ارتفاع توتر شرياني & تباطؤ نبض القلب & تنفس غير منتظم ..



✿ **الألم الصدري :**

● **قلبي المنشأ ←**

= نقص تروية قلبية : ألم ضاغط على الصدر ينتشر إلى

الفك و الذراع الأيسر مع غثيان ..

= التهاب تامور : ألم في موضع القلب يزداد بالاستلقاء

و يخف بالجلوس و الانحناء إلى الأمام ..



● هضمي المنشأ ←

= قلس معدي مريئي : شعور بالحرقة عند الاستلقاء ..
= تشنج مري منتشر : ألم صدري ضاغط مترافق مع
عسرة بلع ..

● تنفسي المنشأ ←

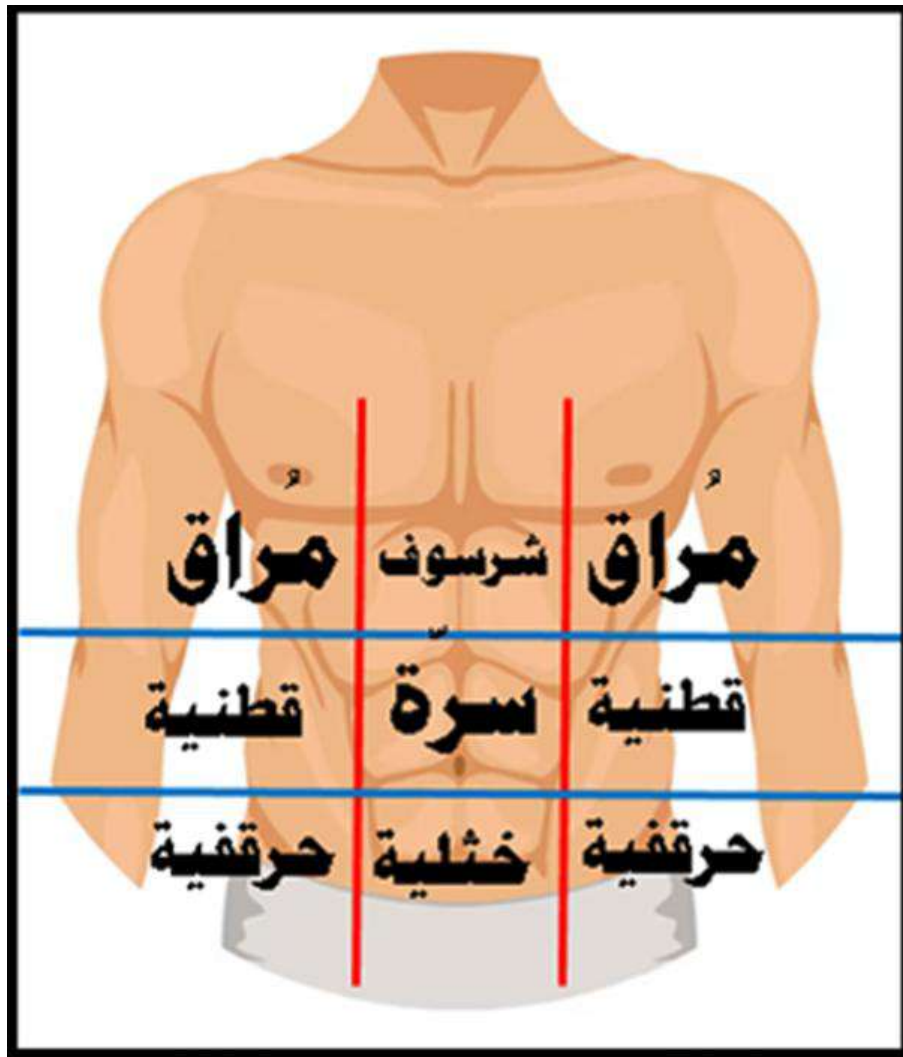
= التهاب جنب : ألم في جهة من الصدر يزداد بالتنفس
العميق و السعال و العطاس ..
= صمة رئوية : ألم صدري مترافق مع تسرع نبضات
القلب و صعوبة في التنفس ..

● وعائي المنشأ ← تسليخ أبهر : ألم يشبه طعنة

السكين ينتشر إلى الظهر & اختلاف قيمة الضغط
الشرياني بين الطرفين العلويين ..

● **جداري المنشأ** ← عضلي أو عظمي ← يزداد بالحركة & بالضغط عليه و لا يترافق مع أعراض أخرى ..

✿ **الألم البطني :**



● **ألم شرسوفي** متعلق بالطعام ← التهاب المعدة أو قرحة هضمية ..

● **ألم شرسوفي منتشر للظهر** ← التهاب بنكرياس حاد أو سرطان بنكرياس ..

- ألم مرق أيمن منتشر للكتف الأيمن ← التهاب مرارة
- ألم مرق أيسر منتشر للكتف الأيسر ← تمزق طحال
- ألم حرقفي أيمن ← التهاب زائدة دودية
- ألم حرقفي أيسر ← التهاب رتوج كولونية
- ألم وسط البطن طاعن كالسكين بدون أعراض أخرى ← احتشاء شريان مساريقي حاد ..
- ألم قطني منتشر إلى الأعضاء التناسلية مع دم في البول ← حصيات بولية ..
- الأم ختلي مترافق مع حرقاة في البول ← التهاب مثانة

✿ ضعف عضلات الحوض و الكتف :

- وهن عضلي وخيم ← يبدأ الضعف من عضلات العين و ينزل إلى الأسفل ..
- كوشينغ (ورم غدة الكظر المفرز للكورتيزول)
← يترافق الضعف العضلي مع بدانة في الجذع & تشكل حلبة شحمية خلف العنق & شقوق أرجوانية على البطن ..

● **فرط نشاط الدرق** ← يترافق الضعف العضلي مع شعور زائد بالحرارة & تعرّق غزير & خفقن قلب & رجفان يدين & إسهال ..

● **التهاب عضلات** ← يتركز الضعف في الكتف و الحوض و لا يترافق مع أعراض أخرى ..

● **الحثول العضلية** ← يظهر الضعف في الطفولة حيث يعجز الطفل عن النهوض من الأرض إلا بمساعدة اليدين

● **فرط الكالسيوم** ← يترافق الضعف مع إمساك و بوال

● **بسبب أدوية خاصة (ستاتين & كينولون & ستيرويد)**



✿ تنميل اليدين و/أو القدمين :

- مترافق مع فقر دم ← اعتلال أعصاب بنقص فيتامين B12 ..
- مرتبط بالتقدم بالعمر و الأعمال اليدوية & تنميل اليدين فقط ← متلازمة نفق الرسغ ..
- مترافق مع مشكلة في النظر & أعراض عصبية متنوعة من شلل و فقدان حس ← تصلب لويحي MS
- يزداد عند تحريك الطرف كالمشي ← نقص تروية الطرف بسبب انسداد الشريان بخثرة أو عسيمة شحمية
- مترافق مع البدانة أو قصة حمل ثقل & ألم أسفل الظهر ينتشر إلى الأسفل ← انضغاط جذور عصبية بديسك أو انقراص فقرات ..
- مترافق مع بوال و عطش زائدين ← داء سكري ..

✿ الإسهال :

- مائي ← برد أو انتان فيروسي أو كوليرا ..
- مخاطي ← طفيليات و أوالي ..
- جرثومي ← إسهال كريه الرائحة & إقياء & ألم

بطني & حمى ..

● شحمي (رغوي) ←

= داء زلاقي (شاب) : تحسس على القمح..

= قصور بنكرياس مزمن (كهل) : سوابق التهاب

بنكرياس حاد ..

= افات سادة للأقنية الصفراوية في الكبد : يرقان &

براز بلون أبيض & حكة منتشرة في الجسم ..

● أثر جانبي لبعض الأدوية (صادات & مضادات

حموضة & مضادات اكتئاب)..

● مرضي ← متلازمة الأمعاء الهیوجة (نفخة بطنية

(& التهاب كولون قرحي (إسهال دموي) & عدم

تحمل اللاكتوز في الحليب (تحسس من الطفولة) &

فرط نشاط الدرق (رجفان اليدين & خفقان القلب)

متلازمة الكارسينويد (توهج الوجه & تشنج قصبات)

& ورم مفرز للغاسترين (زيادة حموضة المعدة) ..

✽ الإمساك :

● حمية فقيرة الالياف & قلة شرب الماء & قلة

الحركة..

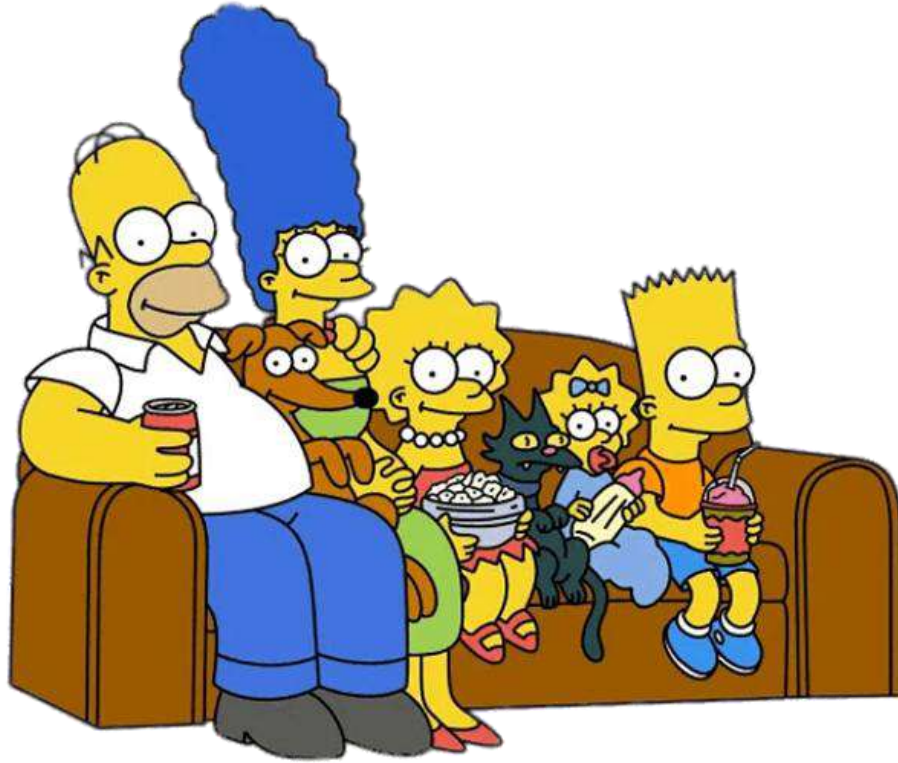
● قصور الدرق ← شهور بالبرد الزائد & جفاف

الجلد & تباطؤ القلب & تساقط الشعر خاصة في
الحواجب ..

- فرط كالسيوم ← ضعف عضلات & بوال زائد ..
- انسداد الأمعاء بسبب ورم أو انفتال أو كتلة برازية
متحجرة ← إمساك تام لأكثر من يومين & ألم بطني ..
- داء سكري ← بوال زائد و جوع و عطش زائدين
- داء باركنسون ← تجمد تعابير الوجه & صعوبة
الحركة & رجفان اليدين خلال الراحة ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية (مضادات حموضة &
مضادات اكتئاب & مضادات الصرع & مدرات &
أدوية الضغط & حاصرات الهستامين & المسكنات &
الحديد و الكالسيوم)



❖ **اليرقان** : و هو اصفرار الجلد و صلابة العين ..



- التهابات الكبد الفيروسية ← غثيان و تعب عام
- يرقان & ألم قولنجي في المراق الأيمن ← حصة قناة جامعة ..
- التهاب طرق صفراوية انتاني ← يرقان & حمى & ألم مراق أيمن ..
- تشمع كبد ← يرقان & وذمات & تطاول زمن النزف من الجروح ..
- انحلال دم ← يرقان & تلون البول بلون الشاي ..

✿ **طنين الأذن :**

● قم بنفي الأسباب الشائعة ← ضوضاء & رض على الأذن ..

● داء مونبير ← طنين & نقص سمع & دوّار ..

● أثر جانبي لدواء الاسبرين ← طنين مع استعمال مزمّن للاسبرين ..

● ورم العصب السمعي ← طنين & اضطراب توازن & صداد & غثيان ..

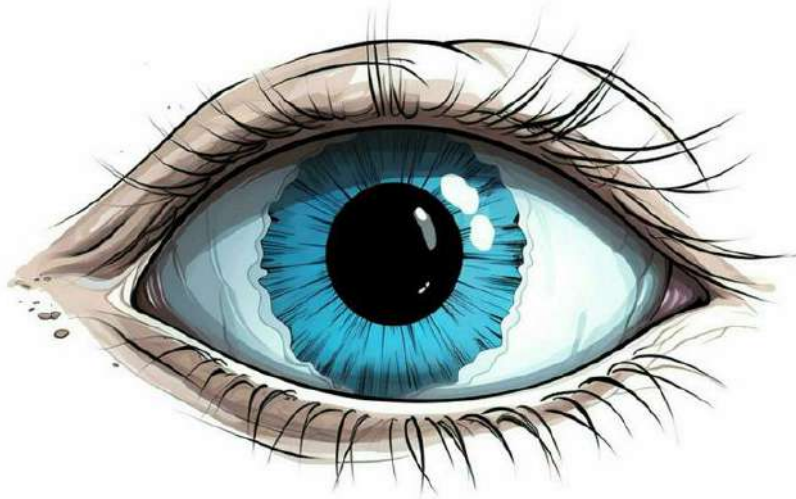


✿ **أعراض عينية:** و نذكر منها الحالات الإسعافية

التي يجب علاجها على الفور قبل أن تسبب العمى ..

● الزرق الحادّ : ألم في العين & احمرارها & دماغ منها

● انفصال الشبكية : لا ألم & لمعان & رؤية ستارة تغطي جزء من العين ..



✿ تساقط الأشعار :

● وراثي عند الذكور ← صلع جبهوي من الأمام & قصة عائلية للصلع ..

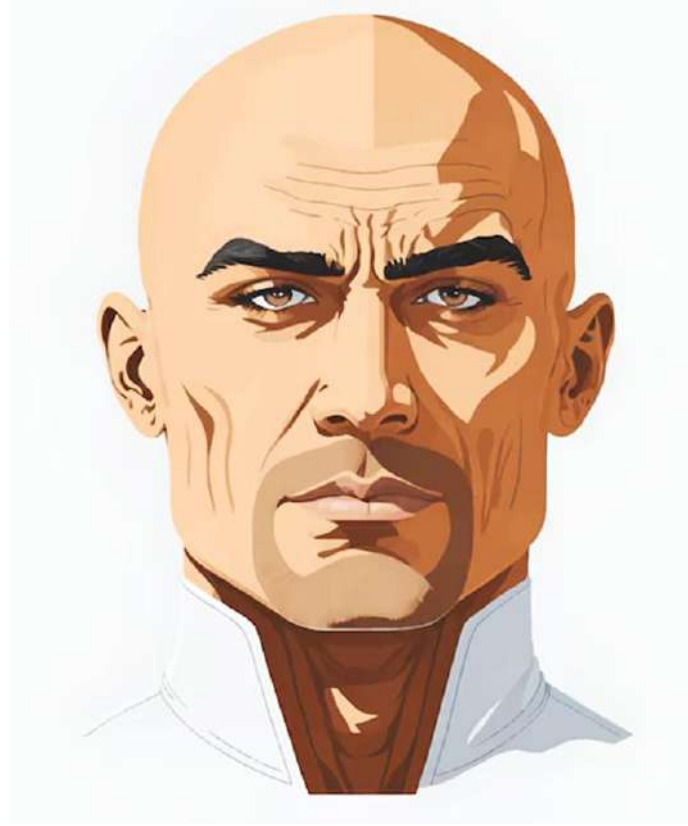
● حاصة بقعية (الثعلبة) ← آفة محددة الحواف خالية من الشعر في الفروة أو اللحية ..

● ارتداء جوارب ضاغطة لفترة طويلة من الزمن ← تساقط شعر الساقين ..

● قصور الدرق ← شعر هش يتساقط بسهولة خاصة أشعار القسم الوحشي للحاجبين ..

● نقص هرمون الذكورة (تستوسترون) ← تندي & تساقط شعر العانة و الإبطين & نعومة الصوت ..

● زيادة هرمون الأنوثة (الاستروجين) كما في البدانة & قصور الكبد ← بدانة واضحة أو أعراض قصور الكبد من وذمات و تطاول زمن النزف من الجروح أو اليرقان ..



❖ **السعال :**

① **سعال منتج لقشع ←**

● التهاب قصبات مزمن ← لا حمى & سعال مستمر أكثر من ٣ أشهر & تدخين & وجه أزرق ..

● **نفاخ رئوي ← صدر برميلي الشكل & تدخين & وجه زهري ..**

● **توسع قصبات ← نفث دم & تبقرط أصابع) تضخم نهاياتها (& قشع غزير ..**

● **ذات رئة (إنتان رئة بالميكروبات) ← حمى & صعوبة تنفس ..**

② **سعال جاف ←**

● **التهاب قصبات حاد ← قصة زكام & لا حمى ..**

● **تليف رئوي ← صعوبة تنفس شديدة ..**

● **أثر جانبي لدواء مثل حاصرات الأنزيم القالب كدواء كابتوبريل الشهير الخافض للضغط الشرياني ..**

③ **سعال مع دم ←**

● **صمة رئوية ← تسرع قلب & صعوبة تنفس & غالباً قصة استلقاء مديد بسبب عملية جراحية أو إصابة بالتهاب الأوردة الخثري العميق في الطرفين السفليين ..**

● **وذمة رئة ← قصة قصور قلب & صعوبة تنفس شديدة**

● **سل ← حمى عالية & تعرق غزير & نقص وزن**

● ورم رئة أو حنجرة ← نقص وزن & فقدان شهية
& تبقرط أصابع ..

● حالات نادرة (حبيوم فاغر & متلازمة غوود
باشتر) ← سعال مدمى & بيلة دموية ..



❖ زيادة الوزن :

- الأكل الزائد & قلة التمرين ..
- التوتر & القلق & قلة النوم ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية (بعض أدوية السكري و
الضغط & مضادات الاكتئاب & مضادات الصرع &
الأدوية النفسية) ..

- قصور درق ← إمساك & برودة و جفاف الجلد ..
- ورم غدة الكظر ← بدانة جذعية & حذبة شحمية خلف العنق & شقوق أرجوانية في البطن ..
- الاقلاع عن التدخين ..



✿ نقص الوزن :

- الحمية ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية خاصة دواء الداء السكري الميٹفورمین ..
- الداء السكري ← بوال & عطش & جوع دائم ..
- فرط نشاط درق ← إسهال & حرارة الجسد &

رجفان اليدين ..

● قصور غدة الكظر ← اغمقاق لون راحتي اليدين &
نوب من الألم البطني ..

● السرطانات ..

● أمراض منهكة (قصور قلب & قصور كلية ...) ..

● أسواء الامتصاص من الأمعاء كالداء الزلاقي ←
إسهال مزمن شحمي رغوي عند شاب ..

● السل ← سعال مدمى & تعرّق غزير ..



❖ **التعرّق الزائد :**

● الجوّ الحارّ و الرطب ..

- حمى أياً كان سببها ..
- أورام الدم ← لمفوما & ابيضاضات ..
- ساركويد ← آفات حمامية حمراء على الجلد & التهاب عين & مشاكل رئوية ..
- سل او مالاريا ← في الأماكن الموبوءة بها ..
- فرط نشاط الدرق ← إسهال & رجفان يدين ..
- إياس عند النساء (انقطاع الطمث) ..
- ورم القواتم المفرز للأدرينالين من غدة الكظر ← نوب من الغضب & خفقان القلب & الشحوب ..
- نقص سكر الدم ← غشاوة على البصر & دوخة & جوع زائد ..



❁ تطبل البطن (النفخة) :

- الأكل بسرعة ..
- التدخين ..
- البرد ..
- متلازمة الأمعاء الهیوجة (تشنج الكولون) ..
- متلازمة ألفاريز (تطبل بطن دون وجود غازات من منشأ نفسي) ..
- عسرة الطمث (آلام شديدة في الأيام الأوائل من الدورة الطمثية) ..
- أسواء الامتصاص كالداء الزلاقي (إسهال مزمن شحمي رغوي عند شاب) ..



❖ رائحة النفس الغريبة :

- رائحة كريهة ← الشخير & مشاكل الفم و الأسنان & رتج زنكر في البلعوم عند المسنين & مشاكل معدة & انتانات تنفسية ..
- رائحة غريبة مميزة ← أدوية كالنترات و الفيتامينات و العلاج الكيماوي ..
- رائحة الفواكه ← حماض كيتوني في الداء السكري
- رائحة الحلوى المتعفنة (نفث الموتى) ← قصور كبد
- رائحة السمك أو البول ← قصور كلية



✽ مشاكل في التبول :

● عسرة التبول ← التهاب مثانة & ضخامة بروسات

● بوال زائد ←

= سكري (عطش و جوع زائدين)

= بوال تفه (استمرار البوال رغم الامتناع عن شرب السوائل)

= فرط كلس الدم (إمساك & ضعف عضلات)

● إلحاحية (حاجة دائمة للتبول) ← انتانات بولية & ضخامة بروسات & ورم مثانة & سكري & حمل & قلق & كحول و كافيين & حصيات مثانية & شلل مثاني ● بيلة دموية ←

◎ بدون أعراض ← سرطان كلية

◎ مع أعراض ←

= ألم قولنجي منتشر للأقناد ← حصيات كلوية

= ألم خاصري أو ظهري ثابت & ارتفاع توتر شرياني ← كيسات كلوية

= ألم خاصري & قلة/انقطاع بول ← نخر قشري

منتشر

= حمى & طفح جلدي ← التهاب كلية خلالي



✿ تسرع التنفس :

● أسباب قلبية ← قصور قلب أيسر & تضيق دسام تاجي

← تزداد صعوبة التنفس عند الاستلقاء على الظهر ..

● أسباب صدرية ← ذات رئة (حمى) & ريح صدرية (قصة رض على الصدر) & صمة رئوية (خفقان قلب)

● أسباب دموية ← فقر دم (شحوب الأغشية المخاطية للعين و الفم & تعب شديد) ..

✿ وذمات في الجسم :

● قصور قلب ← وذمات في الكاحلين ..

● تشمع الكبد & متلازمة كلوية نفروزيية ← وذمات معمة في كل الجسم ..

● قصور الكلية ← وذمات في الأجنان ..

✿ رجفان اليدين :

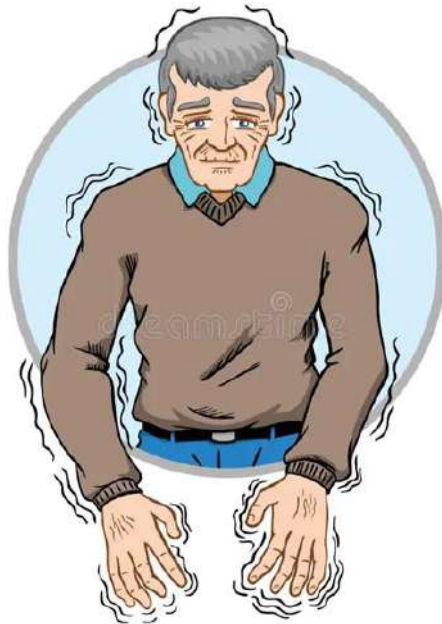
● رجفان يحدث خلال الراحة ←

= مرض باركنسون (صعوبة الحركة & تجمد ملامح الوجه) ..

= رجفان أساسي (عمر متقدم & لا أعراض مرافقة)

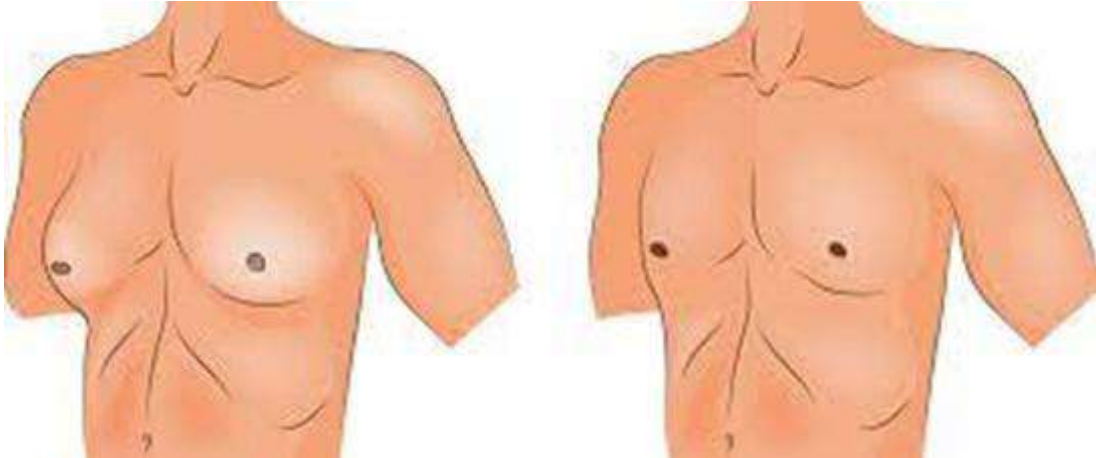
● رجفان قصدي يحدث عند بدء حركة اليدين ←
أذية المخيخ (يترافق مع رنح الجسد) ..

● رجفان خافق كرفرفة جناحي الطير ← فرط أمونيا الدم في قصور الكبد ..



✿ **التثدي :**

- فيزيولوجي (طبيعي) ← أطفال & مسنين ..
- وراثي ..
- بدانة ..
- تشمع كبد ← وذمات معممة & تطاول زمن النزوف من الجروح & يرقان ..
- قصور الخصية ← تساقط شعر العانة و الإبط & نعومة الصوت ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية خاصة (سيميستيدين & سيبرونولاكتون & كيتوكونازول) ..



✿ **التهاب مفاصل :**

- التهاب مفاصل رثياني ← مفاصل الأصابع في اليدين & تشوهات خاصة & ألم يخف بالحركة و يزداد

بالراحة ..

● التهاب عظام و مفاصل ← مريض متقدم بالعمر
غالباً & بدين غالباً & عقيدات على مفاصل الأصابع &
ألم يخف بالراحة و يزداد بالحركة ..

● التهاب مفاصل مرافق للذئبة الجهازية ← فتاة
غالباً & طفح يشبه الفراشة على الوجه & قصور كلوي
& اضطرابات نفسية ..

● التهاب مفاصل سلبي المصل ← شاب ذكر غالباً &
ألم قطني عجزى أسفل الظهر & صعوبة الانحناء
للأمام ..

● حمى رثوية ← طفل غالباً & قصة التهاب بلعوم
سابق & التهاب المفاصل متنقل من مفصل لآخر ..

● التهاب مفصل انتاني ← تورم المفصل & ألم شديد
بالضغط على المفصل & احمرار المفصل & حمى ..

● النقرس ← تورم إبهام القدم الكبير بشكل نوب
متكررة



هذه كانت أشيع الأعراض التي يشتكي منها الإنسان في حياته ، و أصبح بإمكانك الآن عزيزي القارئ عند ظهور أي عرض منها عليك أو على من تحب ، أن تراجع الأسباب و تطابقها مع العرض الذي تعاني منه حتى تصل إلى التشخيص الصحيح دون الحاجة إلى طبيب !!..

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**شخص مرضك**

بنفسك) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

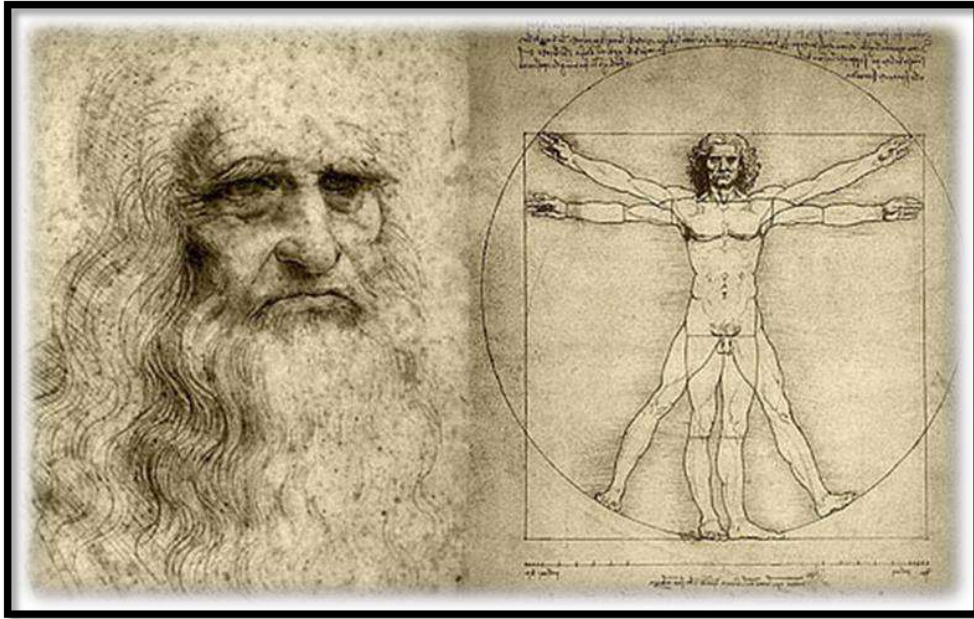
= تشخيص الأمراض حكر على الأطباء فهم من يمتلكون شهادة لمزاولة المهنة ..

بل أن نقول :

= لا غنى عن الأطباء بلا شك فهم من يصفون العلاج المناسب في النهاية ، لكن يمكن لأي إنسان غير مختص بالطب أن يشخص مرضه بنفسه بربط الأعراض التي يشتكي منها مع المرض المناسب و المطابق بحيث يعرف كيف يتعامل مع حالته و إلى أي طبيب يجب أن يذهب لاستكمال العلاج ..

قبل بضعة عقود من الآن لم يكن هنالك جامعات تمنحك شهادات في اختصاصات معينة .. و كان يمكن لمن

يريد أن يختص بمجال محدد و أن يعمل به لاحقاً بعد أن يكتسب الخبرة فيه .. فالأطباء وقتها كانوا أناساً عاديين طوروا خبرات و معارف جيدة في الطب لا أكثر ، و هذا يؤكد بأنه يمكن لأي إنسان أن يفعل ذلك ببعض الاطلاع و المعرفة .. **فليوناردو دافنشي** مثلاً أبدع في الفيزياء و الطب و الرسم و النبات و الفلك و الرياضيات و رسم الخرائط و غيرها .. و هو لم يحصل شهادات تخوله فعل ذلك ، بل بذل جهداً كبيراً كي يترك لنفسه بصمة مهمة في هذه المجالات استمرت لقرون لاحقة ..



و يمكنك عزيزي القارئ إن لم تكن طبيباً أن توسع دائرة معلوماتك الطبية أكثر بحيث تنجح في تشخيص الأمراض و توجيه المرضى في الدائرة من حولك إلى الاتجاه الصحيح ، و أمل أن تكون هذه المغالطة خطوة مساعدة لك في مغامرتك الشيقة هذه كأول حجر في

مملكلك الطبفة المسقبلفة ، فالطب عالم ممتع و سهل
الفهم إن درس بالطرفقة المناسبة ، و أعدك بكقثر من
الإقارة و الإقابفة فف رحلك القادة إن عزمق على
المضف قداماً فف طرفقها ..

بهرية فيزا ليويس

(مشروط مجري)

= أنت بالفعل جراح ماهر يا صديقي .. لقد كانت عملية
المرارة لزوجتي ناجحة بامتياز ..

= أشكرك ..

= كنت سأقول أنك أفضل جراح بالتاريخ .. لكن
باعتبار أن الجراحة علم حديث فسأقول أنك أفضل
جراح في العصر الحالي ..



= و من قال لك أن الجراحة حديثة العهد .. الجراحة
موجودة منذ آلاف السنين ..

= لا يمكن لهذا أن يكون صحيحاً !!

= بل هو كذلك .. فقد اكتشف العلماء آثار تعود لقرون
عدة خلت تصف إجراء الحضارات القديمة للعمليات
الجراحية ..

= هل لي بمثال ؟

= بالطبع ، مثلاً **بردية إدوين سميث الفرعونية** التي

تعود لعام **1600** قبل الميلاد ، و هي وثيقة جراحية
مصرية قديمة، تُظهر معرفة بتشخيص إصابات الرأس
والعمود الفقري والكسور .. و تذكر أعراضاً مثل الشلل
، كما تفرّق بين الحالات القابلة للعلاج والتي لا أمل
فيها .. و هذا يقارب منهج الطب الحديث المبني على
الملاحظة السريرية.



= مذهل !!

= أجل ..

ضحك الصديق ..

= إذن يمكنني القول الآن بثقة أنك أفضل جراح في
التاريخ يا صديقي ..

سبق لنا و أن قاربنا حتى الآن أربع مغالطات طبية، و الآن سنضيف إليها مغالطة جديدة تتناول فكرة مغلوطة شائعة بين كثير من الناس ، أنّ الطب علم حديث لا يتجاوز عمره بضعة عقود ، و أنه كان في العصور القديمة مجرد علم بدائي معتمد بشكل أساسي على الخرافات و البدع ..

و هذا ما سنحاول تصويبه سوياً خلال الصفحات التالية ، حيث سنقارب بدقة أكثر هذه الفكرة الشائعة طمعاً في إجابات مرضية ، و ذلك بتحليل النقاط الثلاثة التالية :

① تاريخ الطب عبر العصور ..

② شواهد على تطور الطب في الماضي ..

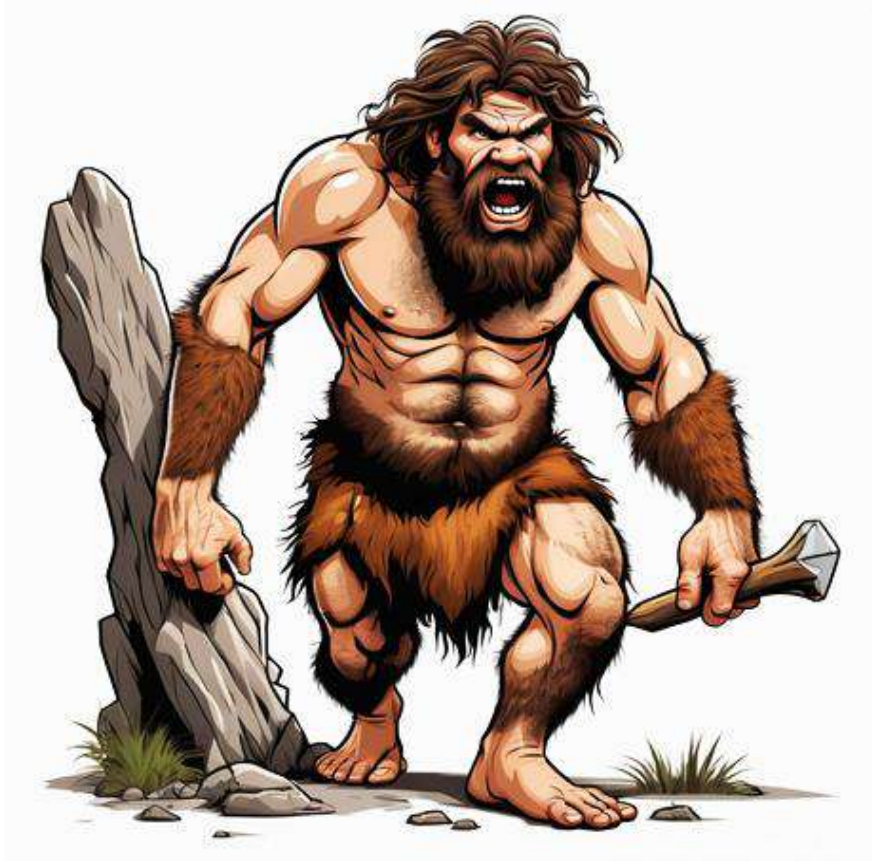
③ آفاق الطب المستقبلية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نجري صورة بأشعة X للتاريخ الطبي كي تذوب قشرته الخارجية و يظهر جوهره جلياً

أولاً ، تاريخ تطور الطب عبر العصور :

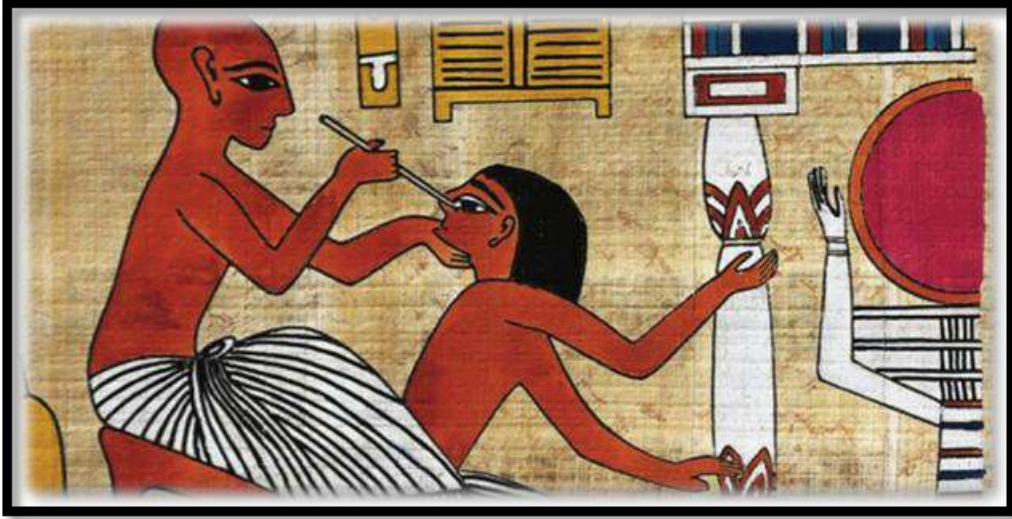
منذ فجر الإنسان، حين كان يختبئ من زمجرة الوحوش في كهوف غابرة، كان المرض رقيقاً خفياً يزوره من حيث لا يدري. ارتعشت قلوب الأجداد أمام الحمى التي تحرق الجسد، وأمام الجروح التي لا تندمل، فمدّوا أيديهم إلى الطبيعة : ورقٌ يُمضغ، جذور تُسحق،

وأحجار تُضغَط على الرأس لعل الألم يزول. في تلك العتمة الحجرية، كان الطب وليدًا، يرضع من صدر الغريزة والتجربة، يخطو خطواته الأولى بين الأعشاب والدخان وأهازيج السحرة.



ثم جاءت الحضارات الكبرى، فصار الطب علمًا إلى جانب كونه فنًا. في وادي النيل، حيث يشقّ النهر طريقه بين الرمال، دوّن المصريون على البرديات أسرارهم : وصفاتٌ للعين، تعاويذ للحب، وتعليمات دقيقة لجراحاتٍ تمسّ العظام والدماغ. هناك، في بردية إدوين سميث، نشهد عقلًا يحلّ كسور العمود الفقري ويصف علامات الشلل بوعي يكاد يلمس الطب الحديث. لم يكن الفرعون وحده من ينشد الشفاء، بل حتى الفلاح البسيط كان يلجأ

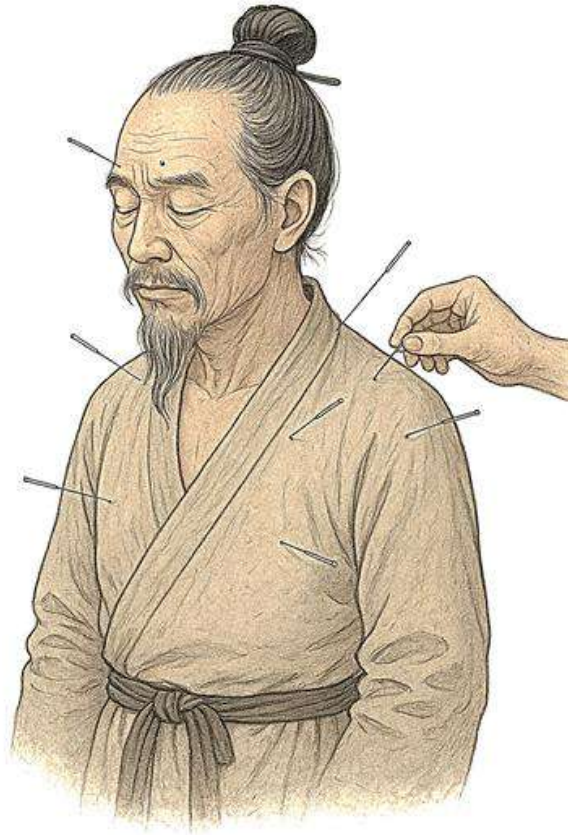
إلى كاهن- طبيب يعرف كيف يمزج بين الدعاء
والمعرفة.



وفي بلاد الرافدين، خطّ السومريون والبابليون ألواحًا
طينية تسرد أمراض الكبد والعيون، وتربط بين النجوم
في السماء وأوجاع الجسد. أما الإغريق، فقد أراحوا
الغطاء عن الطب من عباءة السحر، وأجلسوه على
عرش العقل. كان أبقراط، أبو الطب، يرى المرض
خلالاً في توازن الأخلاط الأربعة، ويعالج بالحمية
والرياضة والراحة. هناك بدأت ملامح الطب الوقائي،
الذي ما زال جوهراً في فلسفة العلاج.

وفي الهند البعيدة، كتب **سوشروتا** ملحمة الطب
الأيورفيدي، فوصف مئات العمليات وأدوات جراحية
بدائية لكنها بديعة، وأجرى أولى محاولات ترقيع الجلد.
أما الصين، فقد خطّت طريقاً آخر؛ مسارات خفية للطاقة
الحيوية، وإبرّ صغيرة كأنها همسات على الجسد، تكبح

الألم وتعيد الانسجام.



وجاءت العصور الوسطى، حين غطى الظلام أوروبا،
لكن مشاعل الشرق كانت مضاءة. في بغداد ودمشق
والقاهرة، وُلدت **البيمارستانات**، أولى المستشفيات
الحقيقية في التاريخ، حيث وُضع المرضى في أجنحة
متخصصة، وسُجّلت حالاتهم بدقة. هناك لمع اسم
الرازي ، الذي ميّز بين الجدري والحصبة، و **ابن سينا**
الذي كتب (القانون في الطب) ، موسوعةً عبرت إلى
اللاتين فشكّلت عصب الطب الأوروبي لقرون. و
الزهرابي، الذي رسم بخط اليد صورًا للأدوات
الجراحية وأبدع في علم الجراحة حتى صار مرجعًا لا
غنى عنه .. أما أوروبا ساعتها فكانت في ركود علمي

تواجه الطاعون الأسود اللعين بلا حول أو قوة ..

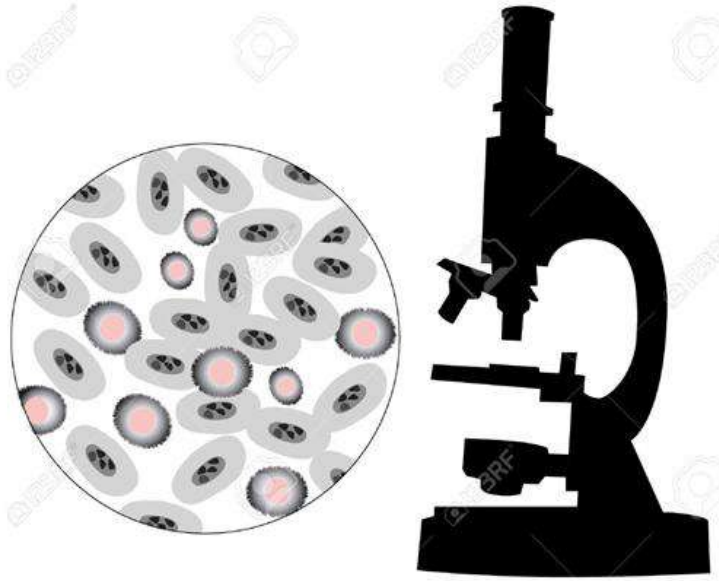


ومع عصر النهضة، انقشعت الغشاوة. أزاحت مشرحة **فيزاليوس** ستار الغموض عن الجسد البشري، فأنكشف ما كان خافيًا من عظام وأعصاب وأوعية.



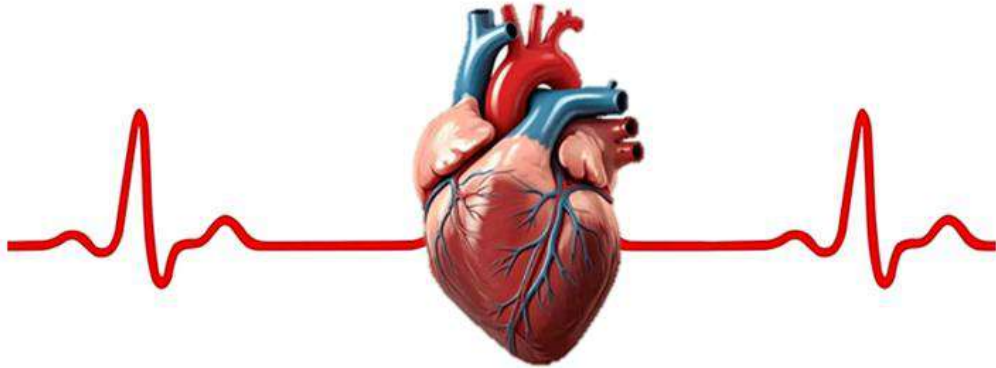
ثم أتى **هارفي** ليكشف الدورة الدموية، فيضع أساسًا جديدًا لفهم الحياة. وفي القرون اللاحقة، حملت المختبرات روائح الكحول والمعادن، وبدأت الكيمياء تتزاوج مع الطب، فولدت الصيدلة العلمية.

القرن التاسع عشر كان زمن الانتصارات العظمى : **باستور** حارب الجراثيم وأثبت أن المرض كائنات دقيقة لا لعنات سماوية، و **ليستر** غسل يديه بالمطهرات فأنقذ آلاف الأرواح من تعفن الجروح. تفتحت أبواب المستشفيات على عالم جديد من الجراحة المعقمة، والتخدير الذي حوّل الألم إلى صمت.



و في القرن العشرين، أطلّت المعجزة : **البنسلين**، أول مضاد حيوي، يفتح عهدًا جديدًا في مكافحة العدوى. ومعه تطورت اللقاحات، وزرعت الأعضاء، واخترعت أجهزة التصوير التي ترسم ما في داخلنا كما لو كان كتابًا مفتوحًا. صار الأطباء لا يسمعون فقط نبض

القلب، بل يرون صوته في رسم كهربائي، ويتابعون
خفقات المخ في موجات مضيئة.



واليوم، في القرن الحادي والعشرين، يقف الطب على
أعتاب آفاق لم يعرفها الحلم من قبل ، إذ لم يعد الجسد
كتابًا مغلقًا، بل صار مخطوطًا يُحرَّر ويُعاد صياغته.
ومع ذلك، يظل الطبيب - كما كان منذ فجر التاريخ -
إنسانًا ينصت لألم إنسان آخر، ويبحث عن شفاء يجمع
بين العلم والرحمة.

ثانيًا ، شواهد على تطور الطب في الماضي :

هنالك العديد من الاكتشافات التي أثبتت أن الطب في
الحضارات القديمة كان متطوراً أكثر بكثير مما يعتقد
أغلب الناس ، لدينا مثلاً :

✽ **بردية إبيرس** التي تعود لعام **1550** ق.م تقريباً ..

أطول بردية طبية مصرية (**20** متر تقريباً) .. و
تحتوي على مئات الوصفات لعلاج أمراض القلب
والجهاز الهضمي والسكري والطفيليات .. و هناك

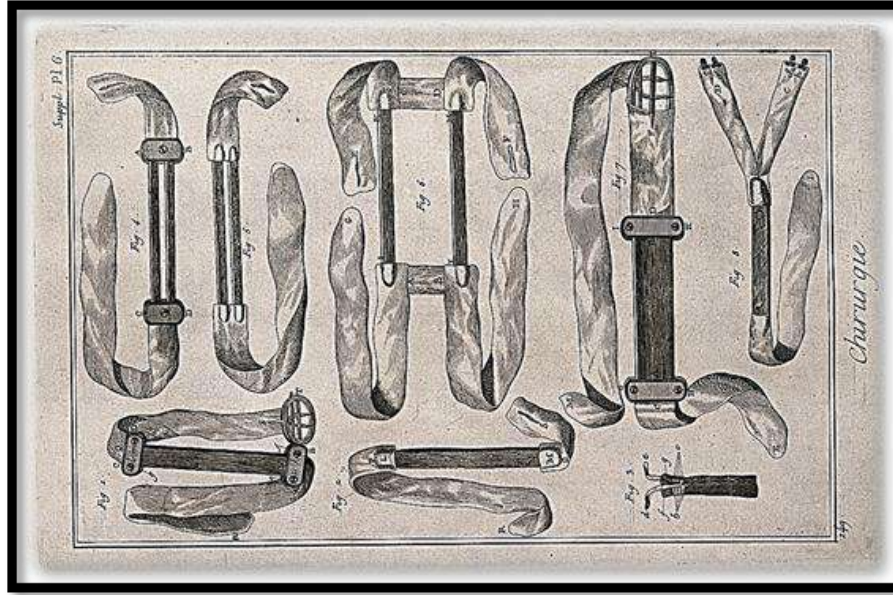
أيضاً إشارات دقيقة إلى أوعية دموية وارتباطها بالقلب،
أشبه بمفهوم الدورة الدموية.



✿ **الجراحة الدماغية في بيرو القديمة :** عُثر على
جماجم في حضارات الأنديز (البيرو و بوليفيا) بها
ثقوب في الجمجمة وعليها علامات شفاء .. و كانت
نسبة البقاء بعد هذه العمليات عالية جداً (حتى 70%
في بعض الدراسات الأثرية).



✿ **الأدوات الجراحية الرومانية :** اكتُشفت في بومبي وهيركولانيوم (إيطاليا) أدوات جراحية من البرونز والحديد تشبه الأدوات الحديثة : مشرط، ملقط، قسطرة. و هذا يدل على ممارسة متقدمة للطب الجراحي.



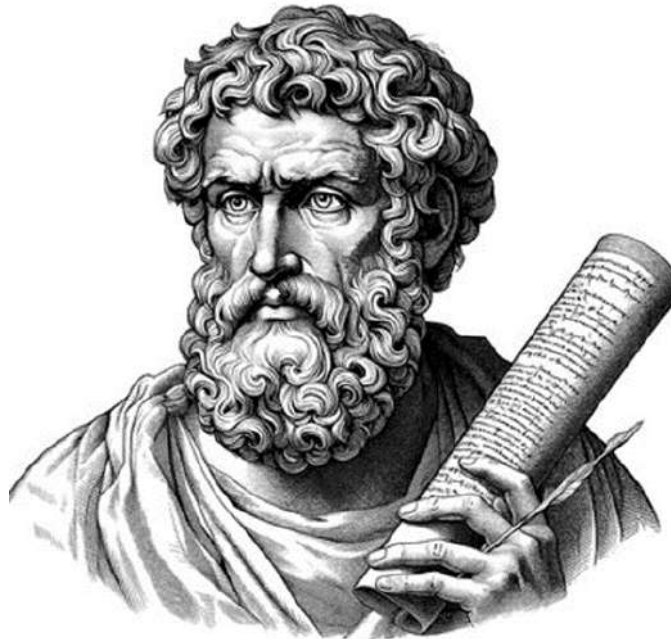
✿ **الأسنان الصناعية المصرية :** في مقابر مصرية قديمة، وُجدت جسور أسنان بدائية مصنوعة من ذهب وأسلاك لتثبيت الأسنان .. هذا يثبت وجود شكل من أشكال طب الأسنان التعويضي.



✿ **الطب الهندي القديم :** نجد (أيورفيدا – سوشروتا سامهيتا) و هو نص هندي قديم (حوالي **600** ق.م) يصف أكثر من **300** عملية جراحية و **120** أداة طبية .. الطبيب سوشروتا يوصف أحياناً بأبو الجراحة ، وقد وثّق عمليات ترقيع الجلد (جراحة تجميلية) .

✿ **الطب الصيني القديم – الوخز بالإبر:** استخدمت إبراً حجرية وعظمية تعود لأكثر من **2000** سنة. النصوص مثل هوانغ دي ني جينغ تشرح نظاماً متكاملًا للعلاج بالوخز بالإبر والأعشاب.

✿ **الطب الوقائي في اليونان القديمة :** أبقرات (أبو الطب) دعا إلى نظام غذائي صحي، ممارسة الرياضة، وتوازن بين البدن والروح .. نصوصه توضح أن الأطباء كانوا يدركون أن الوقاية خير من العلاج، وهو مبدأ أساسي في الطب الحديث ..

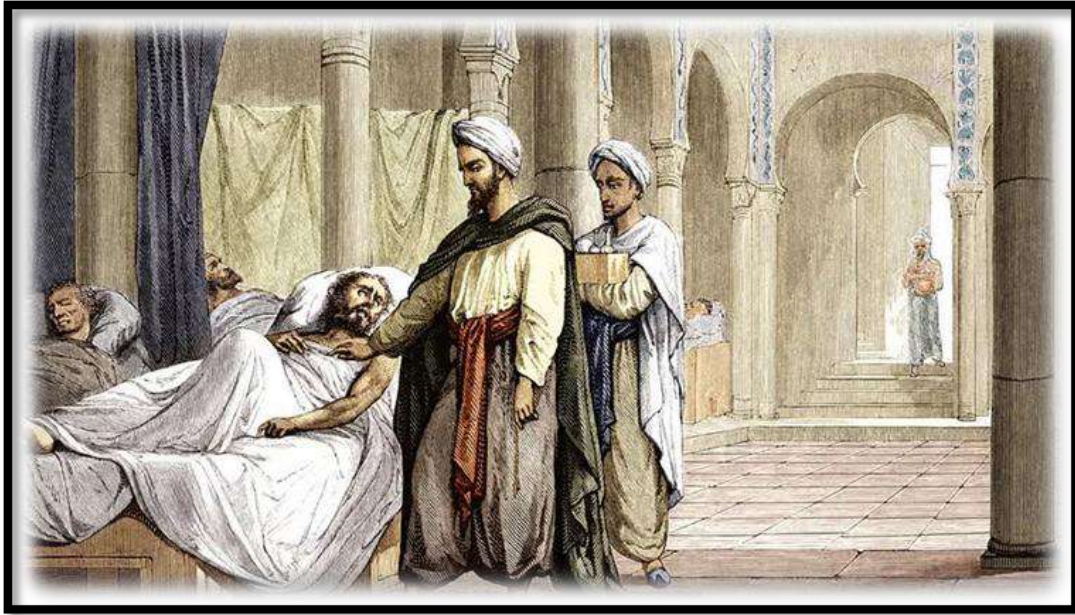


✽ النظافة والتعقيم في الحضارة الإسلامية : العلماء

مثل الزهراوي (أبو القاسم) وصفوا طرق تعقيم الأدوات الجراحية واستخدام الكحول والخل كمطهرات. كما ابتكروا أدوات جراحية متخصصة ما زالت تُستخدم بشكل مشابه اليوم.

✽ المستشفيات المنظمة (بيمارستانات) : في

العصر العباسي و الفاطمي، كانت هناك مستشفيات عامة (بيمارستانات) تُقدّم علاجًا مجانيًا، فيها أجنحة متخصصة وأطباء مقيمون وسجلات للمرضى .. و هذا سبق المستشفيات الحديثة الأوروبية بقرون.



ثالثاً ، آفاق الطب المستقبلية :

في الأفق البعيد، يلوح زمنٌ لم يعد فيه الطب مجرد علاج للداء، بل فنٌّ لإعادة صياغة الحياة نفسها. سيكون الجسد كتابًا مفتوحًا، تُقرأ جيناته كما تُقرأ الأسفار،

وَتُصَحَّحْ أخطاؤه كما يُصلَحْ بيت من الشعر. لن يكون
الطبيب مقيدًا بالمشروط والدواء فحسب، بل سيمتلك
مفاتيح الخلايا، يعيد برمجتها لتولد من جديد، فتمحو
الشيخوخة كما يُمحي الغبار عن مرآة قديمة.

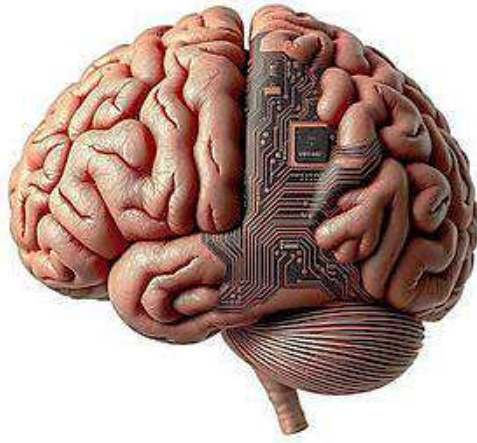
في ذلك المستقبل، لن يقتصر العلاج على إصلاح ما
فسد، بل سيمتد إلى ما لم يوجد بعد : قلوب تُزرع بلا
خوف من الرفض، عيون تُثبت من الضوء، وأطراف
تتحرك بإرادة أعصابٍ مزروعة. ستصبح الروبوتات
الجراحية رفيقةً ثابتة في غرف العمليات، تلمس أنسجة
الإنسان بدقةٍ تفوق ارتجاف أصابع البشر. وسيجلس
الذكاء الاصطناعي إلى جوار الطبيب، يحلّل ملايين
البيانات في لحظة، فيكشف الداء قبل أن يبيح
بأعراضه.



أما الأدوية، فلن تكون أقراصًا تُبتلع أو إبرًا تُغرَز، بل

جزيئات دقيقة كالنجوم، تنساب في الدم لتبحث عن
الخلية المريضة وتُداويها وحدها، تاركة الجسد في
نقاءه.

و ربما تُزرع في أدمغتنا شرائح ذكية، تراقب نبض
القلب وأنفاس الرئة، فتُرسل إشارات استباقية قبل أن
يطرق الخطر الباب .. و هذا ما يعمل إيلون ماسك
عليه بالفعل منذ الآن ..



سيكون الطب آنذاك لغة حياة جديدة، يتجاوز حدود الألم
والزمان. وربما، في لحظةٍ ما، يصبح السؤال ليس :
(كيف نُشفى ؟) بل : (كيف نُعيد تعريف معنى أن
نكون أحياء ؟)

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الطبية الجديدة (**بردية**
فيزاليوس) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :
= الطب علم حديث العهد لا يزال يحبو على دروب

التطور ..

بل أن نقول :

= الطب موضوع حساس منذ قديم الزمان ، حظي
باهتمام و تفكير البشر بقوة ، فالصحة لا تقدر بثمن ،
لذا لا عجب أن نجد في اكتشافاتنا الأثرية شواهد تؤكد
أنهم بلغوا من العلوم الطبية مبلغاً لا يستهان به .. بل
لعلهم امتلكوا وصفات و أساليب أكثر نجاعة مما نمتلكه
الآن لكنها اندثرت مع اندثار الحضارات !!

من الكهوف الحجرية حيث اكتشف الإنسان الأعشاب
والحرارة، بدأ الطب رحلةً بين الغموض والمعرفة،
ينسجها أجدادنا بحذر ودهشة.

في وادي النيل وبلاد الرافدين، دَوّن الأطباء القدماء
وصفات وعلاجات تشبه أساليبنا الحديثة، وجعلوا الجسد
كتاباً يُقرأ بعقل وفن.

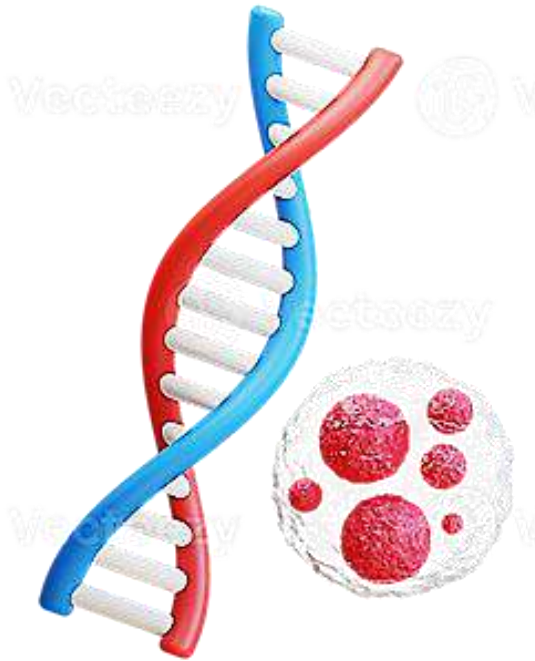
الإغريق والهنود والصينيون أضافوا أبعاداً جديدة، من
التوازن والوقاية إلى الجراحة الدقيقة والوخز بالإبر،
فأصبح الطب علماً وفلسفةً معاً.

العصور الوسطى و بيمارستاناتها كانت صرحاً للرحمة
والعلم، حيث وُضع المريض في قلب المعرفة الإنسانية.
ثم أطلّت النهضة والعصر الحديث، فزُرعت المختبرات
و المستشفيات بالإبداع، و ولد التخدير، و المضادات

الحيوية، و التصوير الطبي، لتفتح أبواب الجسد على مصراعها.

و اليوم، يرقب الطب المستقبل بعينين متقدتين : الجينات ، الخلايا الجذعية، الروبوتات الجراحية، والذكاء الاصطناعي، ليعيد كتابة حدود الحياة والشفاء.

من الماضي إلى المستقبل، يظل الطب حكاية الإنسان الذي لا يكلّ من البحث عن الصحة، الشفاء، والرحمة، في رحلة بلا بداية معروفة و لا نهاية متوقعة ..



الطب بنكهة أدبية ...

محتوى الكتاب :

- ارتفاع ضغط الدم (القاتل الصامت)
- الداء السكري (السم بالعسل)
- القصور الكلوي (المصفاة لا تعمل)
- أمراض الجهاز التناسلي الذكري (ميراث السنين)
- أمراض الجهاز الهضمي (ما يدخل إليك .. يظهر عليك)
- أمراض القلب (عطل في المضخة)
- أمراض الجهاز التنفسي (ما بين شهيق و زفير)
- أمراض الغدد الصماء (أصمّ يسمع كل شيء)
- أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي (الوردة و الأشواك)
- أمراض الجهاز العصبي (روق أعصابك)
- أمراض الجهاز الحركي (بحثٌ مفصليّ)
- أمراض العين و الأذن و الجلد (فوضى الحواس)
- أمراض الأطفال (رسوم متحركة)
- التوليد (يصورك في الأرحام كيف يشاء)
- أمراض الجراحة (المبضع مفتاح الأسرار)
- أمراض نفسية (صرخة روح)
- ✻ ملحق (مغالطات طبية)
- = السرطان (تيلوميراز)
- = الوجه الآخر للطب (إغماء ستندال)
- = ترويض النفس (فرويد الخيال)
- = بيكاسو الأمراض (الطب بالألوان)
- = شخّص مرضك بنفسك (من العرض تعرف المرض)
- = بردية فيزيالوس (مشرط حجري)

